مكتبة الأستاذ رفيق خليفي

محمد بن يوسف السنوسي
وشرحه لمختصره في المنطق

دراســـة وتحـــــــقيق

الدكتور أسعيد عليوان

دار الكتاب الثقافي

Éléments sous droits d'auteur

بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة
جميع الحقوق

٢٠١٧م-١٤٣٨هـ

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٥/٤/٢٠٠٩)

دار الكتاب الثقافي
www.dar-alketab.com

٩٢٢.٦
الجزائري، احمد رفيق
محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطقه:دراسه وتدقيق /اسعيد عليوان الجزائري _ اربد. دار الكتاب الثقافي للنشر، ٢٠٠٩
( )ص
ر.إ: (١٤٢٩/٤/٢٠٠٩).
الواصفات: /الفقهاء المسلمون//الإسلام/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من دائرة المكتبة الوطنية

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠١٦م.لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من قبل المؤلف

ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٤٩٢-٦٢-٥ ردمك

للطباعه والنشر والتوزيع
الأردن اربد
شارع إيدون إشارة الإسكان
تلفون
(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٦١٦١٦)
فاكس
(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٥٠٣٤٧)
ص.ب (٦٢٠٣٤٧-٢١١)

Dar-Alketab
PUBLISHERS
Irbid- Jordan
Tel:
(٩٦٢-٢-٧٢٦١٦١٦)
E-mail:
Dar_Alkitab@hotmail
.com

المدير العام

بلال ابراهيم الشلول

مادة محمية بموجب حقوق النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مقدمـــــة

تعد الجزائر من مناطق العالم الإسلامي التي يزخر ماضيها بمفكرين عظام ساهموا بنصيب كبير في الحفاظ على شخصية المسلمين وحضارتهم بما توصلوا إليه من إبداع فكري في شتى مجالات المعرفة، مما جعل إنتاجهم الفكري يستحوذ على عقول المسلمين لقرون طويلة .

ورغم هذا فإن التراب أسدل على هؤلاء المفكرين بسبب الانحطاط الفكري والخلقي الذي آل إليه أمرنا نتيجة لظروف حضارية معينة، منها الاستعمار الفرنسي الذي بذل كل ما يملك من طاقة تدميرية ليقضي على شخصيتنا ، وإذا كانت الثقافة هي التي تصنع شخصية الأمة ، فإنه لا بد من القضاء على تلك الثقافة .

والقضاء على الثقافة يتم بالقضاء على المفكرين الذين صنعوها ، إما بالتشويه أو بالطمس والتجهيل ، أو بهما معا .

والجزائر تعرضت لأبشع استدمار استيطاني ، وعمل الفرنسيون على تدميرنا تدميرا كليا، فشوهوا كثيرا من مفكرينا كما فعل لوسياني في دراسته للأخضري ، وكما فعل غيره لشخصيات جزائرية أخرى .

ومن هذه الحثيثة ، فإنه يتحتم علينا الاتجاه إلى تراثنا الفكري ومن صنعه من مفكرين لإحيائه وتقييمه ، حيث لا يمكننا أن ننهض إلا بفهم ماضينا فهما حقيقّياً .

وإذا كانت الأمم اليوم قد اتجهت لإحياء ثقافتها حتى لو كانت تلك الثقافات وثنية، فإنه يجب علينا نحن إحياء ثقافتنا، ناهيك أننا بتلك الثقافة كنا الأمة الأولى في العالم وأن قوتنا تكمن فيها .

والملاحظ أن كثيراً من الباحثين اليوم في عالمنا الإسلامي يتجهون إلى دراسة المفكرين الغربيين في مجالات قد لا تهمنا، بل كثير منهم يعنون بطمس ثقافتنا داعين إلى ثقافات دخيلة لا جدوى منها سوى إبقاء الاستعمار الثقافي ـ ولا أول على هذا من أن تلك الثقافات عجزت عن حل مشكلات المجتمعات التي نبتت فيها ـ فرأينا نحن أن نعتني بمفكرينا .

واعتناؤنا بالسنوسي ليس راجعاً إلى روح الإقليمية الضيقة، بل بدافع إظهار ما في الجزائر من كنوز دفينة ردمت تحت التراب بسبب ما ذكرنا.

والسنوسي يعد من المفكرين القلائل الذين امتازوا بكثرة الإنتاج وأهميته في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، إضافة إلى أنه راعى في تلك المؤلفات الكثيرة مستويات الناس من عامة إلى خاصة مما يجعلنا نعده من المثقفين الموسوعين الذين ألموا بعلوم عصرهم مبدعين فيه. وقد سيطرت كتبه في جامعات العالم الإسلامي ما لا يقل عن أربعة قرون كاملة بالإضافة إلى أنه شق طريقاً في التصوف صحيحاً كانت آثاره واضحة فيمن أتى بعده من مثقفين .

فالسنوسي إذن من المفكرين القلائل الذي استطاعوا الإلمام بمختلف معارف عصرهم وأن يبدعوا فيها، وهذا الجانب وحده كفيل بأن يدفع الباحث إلى دراسته.

ولكن هناك جانب آخر لا يقل أهمية عن هذا. وهو أن السنوسي يعد - في نظرنا - من المجددين الذين سخروا حياتهم لأن يرجعوا للأمة وعيها بذاتها، وأن يدفعوها دفعاً قوياً يمكنها بواسطته أن تنهض من جديد خاصة أنه وجد في عصرنا كانت فيه خريطة العالم الإسلامي تتصدع بسبب الحروب الصليبية المسماة بحروب الاسترداد في الأندلس ويضطهدون أبناءها بما أقاموه من محاكم التفتيش، ولا أدل على هذا من أن الأندلس كانت تؤكل قطعة قطعة إلى أن ابتلعها الغرب نهائيّاً بعد وفاة السنوسي بعامين. ناهيك بتمزق الأمة الداخلي وانغماسها في الانحلال ، وانحراف حكامها واستبدادهم وتكالبهم على السلطة مع الجهل وانتشار الطرق الصوفية الضالة التي خدرت الأمة فأنستها وعيها بذاتها وجعلتها في سبات عميق.

السنوسي نشأ في هذا الجو الذي يتسم بفساد الأمة حكاما وعلماء وعامة عقيدة وأخلاقا فعمل كل ما في وسعه ليعيد الأمة إلى ماضيها التليد كما بينا في الباب الأول من هذه الدراسة.

وقد اخترت " شرحه لمختصره في المنطق " دراسة وتحقيقاً لأسباب كثيرة منها:-

أن هذا الكتاب يعطينا صورة واضحة ودقيقة عن مكانة السنوسي العقلية في عصر لا يكاد يعرف فيه العقلاء من كثرة الحمقى. وقد كتبه قبل وفاته بخمس سنوات، أي في قمة نضوجه الفكري. كما أن هذا الكتاب المنطقي يعد وسيلة أساسية في تقنية الذهن من الأفكار الفاسدة وشحذه بالأدلة القوية على حجية الإسلام وهذا ما تحتاجه اليوم في عالمنا الإسلامي الذي يكاد يكون ممسوخاً بما يتعرض له من غزو فكري خاصة أن غرض السنوسي من كتابته هو خدمة علم التوحيد لإصلاح العقيدة في النُّفوس حيث أنها جوهر الإسلام وإصلاحها يؤدي

Éléments sous droits d'auteur

ولكن هناك جانب آخر لا يقل أهمية عن هذا. وهو أن السنوسي يعد ـ في نظرنا ـ من المجددين الذين سخروا حياتهم لأن يرجعوا للأمة وعيها بذاتها، وأن يدفعوها دفعاً قوياً يمكنها بواسطته أن تنهض من جديد خاصة أنه وجد في عصرنا كانت فيه خريطة العالم الإسلامي تتصدع بسبب الحروب الصليبية المسماة بحروب الاسترداد في الأندلس ويضطهدون أبناءها بما أقاموه من محاكم التفتيش، ولا أدل على هذا من أن الأندلس كانت تؤكل قطعة قطعة إلى أن ابتلعها الغرب نهائيًا بعد وفاة السنوسي بعامين. ناهيك بتمزق الأمة الداخلي وانغماسها في الانحلال ، وانحراف حكامها واستبدادهم وتكالبهم على السلطة مع الجهل وانتشار الطرق الصوفية الضالة التي خدرت الأمة فأنستها وعيها بذاتها وجعلتها في سبات عميق.

السنوسي نشأ في هذا الجو الذي يتسم بفساد الأمة حكاما وعلماء وعامة عقيدة وأخلاقا فعمل كل ما في وسعه ليعيد الأمة إلى ماضيها التليد كما بينا في الباب الأول من هذه الدراسة.

وقد اخترت " شرحه لمختصره في المنطق " دراسة وتحقيقاً لأسباب كثيرة منها:ـ

أن هذا الكتاب يعطينا صورة واضحة ودقيقة عن مكانة السنوسي العقلية في عصر لا يكاد يعرف فيه العقلاء من كثرة الحمقى. وقد كتبه قبل وفاته بخمس سنوات، أي في قمة نضوجه الفكري. كما أن هذا الكتاب المنطقي يعد وسيلة أساسية في تقنية الذهن من الأفكار الفاسدة وشحذه بالأدلة القوية على حجية الإسلام وهذا ما تحتاجه اليوم في عالمنا الإسلامي الذي يكاد يكون ممسوخاً بما يتعرض له من غزو فكري خاصة أن غرض السنوسي من كتابته هو خدمة علم التوحيد لإصلاح العقيدة في النُّفوس حيث أنها جوهر الإسلام وإصلاحها يؤدي

إلى أصلاح، بالمجتمع من عيوب، ومن هذه الحيثية كـان اهتمـام السنوسـي بـالمنطق، هذا المنطق نجده مملوءاً بالبراهين على وجود الله وخلقه للعالم .

وبذلك فإن السنوسي جعل منطقه خادماً لميتافيزيقـا الإسـلام، ممـا يجعلـه في مصاف علماء الكلام الكبار الذين فعلوا ذلك قبله وبعده، وهو ما يتوافق مع منهج السنوسي الذي جعل علم العقيدة جوهر العلوم والمنطق خادماً لها.

وبالإضافة إلى هذا فإن كتاب السنوسي أتى خالياً من ميتافيزيقا اليونان رغـم غزارة مادته وعمقه مما يجعل له مكانة في تاريخ المنطق والمناهج الاستدلالية، كما أنه يمكن أن يُصْبِحَ مصدرا هاما في المنطق للمهتمين به من مؤرخي المنطق والمشتغلين به بسبب ما امتاز به تقسم منهجي ووضوح وإلمام بقضاياه وتطورها، وبما امتاز به مـن منهج نقدي في تعرضه للمناطقة المختلفين كـالخونجي (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) وابن عرفة (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م) وغيرهما، إضافة إلى ما أتى بـه مـن أفكـار جديدة في مجال المنطق ـ كما بينا في مكانته بين مناطقة المسلمين ـ

والسنوسي يعد من المفكرين الجزائريين القلائل الذين تركوا لنـا مؤلفـات في المنطق، واهتمامه به راجع إلى تأثره لكل من ابن تومرت (ت ٥٢٤ هـ / ١١٢٩م) الذي شـرح مرشـدته في العقيـدة، وشـيخه الغزالـي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١ م) ، وذلك لأن المفكرين في المغرب كانوا ينفرون من المنطق قبل دخول ابن تومرت إليها وإتيانه بمنهج شيخه الغزالي والأشاعرة عموماً في التأويل والمنهج العقلي.

ويبدو أن سبب نفور المثقفين منه راجع إلى سيطرة الفكر المرابطي الذي كـان يوجه اهتمام الناس إلى الاعتناء بفقه الفروع، مما جعل كثيراً مـن المـثقفين يوجهـون اهتمامهم إلى هذا الجانب، خاصة أنه كان يؤهلهم للحصول على وظائف في الدولة كالقضاء والإفتاء وغيرهما.

ولما دخل ابن تومرت وانقادت له الأمة وعمل خلفاؤه على تغيير عقليات الناس وتطهير أذهانهم من منهج المرابطين الحرفي وتوسيع أفق تفكيرهم ليؤهلهم لمواصلة طريق الخلافة الإسلامية. ولا يتحقق هذا إلا بإعطاء القيمة للعقل الإنساني وجعل الناس يستخدمون مناهج عقلية سليمة في تفكيرهم.

والمنطق هو المنهج الذي يمكن استخدامه ليحقق هذا الغرض. ولكن بعد تنظيفه من ميتافيزيقا اليونان وملئه بمادة جديدة مستنبطة من روح الإسلام وعقيدته. وهذا ما فعله الغزالي وتبعه في ذلك السنوسي.

ومن هذه الحيثية فإن المنطق لم يعد يدرس غاية في حد ذاته، بل لوظيفة عقائدية واجتماعية وتربوية، إذ بواسطته تحصل لنا ملكة الجدل والحجاج العقلي التي نستطيع أن ندحض بها مغالطات الخصوم، وبواسطته نستطيع رفع مستوى المجتمع العقلي فنقضي على الفوضى الفكرية التي كانت سائدة في أذهان الناس، وبواسطته نستطيع بناء عقليات المتعلمين بناءً صحيحاً.

السنوسي تنبه إلى هذا، وهو ما فعله كما بينا في دراستنا عنه حيث اعتمده منهجاً في علم العقيدة. وكان يستخدمه في مناظراته، بل حتى في بعض القضايا الفقهية .

وذلك لأن عصر السنوسي اتسم بضعف الدراسات الكلامية والمنطقية بسبب ضعف العقل الذي نتج عن انتشار التصوف البدعي، كما اتسم بضعف المناهج التربوية، ومن هنا فإن دراسة المنطق تعد ضرورية رغم إفتاء بعض الناس بتحريم المنطق.

والسنوسي يعد هؤلاء الذي أفتوا بتحريمة جاهلين به " وربما يصـرع بتحريمـة لا معرفة له بحقيقته"[١].

هذا ولقد وجدنا صعوبات كثيرة في هذه الدراسة، سـواء مـن حيـث المعرفـة بحياة السنوسي ومنهجه، أو من حيث دراسة كتاب " شرحه لمختصره في المنطق"، أو من حيث تحقيقه.

فبالنسبة لحياة السنوسي ومنهجه يمكن حصر الصعوبات فيما يأتي : ـ

عدم وجود دراسات ـ في حدود علمنا ـ شـاملة عـن حيـاة السنوسـي عامـة ومنطقه خاصة ورغم أهمية الدراسة التي قام بها الأستاذ جمال الدين بـوقلى حسـن عن السنوسي " الإمام ابن يوسف السنوسي وعلـم التوحيـد " إلا أن عـدم عثـوره على مخطوط " المواهب القدسية" جعله لا يتعرض لكثير من الجوانب المجهولـة عـن حياة السنوسي، وتكمن أهمية هذا المخطـوط في أن مؤلفـه تتلمـذ علـى السنوسـي ولازمه ما لا يقل عن ٣٥ سنة مما جعله مطلعا على حياته بتفاصيلها، وتحـدث عنـه بما فيه الكفاية، كمـا اطلـع علـى جـل مؤلفـات السنوسـي. وقـد جعلنـاه المصـدر الأساسي.

فقدان كثير من مؤلفات السنوسي وكون كثير منها مازال مخطوطاً، مما جعلنـا نضطر للسفر إلى تلمسان وبوسعادة والديس والهامل وطولقة وبسكرة وغيرهـا مـن التراب الجزائـري، كمـا اضـطررنا للسـفر إلى كـل مـن تـونس وسـوريا بحثاً عـن المخطوطات. وقد وجدنا في كلتا الدولتين مخطوطات من السنوسـي اسـتفدنا منهـا كثيراً.

(١) السنوسي، شرح لمختصر في المنطق، مخ المكتبة الوطنية ، الجزائر رقم ١٣٨٢ ورقه ٢٢٧/ أ .

التشويه الذي تعرض له السنوسي من طرف من أتى بعده خاصة في مجال التصوف مما جعل بعض المفكرين يعده درويشاً.

أما الصعوبات التي واجهتنا في تحليلنا لشرحه لمختصره في المنطق فنذكر منها:ـ

كتاب السنوسي لم يدرس دراسة علمية من قبل . وكثير من الشروح التي كتبت عليه تهتم أكثر بتوضيح ما غمض من ألفاظه، وقد استفدنا كثيرا من شرح الحسن بن مسعود اليوسي (ت ١١٠٢ هـ / ١٦٩١م) والغزالي والخونجي وابن عرفه وغيرهم وذلك لفهمه ومعرفة مدى تأثره بهؤلاء ومكانته بينهم وهل أتى بجديد وما هو ؟.

كثرة الاستطراد في بعض القضايا وغموضها كما هو الحال في الدلالات، وفي عكس القضايا الموجهة. فقد وجدنا صعوبة رغم رجوعنا إلى شراح السنوسي وإلى ما أورده المناطقة الذين تأثر بهم السنوسي فيها كالخونجي وابن عرفه وغيرهما.

أما الصعوبات التي واجهتنا في التحقيق فهي اختلاف النسخ التي قارناها بالزيادة والنقص في القضايا الموجهة والقياس الاقتراني الشرطي.

ولولا أستاذنا الدكتور عمار طالبي الذي كان معي في كل خطوه من خطوات هذا البحث لما استطعت تذليل هذه الصعاب المختلفة التي واجهتي في الدراسة والتحقيق مما يجعلني مدينا له.

هذا وقد دخلنا البحث بنزاهة كاملة ودون أفكار مسبقة، وقد أرشدني أستاذي الروحي د/ عمار طالبي بأن لا أتغاضى عن أي خطأ اكتشفه عن السنوسي، وهذه هي مهمة الباحث العلمي.

Éléments sous droits d'auteur

التشويه الذي تعرض له السنوسي من طرف من أتى بعده خاصة في مجال التصوف مما جعل بعض المفكرين يعده درويشاً.

أما الصعوبات التي واجهتنا في تحليلنا لشرحه لمختصره في المنطق فنذكر منها:ـ

كتاب السنوسي لم يدرس دراسة علمية من قبل . وكثير من الشروح التي كتبت عليه تهتم أكثر بتوضيح ما غمض من ألفاظه، وقد استفدنا كثيرا من شرح الحسن بن مسعود اليوسي (ت ١١٠٢ هـ / ١٦٩١م) والغزالي والخونجي وابن عرفه وغيرهم وذلك لفهمه ومعرفة مدى تأثره بهؤلاء ومكانته بينهم وهل أتى بجديد وما هو ؟.

كثرة الاستطراد في بعض القضايا وغموضها كما هو الحال في الدلالات، وفي عكس القضايا الموجهة. فقد وجدنا صعوبة رغم رجوعنا إلى شراح السنوسي وإلى ما أورده المناطقة الذين تأثر بهم السنوسي فيها كالخونجي وابن عرفه وغيرهما.

أما الصعوبات التي واجهتنا في التحقيق فهي اختلاف النسخ التي قارناها بالزيادة والنقص في القضايا الموجهة والقياس الاقتراني الشرطي.

ولولا أستاذنا الدكتور عمار طالبي الذي كان معي في كل خطوه من خطوات هذا البحث لما استطعت تذليل هذه الصعاب المختلفة التي واجهتي في الدراسة والتحقيق مما يجعلني مدينا له.

هذا وقد دخلنا البحث بنزاهة كاملة ودون أفكار مسبقة، وقد أرشدني أستاذي الروحي د/ عمار طالبي بأن لا أتغاضى عن أي خطأ اكتشفه عن السنوسي، وهذه هي مهمة الباحث العلمي.

ومن هنا فإن ما توصلنا إليه من أحكام، وما أثبتناه من أفكار فرضته علينا الموضوعيه والنزاهة فرضاً.

وليست لنا مصلحة في أن ندافع عن السنوسي أو نهاجمه، بل ما يهمنا هو توخي الموضوعية وإظهار السنوسي على حقيقته.

والسنوسي ظلم كثيراً ممن أتى بعده، فعده بعضهم درويشاً، وعده بعضهم متعصباً جامداً. وكان علينا أن نثبت هذه الاتهامات وغيرها أو ننفيها، ولكن بناء على المعطيات العلمية، وهو ما جعلنا نخصص باباً مكوناً من ثمانية فصول كاملة لكي تلم دراستنا بمختلف جوانب حياته إذ يستحيل الحكم على شخصية كهذه دون هذه الدراسة الشاملة.

وقد توصلنا إلى دحض ما اتهم به، وبينا كل هذا بأدلة علمية.

أما المنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي في بعض الجوانب كحياته ونشأته وشيوخه، وذلك خلال دراستنا لأساتذته وظروف حياته.

واعتمدنا قدر المستطاع على ما وجدناه من نصوص له أو ما كتبه عنه تلميذه الملالي.

وعد أتبعنا كذلك منهجاً استقرائياً تحليلياً تركيبياً فيما يقتضي ذلك كموافقة المختلفة ونقده للعلماء والساسة المتصوفة والمعارضين لمنهجه في الأخذ بالمنطق، ونقده لمختلف المناطقة.

وقد بينا تأثره بمن سبقوه وتأثيره في غيره وقيمته، ومكانته في تاريخ الفكر الإسلامي.أما الخطة التي اتبعناها فقد استقيناها من مؤلفات السنوسي ومواقفه

وكتبه، وما كتبه عنه تلميذه الملالي وغيره ، كما أننا لم نتعرض للجانب الفقهي لأنه يخرج عن موضوع بحثنا. وقد قسمنا دراستنا للسنوسي إلى بابين : ـ

الباب الأول : ـ حياة السنوسي وآثاره ومنهجه، وهو ينقسم إلى ثمانية فصول مختلفة الحجم بسبب المادة العلمية التي توفرت لنا في كل فصل، وكذا طبيعة الفصل ذاته التي قد تحتاج إلى التطويل أو التقصير، أما فصوله فهي: ـ

عصره، حياته، موقفه من بعض قضايا عصره، إنتاجه الفكري، منهجه التربوي، السنوسي والتصوف ، مكانته بين مناطقة المسلمين، تأثيره.

الباب الثاني : ـ تحليل شرح السنوسي لمختصره في المنطق: وقد قسمناه إلى مدخل وستة فصول وهي كذلك مختلفة الحجم، وقد حرصنا قدر المستطاع على الالتزام بالمنهجية التي اتبعها السنوسي مع بعض الاجتهاد منا.

أما فصول هذا الباب فهي : ـ

المنطق واللغة، مبادئ التصورات، مقاصد التصورات، مبادئ التصديقات، مقاصد التصديقات، الصناعات الخمس.

وقد توصلنا خلال هذه الدراسة إلى ضبط تاريخ ولادة السنوسي ومعرفة كثير من الجوانب التي كانت غامضة في حياته كتلمذته على الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ ١٤٧٠م) ومكان تلمذته على الشيخ التازي (ت ٨٦٦هـ) وقوته الجدلية في المناظرات. وإلى بيان نظرته الشمولية للإسلام وتنبهه لما يحيط بالأمة من عوامل الضعف بسبب انحراف العلماء وفساد الحكام وضياع حقوق الضعفاء، ومحاولته إصلاح كل هذا إضافة إلى تنبهه لخطر اليهود ومعرفة دسائسهم، فوقف منهم موقفا يدل على إدراكه لأهدافهم.

إحاطته بعلوم عصره، ولا أدل عل هذا الإنتاج الهائل الذي تركـه في مختلـف المعارف، وكمثال على هذا، فقد ألف في التوحيد سبعة عشر كتابا، وفسـر القـرآن الكريم بكامله وألف ثلاثة كتب في علومه، وستة كتب في الحديث وثلاثة في الطـب وخمسة في المنطق،....

وضع منهجاً تربوياً في التعليم مُسْتَنْبطاً من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن ظروف عصره، لا يقل ـ نظرنا ـ عن أحدث النظريات التربوية ، ومن أهم ما توصل إليه السنوسي في هذا المجال اعتباره الضرب طريقا غير تربوي، كمـا وضـع منهاجـا مهما في الوعظ، وهذان الجانبان مهمان لأن إصلاحهما سيؤدي حتمـاً إلى إصـلاح المجتمع.

عني عناية كبيرة جداً بعلم التوحيد وجعله جوهر العلوم، وذلك اعتقاداً منـه أن إصلاح الإنسان يبدأ بإصلاح النفس، وأساس إصلاح النفس إصـلاح العقيـدة، واستطاع بمؤلفاته الكثيرة إحياء هذا العلم ولا أدل على هذا مـن تـأثير مؤلفاتـه في الأمة من مشرقها إلى مغربها إلى يومنا هذا.

رغم وجود السنوسي في عصر يصدق الناس فيه الكثير من الخرافات، ورغم أخذه طريقة صوفية وفقا لما اعتاد عليه مثقفو عصره، إلا أنه شق طريقا في التصوف قائما على الكتاب والسنة رافضاً خرافات المشعوذين مـن المتصـوفة، ولـذلك كـان تصوفه بنّاء يرمي إلى تربية النفس وتهذيبها بالفضائل، وتمكن في هذا الجـو أن يعيـد للعقل اعتباره ويجعله هو المحك، وهذه قضية ليست سهله في ذلك العصـر وأعطى العلوم العقلية مكانها، ومن هـذه العلـوم المنطـق وقـد اسـتطاع أن يوظفـه لخدمـة العقيدة بجعله منهجاً من مناهجها دون أن يتأثر بميتافيزيقا اليونان، وبهذا يكـون قـد تمكن من أسلمته، أي أنه سبق الذين ينادون اليوم بأسلمة العلوم الإنسـانية بقـرون

كثيرة مما يجعل لمنطقه مكانة اليوم، إذ إنه وسيلة لإصلاح العقل، وقد استطاع السنوسي أن يجدد في هذا المنطق كما بينا خلال دراستنا لمنطقه، ومما جدد فيه: ـ

ضبطه لبعض التعاريف، كتعريفه للفظ المركب، والعكس.

مخالفته لأكبر المناطقة، كما هو الحال في ترتيب أضرب الشكل الثالث المنتجة. اكتشافه لنظرية كم المحمول ضمن حديثه عن القضايا المنحرفة وسبقه بذلك الفيلسوف الانجليزي وليام هاملتون (١٧٨٨ ـ ١٨٥٦) .

إضافته منحرفات جديدة.

ولا أدل على عظمة السنوسي من تأثيره فيمن أتى بعده عصراً بعد عصر، لأكثر من أربعة قرون، وكان تأثيره فعالاً في جوانب ثلاث: التوحيد والمنطق والتصوف، كما بينا في دراستنا عنه.

هذا ولا نعتقد أننا بلغنا الكمال في دراستنا هذه، ولكننا بذلنا كل ما نملك من طاقة، وعسى غيرنا أن يكمل ما قصرنا فيه.

الباب الأوّل

حياة السنوسي وآثاره ومنهجه

الفصل الأول: عصــــــره

الفصل الثاني: حياتــــــه

الفصل الثالث: موقفه من بعض قضايا عصره

الفصل الرابع: انتاجه الفكري

الفصل الخامس: منهجه التربوي

الفصل السادس: السنوسي والتصوف

الفصل السابع: مكانة السنوسي بين مناطقة المسلمين

الفصل الثامن: تأثيره

الفصل الأول

عصـــــره

١ ـ الحياة السياسية :

النائبة التي أصابت المسلمين في صفين سنة ٣٨ هـ أخرجتهم ((من جو المدينة الذي كان مشحوناً بهدى الروح وبواعث التقدم إلى جو دمشق حيث تجمعت مظاهر الترف وفتور الإيمان)) [(١)]، ذلك أنه نتج عن صفين تحطيم النظام السياسي الإسلامي القائم على الشورى والعدل على يد بني أمية، ومنذ تحطيمه والمسلمون يعانون من الاضطرابات السياسية والتمردات والقلاقل والانقسامات، وهذا نتيجة منطقية لفساد الحكام وانحرافهم عن تعاليم الإسلام، ومن البلاهة أن يعتقد معتقد بأن تغيير نظام الحكم في الإسلام من الشورى إلى الوراثة لم يغير مجريات الأمور، وأن الخلل السياسي لم يؤثر على النواحي الأخرى، لأنه بعد تحطيم النظام السياسي تحطمت أنظمة أخرى في الدولة الإسلامية كنتيجة حتمية له، كنظام الشورى، والنظام المالي والأخلاقي القانوني، فتغيرت طريقة عيش الحكام وزالت حرية الرأي وحرية القضاء، وزالت سيادة القانون. وبعد أن كان الحاكم في الإسلام يدعو إلى دينه ويجتهد في نشره أصبح بعد ذلك يدعو إلى تمجيد أسرته وتقديسها ونبش القبور على الأموات لإظهار الشرف والرفعة القائمة على العرق والنعرات

---

(١) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، ط٣ ، دار الفكر بيروت، ١٩٦٩، ص ٧٠.

القبلية التي قضى عليها الرسول ﷺ[1]، نقائض جرير والأخطل والفرزدق خير دليل على ما نقول.

وهنا ندرك مدى أهمية النظام السياسي الإسلامي والخطورة النَّاتجة عن الانحراف عنه وهو ما حل بالمسلمين إلى يومنا هذا من ويلات.

وإذا كان أثر هذا لم يظهر في فترة مبكرة، فإن ذلك يعود إلى سبب أساسي، وهو أن الدفع العقدي الذي قام به الرسول ﷺ وكبار الصحابة والخلفاء الراشدون الأربعة اسْتَمَرَّ قوياً.

وقد حاول القادة المسلمون المخلصون تصحيح الأوضاع والرجوع بالمسلمين إلى حظيرة الإسلام كما فعل عمر بن عبد العزيز[2] في الصدر الأول من تاريخنا، وكما فعل الموحدون في المغرب الإسلامي والأندلس إبتداء من مبايعة المهدي بن تومرت (٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م) سنة ٥١٥ هـ . ولكن المرض كان خطيراً، فما أن سقطت دولة الموحدين في القرن ٧ هـ حتى عاد الخطر من جديد، بل كان سقوطها

---

(١) أبو الأعلى المودودي ، الخلافة والملك ، تعريب أحمد إدريس ط ١ دار القلم الكويت ١٩٧٨، ص ١٩ .... ١١٢ .

(٢) هو أبو حفصي عمر بن عبد العزيز بن مروان، من حكام بني أمية، اشتهر بعد له وورعه حتى قيل عنه بأنه خامس الخلفاء الراشدين، نشأ بالمدينة وولى إمارتها للوليد ثم أصبح وزير السليمان بن عبد الملك، وولى الخلافة بعهد منه سنة ٩٩ هـ قيل إن بني أمية تالبوا عليه ود سوله أسم فمات مصمما، وذلك بسبب منعهم من استغلال الضعفاء وأكل أموال الناس في الباطل توفي سنة ٨٨٥ هـ (أبن منقذ القسنطيني ، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، د ط، مؤسسة نويهض الثقافية. بيروت ٩٨٢ ص ١٠٣) .

((بداية للانحطاط العام، ففيه كثر الملوك واشتد الصراع على السلطة، وسادت الفوضى، ووجد الولاة طريقا إلى الجور وأخيفت الطرقات))[١].

وتلمسان التي قضى فيها شيخنا السنوسي حياته كانت تاج الموحدين[٢] فما أن سقطت دولتهم إلا وأصبحت تلمسان مطمع الغزاة وطلاب الملك، فكثرت فيها الفتن، وقل الأمن وظهر الإجرام والانحراف عن مبادئ الشرع، ذلك أنه بعد سقوط دولة الموحدين انقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاث دويلات متصارعة متحاربة، كل واحدة تريد ضم الآخرين إليها هي :-

- حفصيون الذين اتخذوا تونس عاصمة لهم، وقد أسس دولتهم أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥م) الذي كان عاملا للموحدين على تونس، وقد استغل أبو زكريا يحي (٧٠٠ هـ / ١٣٠٠م) ضعف الموحدين ليعلن استقلال تونس سنة ٦٢٧ هـ ١٢٢٩م فاعترف بسلطته أهل طنجه وسبته وبعض مدن الأندلس[٣] .
- وعلى ذكر الأندلس فإنها هي كذلك كانت عرضة للانقسامات، وسببها شهوات الحكام وحسب تسلطهم وانحرافهم، فبدأت دويلاتهم تتساقط الواحدة تلو الأخرى في أيدي النصارى الذين كان حكام المسلمين يستعينون بهم على

---

(١) عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف د ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٨، ص ١٢.

(٢) جمال الدين بوقلي حسن، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، د ط المؤسسة الوطنية للكتاب، ص ١٤، ١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤ ، ١٥ .

تصفية حسابات بعضهم البعض، ولم تبق إلا مملكة غرناطة التي سقطت سنة ٨٩٧ هـ[١].

- والزيانيون الذين اتخذوا تلمسان عاصمة لهم، وقد أسس دولتهم بنو عبد الواد، والذين كانوا تابعين للموحدين، وبنو زيان من أمراء القبائل الرحل التي كانت تنتقل في صحراء الجزائر بحثا عن الكلأ لأغنامها، وكانوا يستقرون صيفا في سهول وهران خادمين عامل الموحدين في تلمسان وقد منعوا بني غانية الموالين للمرابطين من دخول تلمسان فكافأهم خليفة الموحدين بأن عيّن يغمرسان بن زيان سنة ٦٢٤/ ١٢٢٧ عاملاً على تلمسان وبلاد زناتة، وبعد ٤٠ سنة زالت دولة الموحدين واستقل يعمراسن بن زيان بإقليم تلمسان ثم أسس دولة جزائرية بين الحفصيين والمرينين.[٢]

- والمرينيون الذين اتخذوا فاس عاصمة لهم، وقد أسس دولتهم أبو يوسف عبد الله بن عبد الحق سنة ٥٦٨ هـ / ١٢٦٩ م على إثر سلسلة من الغارات على الموحدين، وهو ما يبرر عداوتهم للحفصيين الذين كانوا يساعدون الموحدين وما دامت تلمسان تتوسط هاتين الدويلتين فإن الضغط عليها كان كبيراً من الطرفين خاصة الحفصيين، وقد انعكس ذلك على أهلها الذين كانوا يتلقون الضربات من كلا الطرفين (المرينين والحفصيين) فكثرت الفتن والقلاقل، وقل الأمن وضعف سلطان الدين في نفوس كثير من الناس، فظهرت السرقة، وقطع الطرق ووجدت الجماعات بين الفينة والاخرى بسبب ما يضرب على تلمسان من حصار وسبب تكالب المرينين والحفصيين على تلمسان: أن المرينيين قوم

---

(١) عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، ص ١٣ .

(٢) عطاء الله دهينة وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي) دكا المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص ٣٥٩.

رحل كالزيانيين ينتمون في أصلهم إلى قبيلة زناته التي ينتمي إليها الزيانيون، وقد عاشوا مدة طويلة في الصحراء مع أهليهم ويبدو أنه كان هناك تنافس ونزاع بين القبيلتين ((حول المراعي ومنابع المياه والمرور بالممرات الخاصة وسرقة المواشي فضلا عن نزعات التفوق وخصام رعاة المواشي إلي تسيل في الدماء وقيام حالات الثأر المستمرة)) [1]. فأحيوا ذلك الصراع مع الزيانيين بعد قيام دولتهم بالمغرب فكان حقدهم على الزيانيين شديداً، فأرادوا التخلص منهم، ثم ليفسح الطريق أمام توسعهم إلى الشرق لأنهم بعد انتزاعهم المغرب من أيدي الموحدين شعروا بقوتهم، فأرادوا ضم الجزائر وتونس إليهم، فكانت تلمسان العقبة الكؤود مما جعل جيوش المرينين تتصادم مع جيوش بني زيان في سهل إيلس مرتين، أدى إلى توقف زحف الحربيين إلى الشرق[2] ذلك الزحف الذي لو اتجه نحو الْغرْب (الأندلس) لينقذها من الإفرنج، وليوقف محاكم التفتيش لكان في طريقه الصحيح. أما حقد الحفصيين على الزينيين ، فسببه أن الحفصيين كانوا يعتبرون أنفسهم الورثه الشرعيين للموحدين، ومن هنا فلا بد أن تكون تلمسان تابعة لهم[3]، وهوما يفسر لنا سبب الصراع بين الحفصيين والمرينيين، إذ كان المرينيون يريدون ضم تونس والجزائر إليهم مغترين بقوتهم، بينما كان الحفصيون يعتبرون المرينيين غير شرعيين. وإذا كانت تلمسان تعيش في محن بسبب تعرضها المستمر لأخطاء الدويلتين المجاورتين فأنها لم تسلم كذلك من أخطار قبائل منطقة الشلف وجبال الونشريس وبعض القبائل العربية الأخرى

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٠ .

(٢) المصدر نفسة ص ٣٦٠ .

(٣) جمال الدين بوقلي حسن، الامام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، ص ١٦.

التي كانت تتربص بتلمسان الدوائر.[١] هذا جعل مدينة السنوسي تعيش في اضطراب وفتن وقلاقل لمدة طويلة. فقد حاصرها جيرانها مرات عديدة، فنبهت وقتل أبناؤها وشردوا. وإذا كانت تلمسان تعاني ما تعاني بسبب ما ذكرنا فقد أضيف إلى تلك المعاناة الصراع بين أفراد العائلة الحاكمة على السلطة وفساد حكامها وانحلالهم وطغيانهم، وتكالبهم على أموال الخزينة لإشباع نهمهم الذي لا يشبع.

- وهو ما يفسر لنا سبب كراهية السنوسي لهم وبعده عنهم ولا أدل على ذلك من عبد الرحمن بن أبي خولة الذي قلد الإمارة سنة ٨١٣ هـ. إذ ما قلدها إلا ليستولي على موارد الدولة، ويشتت أموال الخزينة بما انغمس فيه من بذخ ورفاهية.[٢] هذا كله انعكس على الحياة الاجتماعية والفكرية، وهنا يحسن أن نتعرض لهذين الجانبين بالبحث.

---

(١) عطاء الله دهينة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ص ٦٣٠ .

(٢) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور د ط المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ١٩٨٤، ص ٢١١.

٢ ـ الحياة الاجتماعية:

أشرنا إلى أن انحراف المسلمين عن النظام السياسي الإسلامي أدى إلى تحطيم النظام المالي والقضائي وزوال حرية الرأي وغير ذلك ، وقد أضيف إلى تلك المأساة عدم الاستقرار السياسي الذي حل بتلمسان والمغرب الإسلامي عامة، وقد رأينا تصارع تلك الدويلات الثلاث، مما جعل تلمسان تعيش في كثير من مراحل تاريخا في خوف وفزع، ناهيك عن تسلط حكامها واستبدادهم وتبذيرهم للأموال واتخاذهم الخدم والحشم من النصارى أعداء المسلمين، وفرضهم الضرائب الباهظة على المواطنين من أجل تجهيز الجيوش للقضاء على إخوانهم وشراء رؤساء القبائل بالمال بغية المساعدة في الحروب.

كل هذا أدى إلى تردى الأوضاع الاجتماعية وفك عرى الإسلام التي وحدت المسلمين. ويمكننا أن نلخص فساد الأوضاع الاجتماعية وما حل بالمسلمين بسبب ذلك فيما يأتي : -

- تردي الحالة الاقتصادية، وذلك أن الملكية أصبحت غير عادلة، وأكثر الناس ملكا الملك وحاشيته ثم الأقرب فالأقرب،(١) ومن أسباب نشوء هذه الظاهرة تحالف الدولة مع أعيان القبائل، فكانت تغدق عليهم العطايا وتقتطعهم مناطق ترابية بالإضافة إلى المرتزقة الأجانب كالنصارى رماة الرماح، وبعض اليهود الذين استعملهم الأمراء مستشارين لهم(٢).

(١) جمال الدين بوقلي حسن، الإمام أبو يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ٢٣ ، ٢٤

(٢) عطاء الله دهينة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ص ٤٨٩

أما الأغلبية من الناس فلم يكن لهم سوى الفقر والجوع والحرمان، وقد زاد من كآبتهم تنكر الكثير من العلماء لهم واحتقارهم، وهو ما جعل السنوسي يثور على هذا النوع من العلماء كما سنبين.

بالإضافة إلى هذا، فقد كانت تلمسان تتعرض إلى المجاعات بين الفينة والأخرى بسبب الحصار المتكرر الذي كانت تتعرض له مما كان يؤدي إلى الغلاء الشديد والجوع المهول، ويذكر ابن مريم[١] أن الكثير من المساجد تعطلت فيها الصلاة بسبب اشتغال الناس بالجوع[٢].وأدى الجوع إلى التفكك الاجتماعي، فظهرت اللصوصية وانتشرت الأنانية.

وقد فسدت أخلاق الناس التجارية، فكان الجزائر في تلمسان يخلط مع اللحم شيئاً من الكرش والأمعاء أو الشحم على حسب الثمن وحالة المشتري، فإن كان المشتري من طبقة محظوظة يخشى بأسه لا يعطيه الجزار إلا اللحم وحده، أما إن كان المشتري فقيراً فيضيف له الجزاز كمية كبيرة من الشحم والأمعاء وتحسب مع اللحم في الميزان، أما الخبازون، فقد اعتاد بعضهم بيع الخبز قبل استوائه الجيد، وكانوا يدفعون رشاوى مع الجزازين للمحتسب كي

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بإبن مريم، الشريف المليتي المديوني التلمساني أخذ العلم عن جماعة منهم محمد بن عمر الملالي، غلب عليه طابع التصوف السلبي، له مؤلفات منها : ((البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان)) شرح المرادية للتازي" " وكشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد للسنوسي))، ((شرح على مختصر الصغرى للسنوسي))، توفي بعد سنة ١٠١٤ هـ، (أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، د ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١، ج ١، ص ٤٨٢، عادل نويهض معجم أعلام الجزائر، ط ٢ مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٩٢، ٢٩٣)

(٢) أبو مريم ،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، د ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر ١٩٠٨، ص٢٢٤

يغض الطرف عن فعلتهم تلك، وقد انتشر التزيف والغش في العملة حتى كادت رؤس أموال الناس تنقرض من أيديهم بغلاء الأسعار، كما انتشر التناجس في أسواق تلمسان[١]

- انتشار اللصوصية والعصابات الإجرامية وقطع الطرق: وقد لجأ إلى هذا بعض العصاه من القبائل[٢] وسبب ذلك في نظرنا، أن الدولة لم تعد مهتمة بالحفاظ على الأمن ومنع الإجرام بسبب اشتغال حكامها بمحاربة المرينيين والحفصيين الذين كانوا يهاجمون تلمسان، بسبب فساد الحكام أنفسهم كما بيننا من قبل.

- طغيان النصارى واليهود وتجبرهم، فالنصارى كانوا يعيشون في تلمسان وغيرها وقد استغلوا تسامح المسلمين معهم، فكانوا يمارسون طقوسهم في كنائسهم بكل حرية مع أنهم جميعاً من أصل أوروبي ، لأن أخر ما تبقى من النصرانية في شمال إفريقيا إندثر منذ عهد الموحدين.[٣] ومع أنهم ليسوا من أصل جزائري إلا أنهم طغوا وتجبروا بسبب أن بعض ملوك الزيانيين اتخذوا منهم كثيراً من حرصهم الخاص، هذا الحرص أوشك على اغتيال يغمراسن، وقد تمكنوا من اغتيال أخيه، فاضطر جند المسلمين قتل هؤلاء الحرس الذين دبّرو حادثة الاغتيال، وقد نجا رئيسهم الذي فر ولم يدرك[٤] بالإضافة إلى خطر النصارى الداخليين، فهناك النصارى الخارجيون، ونذكر على سبيل المثال أن الإسبان استولوا على غرناطة (آخر دويلة إسلامية في الأندلس) سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢م وفي سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م هاجم البرتغاليون المرسي الكبير

(١) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص ٢٢٣،٢٢٤.
(٢) جمال الدين بوقلي حسن، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، ص ٢٤ .
(٣) عطاء الله دهينة وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي) ص ٤٩٠.
(٤) المصدر نفسه ص ٣٦١

ووهران، وفي سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٥ م احتل الإسبان المرسي الكبير ، وفي سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٩ م استولوا على مدينة وهران وفي سنة ٩١٥ هـ / ١٥١٠ م احتلوا بجاية [١] ... الخ .

أما اليهود فلم يقلوا خطورة عن النصارى، وكان بتلمسان طائفة غير قليلة منهم وقد التحق بهم كثير من اليهود الأندلسيين فرارا من محاكم التفتيش[٢]، لكن اليهود معروفون بحقدهم الدفين على المسلمين ((لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود))[٣] فرغم شمولهم برعاية الزيانيين إلا أنهم كانوا يمارسون كل أنواع الاستغلال، والاحتكار والايقاع بين الناس والتزلف للحكام، والتأثير عليهم، وتأليبهم على المسلمين ، ولا أدل على هذا مما فعله يهود توات الذين وصل بهم الأمر إلى بناء البيع واستعلائهم بها على المسلمين وإسائتهم البالغة لهم.[٤] وقد وجد محمد بن عبد الكريم المغيلي (المتوفي سنة ٩٠٩ هـ) نفسه مضطراً لإيقاف فسادهم كما سنبين من بعد .

ونستنتج من هذا أن أهل الذمة استغلوا ضعف المسلمين السياسي والاقتصادي فراحوا يستعلمون حيلهم ونفوذهم للتدخل في شؤون المسلمين[٥] وبث الانحلال الاخلاقي الذي يؤدي إلى تفكيك المجتمع، وهو ما جعل السنوسي يتنبه إلى خطرهم فيؤيد المغيلي في موقفه من اليهود.

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٥٥ ، ٤٥٦

(٢) المصدر نفسه ص ٤٩٠

(٣) المائدة / ٨٤ .

(٤) رابح بونار، مقدمة مصباح الأرواح في أصول الفلاح للمغيلي، د ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٦٨، ص ١٣،١٤

(٥) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٤٣

- تعدد الاجناس بتلمسان: ومن أسباب ذلك أنها ملتقى عدة شبكات تجارية فهي ملتقى الصحراويين وسودانيين وغيرهم ، مع الجزائريين والإيطاليين والفرنسيين واليهود والأندلسيين، وكل صنف من هؤلاء له عادات وتقاليد يحافظ عليها،[١] وهذا سيؤدي من دون شك إلى تفكك المجتمع وتداخل تلك العادات والتقاليد، خاصة وأن الدولة مشغولة بجيرانها، ثم إن أغلب حكامها ظلمة.هذه الظروف كلها أدت الى تفكك المجتمع تفككاً كبيراً ، فانقلبت الموازين، وضاع الإيمان، واضطربت العقيدة في النفوس وجهلت، ولم يعد ميزان الأفضلية للتقوى بل للقرب من الحكام الظلمة، فلم يعد الشخص يقدر لعلمه وتقواه، بل على قدر وظيفته في الدولة، والمكانة التي يشغلها،[٢] وأصبح المرء يشعر بلذة عندنا ينتسب في التلمذة إلى عالم خادم للسلطان، ويشعر بخزي إن نسب نفسه إلى عالم حر،[٣] وهذه قضية خطيرة تبين انحراف الناس عن الصراط المستقيم وتحكم الأهواء والأطماع في نفوسهم، وهذا من أهم الوسائل التي تبعد عن العلم الحقيقي، وهو ما يفسر لنا الوضعية الفاسدة التي كان يعيشها المسلمون والتي وجدهم السنوسي عليها، مما يجعل مهمته صعبة، ويعرفنا بالإسباب التي أدت به إلى الإهتمام بما أهتم به من علوم ومن إصلاح.

ونتيجة لفساد الأخلاق وتفكك المجتمع انحاز كثير من الناس إلى الهروب من الواقع الاجتماعي المتعفن، والإنقطاع للخلوة والعبادة والزهد في الدنيا، فظهر كثير من أدعياء التصوف، وكان كثيراً منهم محتالاً، وأصبح كل درويش مغفل يعتبر وليا وصاحب كرامات، وكل مستغل للعامة باسم الدين، ومتقرب

(١) جمال الدين بوقلي حسن، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، ص ٢٦ .
(٢) ابن مريم البستان ص ٧ .
(٣) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٤٩ .

للسلطان باسم الطريقة بعد قطب ، تأتيه الجبايات، ويقصده الناس بالرشي والقرابين ويقصده الحكام بالعطايا والهدايا،(١) ونوافق هنا مالك بن نبي الذي يرى أن الجزائر التي شيدت المعابد للدراويش المتصوفين في الكون، أصبحت – ((على الرغم من إسلامها- تدين بالوثنية التي قامت نصبها في الزوايا، هنالك كانت تذهب الأرواح الكاسدة لإلتماس البركات ولإقتناء الحروز ذات الخوارق والمعجزات)) (٢) وأملهم دخول الجنة التي وعدوها من طرف الشيوخ بلا كد ولا عمل، إلا ما يتلمسون من رضا شيوخهم ودعواتهم،(٣) وهم الذين قال فيهم عبد الرحمن الاخضري (المتوفي سنة ٩٥٣هـ) :-

وزنتهم بالشرع فهو نائي ... منهم كمثل الأرض والسماء

وزنتهم بمنهج الحقيقية ... فلم أجد لهم منها دقيقة

بل هتكوا محارم الشرع القويم ... فنكبوا على السراط المستقيم(٤)

وقد كثر الدراويش الدجاجلة فأصبحوا مهددين للحياة العقلية في البلاد بأسرها، وهو ما يهدد وجود الإسلام ولغته. (٥)

- وهذا ما جعل السنوسي يعطي تلك القيمة للعقل التي سنتحث عنها في مفهوم التصوف عنده – وقد كثرت المؤلفات في هذا المجال " كالنجم الثاقب" لا بن

---

(١)المصدر نفسه ص ٤٨٢.

(٢) مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ص ٣٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

(٤) أحمد بن داود، العقد الجوهري في تعريف الشيخ عبد الرحمن الشهير بالأخضري مخ رقم ٨٤٨١، دار الكتب الوطنية، تونس ورقة٧.

(٥) أبو القاسم يعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعيا لسلفه ، ط ١ دار المغارب الإسلامي بيروت، ١٩٨٦ ، صفحة ٢٩.

صعد (المتوفي سنة ٩٠١هـ) " والبستان لابن مريم ، " ومطلوب الفوز" لعيسى البطيوى (كان حياً في القرن ١١هـ) وبستان الأزهار" لمحمد الصبغ القلعي (كان حياً في القرن ١٠ هـ) " وكعبة الطائفين" لمحمد بن سليمان (كان حياً في القرن ١١ هـ) .

ونشير إلى بعض ماورد من كرامات في " البستان " لابن مريم، لنعرف عقلية الناس آنذاك ولندرك انزلاق العقل إلى الحضيض الأسفل – وهو ما جعل السنوسي يعيد له الاعتبار كما سنعرف في مفهوم التصوف عنده،- فمما أورده ابن مريم أن الشيخ أحمد بن حسن الغماري (ت ٨٧٠هـ) بتلمسان، كان يسقي الناس الماء زمن الحر في سوق ندرومة في إبريق كان عنده، لم يكن يملأه، لأن ما به من ماء لا ينتهي إذ كان ينبع، من قعر ذلك الإبريق ماء كالعين، وقد نام في المسجد زمن مجاعة كنومة أصحاب الكهف، ولم يفق من نومه إلا بعد انتهائها، وكان يحج طائراً وعندما يصل إلى بحر يلتقي طرفاه فيجتازه بقدم واحدة وكان مرة يطير وأخرى تطوى له الأرض، وعندما مر على مصر رآها مملوءة تحته بالمصابيح.(١)

ويذكر ذلك أن بعض الأولياء يحجون كل سنة، ويذهبون حيث شاءوا ولا يشاهد الناس لهم غيبة ولو يوما واحداً، لأنهم إذا ذهبوا تركوا بديلاً على صورتهم يشبههم في جميع أحوالهم فلا يتفطن أحد بسبب ذلك.(٢)

وهذا عبد الرحمن اليعقوبي (توفي قريباً من سنة ٩٣٠هـ) عقد صلحاً بين أولاد طلحة فرفض فارس منهم ذلك، فاغتاظ الشيخ وقطع وادي تافنة والنهر

---

(١) أبة القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ١ ، ص ٤٨٢ .

(٢) أبن مريم ، البستان، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ .

كبيرة، فدخل فيه وانقسم الوادي حتى مر الشيخ وأصحابه في النهر بأحذيتهم دون أن يصيبهم بلل وعندما اجتازوه عاد إلى حالته الطبيعية.

وهذا أبو مديث الغوث (ت ٥٩٤هـ) كانت الناس تجتمع عليه أثناء وعظه من كل جهة تمر به الطيور وهو يتكلم فتقف لتسمع، وربما مات بعضها، وكثيراً ما يموت بمجلسه أهل الحب، وكان هو في ضواحي فاس تأتيه غزالة تأوي إليه وتؤانسه وقد أمر أحد تلامذته بالدخول في فرن خباز، فدخل ومكث فيه مدة والنار تضطرم برداً وسلاماً، وقد أسره العدو يوماً وجعلوه في سفينة فيها جماعة من أسارى المسلمين، فتوقف حتى أطلق سراح الجميع.[١]

نستنتج مما سبق أن الناس بسبب التفكك الاجتماعي والاستبداد والفوضى مالوا إلى الانعزال فازدهر التصوف، ولكنه كان مخلوطاً بالبدع والشعوذه والخرافات وأصبح عند البعض وسيلة للرشوة والنهب واستغلال العامة، ولم يعد تصوفاً سنياًفها هو أحمد بن ساسي النوني ينادي باسقاط التدبير عن الإنسان نهائيا وأن الإنسان في نظره مجبور لا حرية له البتة[٢]، وها هو صاحب الطريقة اليوسفية أحمد بن يوسف الهواري الوجودي (ت ٩٢٧ هـ / ١٤٦٥ م) يدعى أحد أتباعه فيه النبوة فيتبعه الأحلاف من البوادي وأهل الاهواء من الحواضر، عندما توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي (سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥ م) قام تلميذه عمرو المريدي(ت ٨٩٠هـ) بالانتقام من أعداء شيخه، وقتل الفقهاء فطارت شهرته

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢

(٢) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ط ١ ص ٤٨٣، ٤٨٤.

فاستغل هذا ليدعي النبوة.[1]. والسنوسي ذاته نسبت إليه الكثير من الكرامات كقبضة حفنة ذهب من الهواء لأحد الذين طلبوا منه ذلك.

وهكذا وقع الانحراف في الطريق الحقيقي للتصوف، وتحول من العالم إلى الخرافة ، ومن الولاية إلى الشعوذه ... ساد التخلف، ونامت فيه أعين الرقباء وظهر المدعون بالدعوات الضالة المضرة بالمصلحة العامة، لم يقفوا عند حدهم، فمارسوا نشاطهم بكل حرية، فطغوا وعاثوا في الأرض فساداً، فأنتشرت الفوضى الدينية، وكثرت الخرافات، وحل السحر محل العلم[2] وازدهرت التمائم بدل الطب وهو ما جعل السنوسي يحاربها متأثراً بأستاذه التازي الذي حلف أن لا يكتب حرزاً بعد أن وجد حرزاً في المزبلة كان قد كتبه بيده وفيه آيات من القرآن الكريم، فعاهد الله على أن لا يكتب بعد ذلك أي حرز، ونصح السنوسي بذلك وقد التزم بنصيحة أستاذه[3]. فتخلف العقل والعلم وازدهر الجهل،[4] وهذا في الوقت الذي كانت فيه أوربا تسير بخطى متزنة نحو إدراكها لهويتها الثقافية وإرجاعها للعقل قيمته وللحرية مكانها .

وقد نشأ صراع كبير بين المدعين للولاية بسبب جمع المال، وإدعاء الولاية، فاشتد التنافس بينهم، فانتشر ذلك إلى أتباعهم الذين قامت بينهم الحروب والمشاحنات، وتبادلوا الشتائم والضرب بسبب ذلك.[5] ويلخص هذه الوضعية الاجتماعية المزرية ما أورده القاضي أبو عبد الله المقَري (ت ٧٩٥هـ / ٣٩٢ م)

---

(١) جمال الدين بوقلي حسن، الإمام إبن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، ص ٣١ ، ٣٢ .
(٢) أبو القاسم سعد الله المصدر نفسه ص ٤٨٨ .
(٣) الملالي، المواهب القدسية ، مخ دار الكتب الوطنية، تونس رقم ٦٢٥٣ .
(٤) أبو القاسم سعد الله المصدر السابق، ص ٤٨٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٩٢ .

– رغم ما فيه من مبالغة – بقوله: – ((لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في اليهود والنصارى، لأننا أتينا أكثر مما أتوا)). [1]

والسنوسي ولد في هذا المجتمع، إنه مجتمع يحتاج إلى تغيير جذري يبدأ بإصلاح النفوس الفاسدة ببث العقيدة الصحيحة فيها، وتهذيب طباعها بالعلم والأخلاق لينتج عن ذلك إصلاح المجتمع، وهذا ما سيفعله السنوسي. ولكن قبل أن نعرف ذلك يجب تبيين الحياة الثقافية التي كانت عليها تلمسان في عصر السنوسي .

٣- الحياة الثقافية :

لقد رأينا كلا من الحياة السياسية والاجتماعية التي كانت عليها تلمسان خاصة والمغرب الإسلامي عامة ورأينا أن عصر السنوسي عصر انحطاط سياسي واجتماعي وأخلاقي وهذا من دون شك سيكون له أثره البالغ على سير الثقافة، ذلك أن روح العصر تلعب دوراً أساسياً في تحديد ثقافة المجتمع وفكره، وما دام عصر السنوسي قد اتسم بكثرة الإضطرابات والفتن، فإن ثقافة عصره قد تأثرت بهذا، وهو ما أدى إلى انتشار الشعوذه والسحر وكثرة الطرق الصوفية المنحرفة، ولكن كل هذا لم يمنع من وجود حياة ثقافية معينة رغم تأثرها بروح العصر، ويمكن أن تنحصر أسباب وجودها فيما يأتي: –

١. أهتمام ملوك بني زيان بالثقافة – خاصة أبا حمو موسى الثاني – ونهضوا بها نهضة واسعة جعلها تستمر رغم كثرة الإضطرابات المتتالية .

(١) عبد الرازق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، ص ١٩

٢. هجرة كثير من علماء الأندلس إلى تلمسان بعد سقوط غرناطة،[١] فنقلوا إلى تلمسان علومهم وآدابهم ونظموا حلقات التعليم بالمساجد والمدارس وجعلوا المسجد الجامع بمثابة جامعة لا يقل أهمية عن جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، وظهر عدد لا بأس به من علماء الأصول والتفسير والتوحيد والعلوم اللسانية والرياضية وغيرها[٢] .

ولا أدل على إزدهار الثقافة من إنتشار المدارس ، وقد أسست مدارس تلمسان الخمس في عهد بني زيان، فأول مدرسة أسست بتلمسان أسسها أبو حمو موسى الأول، ثم المدرسة التاشفينية التي بناها ابنه بجانب الجامع الأعظم، وهي التي هدمها الاستعمار الفرنسي وبنى على أنقاضها دار البلدية، ثم مدرسة قرية العباد التي أمر ببنائها السلطان أبو الحسن المريني سنة ٧٤٣ هـ أيام أستيلاء المرينين على تلمسان، - ويبدوا لنا أنها بنيت لغرض سياسي الهدف منه الدعاية للمرينيين - ثم المدرسة التي أنشأها ابنه بجانب مسجد أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوى سنة ٧٥٤ هـ ثم المدرسة اليعقوبية التي أسسها أبو حمو موسى الثاني سنة ٧٦٥هـ. [٣]

ولكن رغم الجهود فأن أغلب الدراسات العلمية لم يستطيع أصحابها الخروج من إطار العصر الذي كانوا يعيشون فيه، فغلب عليها طابع تكرار ما مض أو شرحه بغية التوضيح لا الإبداع، أما علوم هذا العصر فكان يغلب عليها الطابع الديني، ذلك أن العلوم الدينية كانت هي المستخوذه على عقول المفكرين الذين كان كثير منهم غارقاً في التصوف السلبي حتى أذنية، وقد أنعكس هذا على

(١) غرناطة سقطت سنة ٨٩٧هـ أي بعد وفاة السنوسي بعامين .

(٢) محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص ٢٢١

(٣) عطاء الله دهينة وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي)،ص ٤٣٨

المؤلفات.ويمكن أن نقول بعبارة أخرى بأن فساد النظام السياسي وكثرة الفتن واضطراب الحياة الاجتماعية واتجاه الحكام كان له تأثير كبير على عقول المفكرين، ويمكن أن نميز هذا على علم الفقه على سبيل المثال.

لقد ازدهر علم الفقه في عهد الزيانيين ازدهاراً كبيراً، وكثر الإقبال عليه من الطلبة، وذلك لأنه يؤهل صاحبه للحصول على وظيفة معتبرة كالقضاء والدواوين الإدارية وغيرها، ومن المشتهرين في هذا العلم : -

أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (المتوفى سنة ٦٨٠هـ)، وأبو عبد الله ابن مرزوق (المتوفى سنة ٦٨١ هـ)، وأبو عبد الله التميمي(المتوفى ٧٤٥ هـ)، وسعيد العقباني (المتوفى سنة ٨١١ هـ) وأحمد بن عبد الرحمن شهاب الدين الندرومي المعروف بابن الأستاذ (كان حياً بعد سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٧م)[١] وغيرهم ولكن فقهاء العهد الزياني كان كثير منهم متعصبا لمذهب مالك، لا يحيد عنه بل الأغرب من هذا أن مؤلفات مالك الاصلية أهملت كأن لم تكن، وسيطر مختصر خليل[٢] الذي شرح مآت المرات ومختصر ابن عرفة (المتوفى سنة ٧٤٩هـ).

وأصبح الفقه لا يكاد يعرف إلا من خلال هذين المختصرين، وكان الكثير من هؤلاء الفقهاء الفروعيين جاف النفسية مبتذل الأخلاق لا يعرف الإسلام إلا

(١) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي ضياء الدين، كان متقشفاً زاهداً، جامع بين العلم والعمل، أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ المنوفي الذي أخذ عنه الفقه المالكي، له مؤلفات منها: " شرح أبن الحاجب" في ٦ مجلدات، " مختصر في الفقه" وهو الذي أشتهر به وقد عكف الناس عليه واشتغلوا به عن مؤلفات مالك الأصلية، " شرح المدونة ولم يكمله توفى بمصر سنة ٧٦٩هـ أ و٧٧٦ هـ (خليل بن إسحاق، مختصر العلامة خليل، تقديم أحمد نصر د ط دار الفكر بيروت ١٩٧٢، ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ .

من خلال فقه الفروع، كارها للفقراء، عديم الشعور بما يعانونه من آلام الجوع والحرمان، حاقداً على العلماء العاملين، متزلفا للحكام، وهو ما جعل السنوسي ينتقد هم متهما إياهم بالتحجر والبعد عن الإحاطة بالشريعة [(١)] وقد حجر هذا النوع من العلماء الفقه الإسلامي مما جعل السنوسي بعد ذلك يقرر أنه لا بد من الاجتهاد في الفقه، وأفتى بعدم جواز التقليد في الفقه إلا للعاجز عن الاجتهاد، وأن المقلد لا يشترط أن يقلد مذهب مالك، بل الذي يعرفه أكثر من غيره هو الذي يقلده، وله الخروج عنه عند الضرورة، [(٢)] وهذا يعني أن التعصب لفقه الفروع من عوامل تخلف المسلمين في تلك الحقبة من الزمن، خاصة أن كثيرا من أصحابه أضحوا خدماً للسلاطين يتنعمون في بحبوحة من العيش، لهم مكانة في نفوس المعجبين بذوي المناصب من العامة، هذه الخاصية تنطبق كذلك على نوع آخر من العلماء وهم الذين وصلوا إلى نوع من التعمق، ولكنهم اغتروا، فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

أما علم الكلام فقد سيطرت فيه الأشعرية على عقول الناس، وقد أدخلها الموحدون وحطموا بها ما كان عند المرابطين من تطورات حشوية أو تجسيمية، فدعوا إلى تأويل القرآن حسب روح الأشعرية في معانيها العامة. [(٣)] والسنوسي من الذي تأثروا بهذه النزعة كما هو واضح في عقائده، بل شرح " مرشدة" ابن تومرت (٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م)، ومن هنا أهتم الناس بالقرآن و الحديث، ومن ثم بعلم الكلام. فتدوولت كتب الجويني (المتوفى سنة ٤٧٨ هـ) والغزالي (المتوفى سنة ب٥٠٥هـ ١١١١م) وأصبحت في عصر السنوسي من المواد المبرمجة في الدراسة،

(١) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ب / ٧

(٢) أحمد بن يحي الونشريبسي ، المعيار المعرب والجامع المقرب عن فتاوى علماء افريقية والمغرب، إشراف محمد حجي، د ط دار المغرب الإسلامي بيروت ١٩٨١، جـ ١٥ ص ٤٣ ، ٤٤

(٣) جمال الدين بوقلي.

وسنعرف أن السنوسي درس كتاب " الإرشاد " للجويني في بيته من طرف أستاذه أبي القاسم الكنابشي. أما المنطق فقد غلبت نزعة الغزالي في الأخذ به بين الناس في المغرب بعد مجيئ ابن تومرت إليها بمنهجه وتأييده لشيخه الغزالي. (١) وهكذا ظهر " جمل " الخونجي (المتوفى سنة ٦٤٦هـ ١٢٤٨م) و " مختصر" ابن عرفة، وما كتبه المغيلي والسنوسي وغيرهما، لكن هذه الدراسات المنطقية رغم وجودها إلا أنه تعد ضئيلة بالنسبة إلى ما ألف في الفقه والنحو وغيرهما، كما أنها لم تنسج من آفة العصر (الملخصات). فجمل الخونجي عبارة عن طلاسم تصعب حتى على الحفظ ناهيك عن الفهم، وهذا ما جعل العلماء مضطرين لشرحها، وكذا مختصر ابن عرفة، وحتى مختصر السنوسي، غير أن السنوسي تدارك ذلك، وشرح مختصره بنفسه وهو الشرح الذي أبدع فيه كما سنبين . وبالإضافة إلى المنطق، فقد ازدهرت المعارف الأخرى أيما ازدهار، ومن هذه المعارف العلوم اللسانية، كاللغة والأدب وسبب ازدهارها ارتباطها بالقرآن الكريم، وإذا هي ضرورية لفهمه، وقد برز فيها بعض العلماء أمثال أبي عبد الله التميمي القلعي (المتوفى سنة ٦٧٣ هـ) وأبي عبد الله الثغري (المتوفى أوائل القرن ٩ هـ)، وشرف الدين العجيسي (المتوفى سنة ٨٦٢ هـ) وغيرهم. (٢)

أما العلوم الطبيعية والدقيقة وتشمل علم الفلك والرياضيات والطب والكيمياء وغيرها فكانت قليلة الانتشار في العهد الزياني، ومن الذين اشتغلوا بها

---

(١) فضيلة إستاذنا عمار طالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ط ١ الشولاكية الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائرد ت ج ،ص ١٥

(٢) عطاء الله دهينة وآخرون الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي) ص ٤٤٦ ، ٤٤٨ .

السنوسي الذي كان كثيراً ما يعتني بعلم الطب وبمطالعته، وقد أدركه مرض الموت وهو مشتغل به، وقد ألف فيه.[1]

وقبل أن نختم حديثنا عن العلوم لا بد أن ننبه إلى ازدهار التصوف ازدهاراً كبيراً!!. ونجد أنفسنا مضطرين لمخالفة عبد الحميد حاجيات الذي يرى أن التصوف انتشر في صورته المعتدلة التي تضمها بعض تآليف الغزالي.[2] وغيره، والحقيقة أن التصوف انتشر في صورته السلبية السيئة والسنوسي يقرر هذا، وقد بينا الكثير من الخرافات في الحياة الاجتماعية، وسنبين أثناء حديثنا عن التصوف.

ومما يؤكد كلامنا هذا أن العصر الزياني وما تلاه ألفت فيه كتب المناقب التي نجد أغلبها مملوءاً بالخرافات ومنها " النجم الثاقب" لأبن صعد و " البستان " لابن مريم " ومطلب الفوز " للبطيوي ، " وبستان الإزهار" للصباغ، " وكعبة الطائفين" لابن سليمان فإذا هؤلاء المؤلفون يعتبرون من مثقفي العصر وأصحاب الفكر والرأي فما بالنا بالعامة وأشباهها، فابن مريم نسب الكثير من الخرافات (الكرامات) إلى أغلب الذين ترجم لهم، والصباغ الذي كان قاضياً في وقته نسب كثيراً من الخوارق والكرامات إلى أحمد بن يوسف.[3]

وكان في تلمسان ونواحيها – بل في القطر الجزائري عامة – عدد من المتصوفة الذين خلطوا بين العلم والدروشة، وكان كثير منهم ينصبون أنفسهم أولياء لجمع المال واستلاب الناس ((وقد كانوا درجات، منهم الجاهل البسيط،

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ٢٤ / أ

(٢) عبد الحميد حاجيات، وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي)،ص ٤٤٩ .

(٣) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج ١، ص ٤٨٢

والعالم الفقيه، والخطيب الإمام، ومنهم من كان من أهل المدن، ومنهم من كان من أهل البادية)).[١]

((وبعض هؤلاء تراجعوا عما كانوا فيه من إدعاء الولاية، واتخاذ الحضرة وجمع الاموال عن طريقها مثل الشيخ علي بن حمود العيساوي وأحمد بن بو زيد الاوراسي))[٢] ونحن نعتقد أن هذا مرض من أخطر الإمراض التي أصابت المسلمين، وحين نقول هذا لا نقصد به التصوف القائم في الكتاب والسنة، لأنه تصوف بناء، وأصحابه هم الذين حافظوا على الإسلام وعلى حفظ القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، ومن هؤلاء السنوسي الذي نظف عقائد الأمة من الخلط والأخطاء.

وإنما نقصد ذلك الصنف السابق الذي خدر الأمة وأفقدها وعيها بذاته وجعلها في سبات عميق إذ في حين كان ابن مريم يروى كرامات الطيارين من الأولياء، كان المفكرون في أوروبا يفكرون كيف يمكنهم تحرير العقل الإنساني مما أصابه، وكيف يمكنهم تغيير المجتمع ليخرجوه من تخلفه .

ونلاحظ بأن ذلك الاتجاه الصوفي المنحرف هو الذي خلف الدراسات الكلامية والمنطقية لأنها تقوم على العقل، وهو يحاربه، وقد ساعد في انتشار السحر والخرافات في أوساط العامة رغم تحريم الإسلام لمثل هذه الممارسات، ونعتقد أن الحكام كان لهم دور كبير في ازدهار هذا النوع من التصور، وذلك لأبعاد الناس عن الفهم الصحيح للإسلام بغية إبقاء الأوضاع السياسية المتعفنة على ما هي عليه، وهم حكام – كما علمنا – لا هم لهم سوى التسلط على رقاب الناس والحروب

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٩٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩٢ .

التي كانت مستمرة بين حكام تلمسان وجيرانهم من المسلمين، ومن الأدلة على هذا أن تلك المدارس التي أنشأها الزيانيون في تلمسان والتي تحدثنا عنها، ساهمت أيما مساهمة في انتشار التصوف، وذلك بتشجيعها له ومساهمتها في ظهوره وانتشاره خارجها.[1]

ولكن مهما يكن من أمر فان هناك اشتغال نسبي بعدد من العلوم، وقد ساعد على هذا مايلي :-

١. لا مبالاة الحكم - سواء كانوا زيانيين أو مرينيين أو حفصيين - خاصة أيامهم الأخيرة بالتعصب لمذهب معين أو فرضه بالقوة، فكان الناس أحراراً في ذلك.

٢. كثرة مراكز التدريس في المدن والقرى، في المساجد والمدارس وتوفر بعض المكتبات التي كان الطلبة يستفيدون منها،كما كان الحال في تلمسان. ثم إن التعليم لم يكن محتكراً على فئة معينة[2] وإن كانت معظم الدراسات تحب في بوتقة التصوف لمنحرف أو كتابة الملخصات.

في ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية ولد شيخنا السنوسي، ترى هل يستطيع أن يتخلص من مآسي عصره، ويعيد للعقل اعتباره، ويعمل على النهوض بأمته، فيعيد لها وعيها بذاتها؟؟. هذا ما سنعرفه في دراستنا للسنوسي...

---

(١) عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) جمال الدين بوقلي حسن، الإمام أبن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، ص ٤٥،٤٦ .

الفصل الثاني

حياتـــــه

١- مصادر معرفتها:-

من النادر أن نجد مفكراً ترك بعد وفاته تلميذا سجل حياته بتفاصيلها، وقد حدث هذا للسنوسي الذي خلفه تلميذه الملالي [١] بعد وفاته، وقد عاش مع إستاذه السنوسي مدة طويلة لا تقل في نظرنا عن ٣٥ سنة، وقد استنتجنا هذا من خلال دراستنا للمواهب القدسية و مراعتنا لتتبع الملالي سيرة أستاذه، وهي مدة كافية ليعرف أستاذه أهم ما يجب أن يعرف، كما أن والدته كانت ذات صلة ببيت الشيخ السنوسي وأهله. [٢]

ومن هنا فإن أهم مصدر حول حياة السنوسي هو كتاب الملالي " المواهب القدسية في المناقب السنوسية" الذي مازال مخطوطا .

وقد بين الملالي بأن سبب تأليفه هذا الكتاب هو حبه لأستاذه وتخليد ذكراه ومفاخره السامية في الدفاتر ليكون أعم نفعاً والصق بالخاطر، و ذكر بأنه سجل فيه بعض ما يعرفه فقط. [٣]

(١) سنعود إلى الحديث عن ملالي في الفصل الثامن من هذا الكتاب .

(٢) وهي التي اخبرت أن بنت السنوسي شمت رائحة المسك في البيت يوم توفي السنوسي كما شمتها في جسده . (الملالي، المواهب القدسية ، ورقة ٢١٢/أ).

(٣) المصدر نفسه ورقة ٤ / ب .

أما مصادر الملالي في ذلك فهي : -

- ما سمعه من أستاذه، وما فسره من قرآن وشرحه من أحاديث نبوية، وما بينه من كلام المتصوفة، وما وقف عليه من تآليف السنوسي واطلع عليه، وما حدثه به من تأليفه، وما وجده مخطوطاً بيده.
- تلمذته الطويلة عليه وكثرة ملازمته له، وما حدثه الثقات عن عظيم كراماته [١].

والملاي كان منهجياً في تقسيمه الكتاب إلى مقدمة وعشرة أبواب هي : -

- التعريف بأشياخه.
- مكاشفته وكراماته.
- علمه وزهده....
- تآليفه.
- تفسيره آيات من المتشابه وغيره.
- شرحه أحاديث أشكلت وما استنبط منها أحكام.
- تفسيره ما أشكل من كلام أهل الحقائق وحمله ذلك على أجمل الطرائق.
- ذكر وأوراد وأدعيه حسنه كتبها بخطه.
- وفاته.
- ما قاله في الشعر أو قيل فيه.

---

(١)المصدر نفسه ورقة ٣/أ، ب

يجب أن ننبه قبل حديثنا عن السنوسي بأن الملالي كان غارقاً في التصوف، وهو ما جعل كتابه الذهبي هذا محشوا بتراب كثير.

وقد اجتهدنا في إخراج تبره من ترابه.

وقد قام أحمد بابا التنبكتي (المتوفى سنة ١٠٣٢هـ / ١٠٣٦هـ) باختصار المواهب القدسية، ومنه نقل نقلا حرفيا كل من ابن مريم المديوني في كتابه (البستان) وأبي القاسم الحفناوي (المتوفى سنة١٣٦١هـ / ١٩٤١م) في كتابه (تعريف الخلف) .

ونلاحظ بأن أحمد العبادي [١] وضع كذلك ترجمة قصيرة للسنوسي ويبدو أنها ضاعت.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على " المواهب القدسية " ثم نيل الابتهاج " البستان" " وتعريف الخلف" كمصادر أساسية، كما اطلعنا على غيرهما مما اعتبرناه ثانوياً لكنه مفيد.

وننبه إلى أن النسخة التي اطلعنا عليها من المواهب القدسية توجد بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٦٢٥٣، وهي جيدة، بها ٢٢٠ورقة. [٢]

بعد هذه الملاحظة يمكننا أن نبدأ بحياته.

---

(١) أحمد العبادي عاش في تلمسان وتتلمذ على الملالي، وكان يعرف السنوسي معرفة شخصية، ثم رحل إلى فاس فأصبح مدرسا بجامع القرويين، توفي في تلمسان في الاربعينات من القرن ١٠هـ (أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ط ٢ ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ١٩٨٥ ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

(٢) وتوجد لدينا في ميكروفيلم حصلنا عليه من دار الكتب الوطنية بتونس، وقد صورناه على الورق ورقمناه من عندنا مما يجعل بعض أرقام ورقاتنا غير متطابقة لترقيمها في الأصل

٢ـ اسمه ولقبه وأصله ونسبه:

هو أبو عبد الله بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني،[(١)] فالسنوسي نسبة إلى القبيلة المعروفة بالمغرب من قبل أبيه[(٢)]، ويشاركه فيها محمد علي السنوسي المستغانمي صحاب الطريقة السنوسية[(٣)] (المتوفى سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م).

أما الحسني فنسبة إلى سيدنا الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنهما من جهة أم أبية (جدته)[(٤)]ويلتقي نسبه هنا كذلك مع محمد بن علي السنوسي المستغانمي، لأن كليهما ينتهي نسبه إلى الحسن ﷺ.[(٥)]

٣- ولادته وضبط تاريخها:

تذكر المراجع الحديثة أنه ولد سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م.[(٦)] وقد أعتمد في ذلك على إحدى الروايتين اللتين أوردهما التنبكتي (ت ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م) في نيل الابتهاج، وهي التي يبين فيها أنه وجد " مقيداً عن بعض العلماء أنه سأل الملالي

---

(١) الملالي المواهب القدسية، ورقة ٣/ب .

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٢/ أ، أحمد بن محمد أحزمي السنوسي ، والفتح القدوسي على مختصر العلامة السنوسي ، مخ المكتبة الوطنية، الجزائر ، رقم ١٤١٠، ورقه٢/أ.

(٣) بطرس البستاني، دائرة المعارف د ط دار المعرفة ، بيروت، د ت ، م ١٠ ص ١٤٦.

(٤) الملالي المصدر السابق ورقة ١٢/أ . التنبكتي، نيل الابتهاج ، د ط دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٣٢٥ أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط١، المكتبة العتيقة تونس، ج١ ، ١٩٨٢ ص ١٧٩ وقد نسبه يوسف إليان سركيس إلى الحسين بن على خطأ(يوسف اليان سركيس معجم المطبوعات العربية، د ط، مطبعة سركيس مصر ١٩٢٨، ج١، ص ١٠٥٨

(٥) بطرس البستاني ، المصدرالسابق، صفحة ١٤٦ .

(٦) الزركلي الأعلام ط٢ ج ٨ ص ٢٩ عادل نويهض معجم أعلام الجزائر ص ١٨٠ فنسك وآخرون دائرة المعارف الإسلامية ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين ، بعد١٩٣٣ ص ٢٩٠.

عن سن الشيخ فقال له : مات عن ثلاث وستين سنة"[1] فطرحوا ذلك في سنة وفاته اللتي هي سنة ٨٩٥هـ / ١٤٩٠م [2] فوجد أنه ولد سنة٨٣٢هـ / ١٤٢٨م ولسنا ندرس لماذا تركوا الرواية الثانية التي أوردها التنبكتي ملخصاً فيها رواية أخرى للملالي هي: " وأخبرني قبل موته بنحو عامين أن سنة خمس وخمسون سنة"[3] وهذا ما جعل التنبكتي لا يحدد السنة بالضبط ويكتفي بالقول بأنه ولد بعد سنة ٨٣٠هـ. وقد تبعه في هذا كل من ابن مريم والحفناوي ومحمد بن محمد مخلوف. [4] ونحن نرى أن السنوسي لم يعمر أكثر من ٥٧ سنة، وذلك فإننا نرفض تلك الرواية التي تفيد أن التنبكتي رأى مقيدا عند بعض العلماء أن الملالي أورد أن السنوسي توفى وعمره ٦٣ سنة وذلك لأن هذه الرواية تنقصها الدقة العلمية حيث لم يذكر اسم العالم ولا الكتاب الذي رأى فيه ذلك. وجهة أخرى فإن الملالي لم يذكر تلك الرواية في كتابه.

وهذا ما يجعلنا نجد أنفسنا مضطرين لاتباع ما أورده الملالي في المواهب القدسية لوضوحه وتأكيده ذلك أنه قرر بعد حديثه عن طريقة قضاء وقت أستاذه: " ومع ذلك كله جمع هذه التآليف وفروع منها في أقرب زمان مع صغر سنه الذي هو

(١) التنبكتي ، نيل الابتهاج ص ٣٢٨ .

(٢) الملاي المصدر السابق ورقة ٢١٢/أ التنبكي نيل الابتهاج ص ٣٢٨. أبن مريم البستان ص ٢٤٤ . أبو القاسم الحفناوي تعريف الخلف ج١ ص ١٨٦ الزركلي الاعلام ج ٨ ص ٢٩ إسماعيل باشا البغدادي هدية العارفين د ط دار الفكر بيروت ١٩٨٢ م ٦ ص ٢١٦

(٣) التنبكتي نيل الابتهاج ص ٣٢٨. وبد أورد الروايتين كل من أبن مريم في البستان ص ٢٤٧ والحفناوي في تعريف الخلف، ج١، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٤) أبن مريم البستان، ص ٢٤٤. الحفناوي تعريف الخلف، ج ١ ص ١٨٦. محمد بن محمد مخلوف شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ط١ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٤٩هـ ج ١ ص ٢٦٦.

دون الستين بأعوام على ما أخبرني هو به ﷺ قبل موته بعام أو عامين، وبأنه سأله عن سنّه قبل موته بعام أو عامين، فذكر له أنه خمسة وخمسين [١] سنة وبناء على النص السابق الذي أورده الملاي فإننا نرفض ما رآه التنبكتي مقيدا عند بعض العلماء ونعتمد رواية الملالي لأنها أقرب إلى الصواب، وعلى هذا الأساس فإن السنوسي توفى وعمره يتراوح بين ٥٦و ٥٧ سنة، ونطرح هذا من تاريخ الوفاة الذي حدده الملالي بدقة ونقله عن الآخرون وهو ١٨ جمادى الأخيرة سنة ٨٩٥هـ.[٢] فنجد أنه ولد بين سنتي ٨٣٨هـ و ٨٣٩هـ ، وهو الصواب في نظرنا.

أما مكان ولادته فهو في تلمسان التي نشأ بها.[٣] ويبدو أنه ولد في البيت التي بقى يسكن فيها حتى الوفاة حيث لم يذكر الملالي أنه غير سكنه

٤- أسرتـــه ونشأتـــه:

نشأ السنوسي في أسرة علم وأخلاق ودين، فقد كان أبوه معلما للقرآن في المكتب، وكان رجلا صالحاً ورعاً زاهداً في الدنيا كثير البكاء من خشية الله.[٤] وكان أخوه الأمام علي التالوتي الأنصاري (المتوفى سنة٨٩٥هـ) عالماً محققاً حافظاً صالحاً.[٥] وكانت أخته عائشة [٦] امرأة تقيه صالحة.

(١) الملالي المواهب القدسية، ورقة ١٤٦/ب .

(٢) المصدر نفسه ، ورقه ١١٢/أ التنبكتي نيل الابتهاج ص ٣٢٨ أبن مريم البستان ص ٢٤٤ الحفناوي تعريف الخلف ج ١ ص ١٨٦.

(٣) عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي) ، ٤٤٥ص .

(٤) الملالي الواهب القدسية ورقة ١٢/ب .

(٥) المصدر نفسه ورقة ١٦/أ.

(٦)وقد توفيت قبل أبيها (المصدر نفسه ، ورقة١٣/أ.

وقد نشأ السنوسي منعزلاً عن أمور الدنيا، ومع هذا فلم يكن أبوه يعاتبه على ذلك لما تفرس فيه مخايل الولاية ، وقد اشتهر بالصلاح وكثرة الحياء والصمت والتصدق على الفقراء والمساكين، وكان عظيم الشفقة والرحمة في صغره.[(١)] .

وكانت له زوجه تسمى عائشة، فاضلة خيرة، لها نصيب من الثقافة، وهي التي أخبرت الملالي بمكوث أبي القاسم الكنابشي في بيت السنوسي شهراً كاملاً لتدريس كتاب الجويني في التوحيد (الإرشاد) لزوجها،[(٢)] وقد أنجبت له بنتا كان له منها حفيد ، وليس للسنوسي غيرها من الأولاد، وذلك لأننا لا نجد أي أثر فيما كتبه الملالي أنها كانت تعيش مع أبيها مما يجعلنا نعتقد أن زوجها توفي فمكثت في بيت أبيها. أما كنيته بأبي عبد الله فلا تستلزم وجود ابن له يسمى بهذا الاسم كما اعتقد جمال الدين بوقلي حسن في بحثه عن السنوسي[(٣)] لأنه قد يكنى للاحترام والتقدير، كما يمكن أن يكون حفيده يسمى عبد الله، فكنى به إنزالاً له منزلة ابنه، وهو ما نرجحه .

---

(١) المصدر نفسه ورقة، ١١٥/ب.

(٢)المصدر نفسه ورقة ٢٢/ب .

(٣) وقد أعتمد في ذلك على البيت الذي يقول فيه الحوض (المتوفي سنة ٩١٠هـ) من القصيدة التي يرثى بها أستاذه السنوسي:

ولأهل مجلسه خصوصا" أبنه " شمس نأت عنهم وغاب ضياؤها والحقيقة أن الشطر الأول وقع فيه تصحف بحيث وضع " أبنه " بدل " أنهم " والبيت الصحيح هو :

ولأهل مجلسه خصوصاً أنهم ... شمس نأت عنهم وغاب ضياؤها .

الملالي ، المواهب القدسية، ورقة ٢١٥/أ) .

ويبدو أن له أخا أخر لكن من أبيه يسمى يعقوب، ويبدو أن ابنه هو الذي كان يلقن الشيخ السنوسي (عمه) عند وفاته.[١] أما غير هذا فلا نعرف شيئاً .

٥- دراستــــه وشيوخــــه:

بداء السنوسي الدراسة في سن مبكرة كعادة الأطفال الذين يولدون في أسر مثقفة، وقد تتلمذ على مجموعة من الشيوخ بداية بوالده وقد ذكر الملالي ثلاثة عشر شيخا منهم وكتب بقتضاب كل من التنتكتي وابن مريم والحفناوي .

وبين الملالي أن هؤلاء الثلاثة عشر شيخاً هم الذين تأكد من أن أستاذه تتلمذ عليهم فعلاً، وهناك شيوخ آخرون للسنوسي تركهم الملالي لعدم تحققه بهم ، و لأنه لم يسمع من السنوسي عنهم شيئاً. أما هؤلاء الثلاثة عشر فقد سمع شيخه يحكي عنهم ويذكر محاسنهم ويكثر من الثناء عليهم بالدعاء لهم[٢].وقد أورد الملالي هؤلاء الشيوخ مرتبين بادئاً بوالد السنوسي الذي علمه نصيباً من القرآن ، وخاتماً بإبراهيم الثاني الذي أعطاه الطريقة الصوفية. وسنحترم هذا الترتيب فيما عدا أستاذه أخيه لأم علي التالوتي، لأنه درس أثناء صغره[٣].

وشيوخ السنوسي هم :

١. والده : هو الشيخ أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي،وكان رجلاً صالحاً ورعاً خاشعاً لله زاهداً في الدنيا، حسن الخلق، كثير البكاء من خوف الله،

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٢١٢/أ والملالي ذكر أن ابن أخيه كان يلقنه الشهادة ولكن لم يذكر أب هذا الابن ولذلك عبرنا بكلمة يبدو.

(٢) المصدر نفسهورق ٣١ / ب .

(٣) وسنضعه بعد أستاذ السنوسي في العربية الشيخ نصر الزواوي لاعتقادنا أن تعليم اللغة العربية يسبق تعليم الفقه.

وكانت حرفته تعليم القرآن الكريم للأولاد في المكتب، فقرء عليه ابنه محمد بعض القرآن الكريم في صغره، وقد دفن بعد وفاته خارج باب الجياد (١)

٢. **الشيخ نصر الزواوي**: وهو عالم محقق زاهد عابد، يعد من أكابر تلامذة الشيخ محمد بن مرزوق (المتوفى سنة ٨٤٢هـ) ، وقد قرأ عليه السنوسي كثيراً من فن العربية ولازمه كثيراً، وقد تأثر له في دراسة نفسية المتعلم لتمييز الطالب الجد عن غيره. وقد دفن خارج باب الجياد بعد وفاته وكان السنوسي يكثر من زيارة قبره. (٢)

٣. **أبو الحسن على بن محمد التالوتي الأنصاري** : هو أخو محمد السنوسي لأمه وهو عالم صالح فقيه حافظ متقن، كان حافظاً لكتاب ابن الحاجب (ت٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) الفرعي، " الرسالة" وكتاب " التسهيل " في النحو لابن مالك. وقد أخبر الملالي أنه كان يقرأ أخاه محمد رسالة الشيخ ابن أبي زيد (ت ٣٨٩هـ)، في زمن صغره، وكان مشتغلاً بذكر الله ، وبتعهد ما يحفظه مما جعله يستثقل قرائة الغير عليه خاصة في أواخر عمره، ويعد علي التالوتي أستاذاً لأخيه محمد و زميلاً في الدراسة بحيث تتلمذا معاً على الشيخ الثعالبي كما سنعرف، وقد توفي بعد صلاة العشاء في ليلة الثلاثاء ٦ من صفرسنة ٨٩٥هـ ١٤٨٩م (٣) وبذلك يكون قد توفى قبل أخيه محمد الذي توفى في نفس السنة.

٤. **الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن تومرت الصنهاجي**: قال عنه السنوسي: "كان سيدي محمد بن تومرت شيخاً صالحاً عالماً بعلوم العقول والمنقول، والنجم

(١) المصدر نفسه ورقه١٢/أ ب ، ١٣/ب.

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٤/ب.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٦ /أ، ب،١٩/ب .

والحساب والفرائض.... والخط والهندسة وفي كل علم .... وما رأيته قط نظر في كتاب إلا مرة واحدة أشكلت عليه مسألة من الهندسة فنظر فيها كتبا كثيرة... أياماً فلم يجدها، فترك النظر في الكتب وجعل يتدبر في تلك المسأله بعقله حتى استخرجها لنفسه". [(١)] وكان واسع الصدر لا يمل من القراءة عليه. تعلم عنه السنوسي في زمن صغره جملة من الحساب والفرائض في زاوية ابن البنا، ويذكر السنوسي أن هذا الشيخ أعطاه دروساً خصوصية في الحساب والفرائض في زمن صغره دون أحد معه، وذلك بعد صلاة العشاء في زاوية أبن البنا التي كان يسكن بها شيخه، فكان يقرأ عليه جل الليل بعد تناول العشاء الذي يحضره السنوسي، وقد أعطاه هذه الدروس الخاصة لأنه كان أقل فهماً من التلاميذ الذين يدرسون معه، وقد لازمه كثيراً. ودفن خارج باب الجياد بعد وفاته، وكان السنوسي يزور قبره كثيراً. [(٢)] وننبه هنا إلى أن الأستاذ جمال الدين بوقلي حسن اعتقد في بحثه عن السنوسي أن السنوسي تتلمذ على هذا الشيخ في مرحلة متأخرة، وقد اعتمد في ذلك على : والحقيقة أن تلمذة السنوسي على هذا الشيخ كانت في زمن صغره كما بين هو نفسه وقد وضحنا ذلك .

٥. أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن على القرشي القلصادي: وهو عالم فاضل شريف الأخلاق سالم الصدر ولد سنة ٨٠٣ أو ٨١٥هـ ببسطة، شمال شرقي غرناطة بالأندلس [(٣)] ولما قدم منها إلى تلمسان استقر عند الشيخ محمد بن مرزوق، فقرأ عليه جم غفير من الناس وانتفعوا منه ومنهم الملالي الذي درس

(١) المصدر نفسه، ورقة ١٤/ب ، والنص للسنوسي

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٥ /أ ومضمون الكلام للسنوسي

(٣) علي القلصادي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبي الأجفان، د ط الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٨ ، ص ٣٠، ٣١ .

شيئا من تأليفه في العربية بأمر منه، وله تآليف عديدة أكثرها في الحساب والفرائض وله شرح على تلخيص ابن البنا (ت سنة ٧٢٠هـ) وآخر على فرائض الحوفي (ت سنة ٨٥٥هـ) وقد قرأ عليه السنوسي جملة من الحساب والفرائض وأجازه في جميع ما يرويه.(١) وقد توفى القلصادي بباجة بتونس منتصف ذي الحجة سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م.

٦. أبو العباس يوسف بن أبي العباس أحمد بن محمد الشريف الحسيني: وهو عالم مقرئ قرأ عليه السنوسي القرآن الكريم بالمقارئ السبعة المشهوره ، ختمه مرتين وزاد نصيباً من الختمة الثالثة وأجازه في المقارئ السبعة وفي غيرها من سائر مروياته إجازة مطلقة عامة، وقد ذكر السنوسي هذا كما بين سند هذه القراءات السبع من هذا الشيخ إلى النبي ﷺ وذكر السند قضية مهمة تبين سبب حفظ القرآن الكريم من التحريف، وقد دفن خارج باب الجياد من تلمسان بعد وفاته، وكان السنوسي يكثر من زيارة قبره.(٢)

٧. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى المغيلى الشهير بالجلاب: وقد كان حافظاً لمسائل الفقه كما حدث السنوسي تلميذه الملالى ، وقد ختم عليه السنوسي المدونة مرتين.(٣) توفي سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م.(٤)

٨. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحباك : وهو عالم صالح قرأ عليه السنوسي كثيراً من علم الاسطرلاب كما بين في شرحه لأرجوزة شيخه " بغية الطلاب في علم

---

(١) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ١٥/أ القلصادي، رحلة القلصادي، ص ٣٣ محمد بن عبد الحي الكتاني فهرس الفهارس د ط المطبعة الجديدة الطالعة ١٣٤٧هـ

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٥/ ب.

(٣) المصدر نفسه ورقة ١٥/ ب،١٦/ ب

(٤) أبن مريم ، البستان، ص، ٢٣٦.

الاسطرلاب"، وقد تأثر به هذا العلم[١] ولهذا الشيخ مؤلفات منها " بغية الطلاب" السابق " تلخيص ابن البنا" توفي سنة ٨٦٧.[٢]

٩. أبو عبد الله محمد بن العباس بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس : هو عالم متقن صالح، له مصنفات منها " العروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن مرية الإلقا" " شرح لامية الأفعال" لأبن مالك و " شرح على جمل الخونجي في المنطق" للخنوجي بكامله ، ويذكر الملالي أن تلمذة السنوسي على الشيخ ابن العباس دامت ثلاثة أيام فقط . وسبب قلة مدة قراءته عليه أنه كان يقرأ ويفسر ما يقرأه فيورد أسئلة ويجيب عنها بنفسه أجوبة قيمة غير موجوده في الكتب فتعجب منه أستاذه ومن حسن جوابه، وقال له : أنت لا تقرأ على أنت الذي يقرأ عليك"[٣] فدعا له ومضى عنه وقد توفى هذا الشيخ بالطاعون آخر عام ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م.ودفن بالعباد.[٤]

١٠. الحسن بن مخلوف بن مسعود المزلي الراشدي الشهير بأبركان: وهو من أجل الشيوخ قال عنه السنوسي :" رأيت المشايخ والأولياء فما رأيت مثل الشيخ سيدي الحسن أبركان قال وكان لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يضحك إلا متبسماً"[٥] وكان إذا دخل عليه السنوسي ابتسم له وفاتحه بالكلام ويقول في دعائه له: " جعلك الله من المتقين" والسنوسي لم يأخذ عنه مادة معينة كما أخذ عن الشيوخ السابقين، وإنما كان يحضر مجلسه وينتفع بكلامه، وكان السنوسي

(١) الملالي ، المواهب القدسية، ورقة ١٦/أ .

(٢) أبن مريم، البستان ص ٢٢٠ .

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٦/أ

(٤) المصدر نفسه ورقة ١٦/أ.

(٥) المصدر نفسه ورقة ٢٠/أ.

يجيب على الأسئلة التي يعجز عنها الحاضرون في مجلس الحسن أبركان فيعجب به ويقرر جوابه، وقد توفي الحسن أبركان في أواخر شوال سنة ٨٥٧/ ١٤٥٣م.[١]

١١. أبو القاسم الكنابشي: هو عالم ورع صالح، قرأ عليه السنوسي مع أخيه لأم علي التالوتي كتاب " الإرشاد " في التوحيد للجويني وذلك في بيت الشيخ السنوسي حيث أقام شهراً كاملاً بدأ عليه قراءة الكتاب من أول الشهر وختماه في آخر يوم من الشهر، وأجازهما في جميع مروياته وكتب ذلك بخطه[٢] ولا نعرف تاريخ وفاته

١٢. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي : وهو العالم الزاهد الورع، ولد بواد يسر سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٨٤م[٣] ينتهي نسبه إلى جعفر بن أبي طالب ﷺ قد نشأ في أسرة علم وصلاح تتلمذ على أساتذة أجلاء كالشيخ على بن موسى (المتوفى سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٢م) . والشيخ أبي مهدي عيسى الغبريني (المتوفى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٣م)[٤] وكان متصوفاً زاهداً خافياً زهده، بحيث يلبس ثوباً من شعر ملاصقاً لجسمه ويغطيه بثوب آخر حتى لا يراه الناس كما بين الملالي راوياً عن السنوسي[٥] وكان الشيخ الثعالبي من أهم أعلم أهل زمانه له مؤلفات كثيرة أوردها في فهرسته منها " الجواهر الحسان في تفسير القرآن " و "

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٢/أ ابن مريم البستان، ص ٩٣.

(٢) الملالي، المواهب القدسية ورقة ٢٢/ ب، الكتاني، فهرس الفهارس، ج ٢ ص ٣٤٣، وقد كتب الكتاني خطأ: المكناسي بدل الكنابشي

(٣) عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف ص ٢٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٤.

(٥) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ٢٢/ب.

روضة الأنوار ونزهة الأخيار" وقد تتلمذ عليه السنوسي مع أخيه على التالوتي فقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث، وقد رأى الملالي إجازة الشيخ الثعالبي ، قال أجزتهما رواية فهرستنا وجميع ما تضمنته من مروياتي وجميع ما يجوز.[1] لكن أين تتلمذ الثعالبي ؟.

لقد استشكلت هذه القضية على الباحثين الذين يرون أن تنقل الثعالبي إلى تلمسان لم يقع في حياة السنوسي، وأهم المؤرخين لم يذكروا تنقل السنوسي إلى العاصمة للتلمذه على الثعالبي[2] والحقيقة أن السنوسي انتقل مع أخيه علي التالتوني من تلمسان إلى العاصمة وتتلمذ فيها على الشيخ الثعالبي ، وقد بين الملالي هذا صراحة" ... لما قرأ عليه – أي علي الثعالبي– شيخنا في الجزائر ارتحل من الجزائر وجاء هو وأخوه سيدي علي التالوتي رحمهما الله تعالى ورضى عنهما"[3] وقد توفي الشيخ الثعالبي سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م[4] ودفن في الجزائر العاصمة.

١٣. إبراهيم بن محمد بن علي اللتنى التازى : – هو عالم زاهد، وهو شيخ السنوسي في التصوف ويبدو أنه آخر شيخ قرأ عليه، أما مكان قراءته عليه فقد

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٢/ب.

(٢) من هؤلاء جمال الدين بوقلي حسن في بحثه" الأمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد" ص ٦٢، ٦٣ .

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ٢٥/أ وقد ورد كذلك تنقل السنوسي إلى العاصمه في (فنسك وآخرين دائرة المعارف الإسلامية م ١٢، ص ٢٩٠ .)

(٤) الحفناوي تعريف الخلف، ج ١ ص ٧٠ .

اعتقد جمال الدين بوقلي حسن أن الشيخ التازي زار تلمسان فقرأ عليه السنوسي فيها ولا يوجد أدلة في نظرة تبين تنقل السنوسي وهران[١].

والحقيقة أن السنوسي وأخاه علي التالوتي تتلمذا عليه في وهران لا في تلمسان، وذلك 'إنهما لما قرأ على الشيخ الثعالبي في العاصمة جاءا معاً إلى وهران لزيارة الشيخ القارئ التازي والقراءة عليه وقد بين الملالي هذا بدقة " لما قدم الشيخ - السنوسي - رضي الله تعالى عنه في الجزائر دخل مدينة وهران فجلس عند الشيخ سيدي إبراهيم التازى نحو خمسة وعشرين يوماً على ما أخبرني به شيخنا على التالوتي رحمة الله عليه وعلى شيخنا أخيه، وفي هذه الأيام ألبس الشيخ التازى الخرقة الشريفة الطاهرة... لشيخنا... محمد السنوسي..."[٢] وقد توفى الشيخ التازي سنة ٨٦٦هـ.[٣]

وقد أخذ السنوسي عن الشيخ التازى طريقة التصوف ، فقد ألبسه الخرقة وأضافه تمرا وماء وصافحه وشابكه وأمره بالسبحة ولقنه الذكر وحيث الرحمة.[٤] وبهذا يكون السنوسي قد دخل التصوف دخولاً رسمياً. وإني أختلف هنا مع جمال الدين بوقلى حسن الذي اعتقد أن السنوسي كان في سن لا تسمح له بفهم طريق التصوف الذي كان يدعوا إليه الشيخ التازي[٥]. وسبب مخالفتنا له أن الشيخ التازي لا يمكنه إعطاء الطريقة لجاهل بها، ثم إن

(١) جمال الدين بوقلي حسن الأمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ٦٣ .

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ٢٥/أ

(٣) أبن مريم ، البستان ص ٦٠ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٩٢ .

(٤) الملالي المواهب القدسية ورقة ٢٥/أ ... ٢٩/أ وستوضح هذه الأمور في فصل "السنوسي والتصوف ".

(٥) جمال الدين بوقلي حسن ، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ، ص ٦٤.

السنوسي أخذها بعد دراسته لكل العلوم تقريباً كالحديث والفقه والأصول والتوحيد والمنطق والعربية وغيرها فكيف يجهل التصوف وهو متقن لكل العلوم السابقة ؟ وإضافة إلى هذا فإن عصره عصر سيطرة التصوف على عقول الناس عامة وخاصة كما بينا في عصر السنوسي، فكيف يوجد إنسان في ذلك العصر بعقلية السنوسي وفي سنة يجهل التصوف ؟!

وهنا يطرح سؤالاً وجيهاً هو إذ كان السنوسي يفهم التصوف فكيف رضى بأخذ تلك الطريقة؟.

وهذا سنجيب عنه في فصل " السنوسي والتصوف ".

١٤. ابن مرزوق الكفيف : - هو محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الشهير بابن مرزوق الكفيف ، ولد في ذي القعدة سنة ٨٢٤هـ. وكان إماماً عالماً أخذ عن جماعة منهم الثعالبي وابن العباس التلمساني وأخذ عنه جماعة منهم السنوسي والونشريس وصاحب المعيار (المتوفى سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٩م) وغيرهم، توفي في تلمسان سنة ٩٠١هـ[1] ولم يذكره الملالي.

٦- شخصيته :

ليس من السهولة تحديد سمات شخصية السنوسي، ولكننا نشير إلى بعضها لتساعدنا على فهم شخصيته.

ومن تلك السمات فيما وصفه بها تلميذه الملالي، أنه كان متواضعاً من غير مذلة، حسن الأخلاق والمعاشرة رقيق القلب، رحيماً بكل مسلم، كثير التبسم في

(١) أحمد المقري التلمساني نفح الطيب ج ٥ ص ٤١٩ فنسك وآخرون دائرة المعارف الإسلامية م ١٢، ص ٢٩٠.

وجه كل من لقيه حتى يظن أنه أقرب الناس إليه لما يظهر له من طلاقة وجهه وحسن كلامه وكثرة أقباله، بل أن المحزون إذا رآه زال حزنه فأحرى إذا كلمه، وكان الأطفال أذا رأوه أزدحموا عليه لما يرى عليه من حسن الإقبال وأكثر دعائه لمن لقيه " الله يختم لنا ولكم بخير" كان هينا لينا في كل شيء حتى في مشيه، فإذا رأيته حال مشيه تذكرت قول الله تعالى " عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً"[١] .

وقد لخص الملالي هذا بقوله: " ما رأيت عيناي أحسن خلقا منه ولا أوسع صدراً ولا أكرم نفساً ولا أعطف قلباً ولا أحفظ عهداً وودا ولا أكثر علما وفهماً من الشيخ السنوسي...، وكان يقف مع الصغير ويوقر الكبير، ويبدأ بالسلام ويجالس الضعفاء، ويتواضع مع الفقراء...، وقد اتبع في هذه الخصال كلها أشرف الخلق ﷺ...، وكان يعظم جانب الأنبياء والرسل غاية التعظيم وينزههم عن كل نقص، ويتأول ما أوهم في حقهم نقصاً من الكتاب والسنة بأحسن تأويل .[٢]كان مشتغلاً في جل الأوقات بكثرة الأوراد والطاعات ولزوم الخروج إلى الخلوات، وتعليم العلم النافع في مجلسه ليلاً نهاراً وقضاء حوائج الخلق في أكثر الساعات ولاشتغال بالمطالعة والتأليف، كان يومه مقسماً إلى خمسة أقسام : -

-التعليم ووقته من بعد صلاة الصبح إلى وقت الفطور المعتاد قبيل صلاة الضحى .

- المطالعة والتأليف، من الضحى إلى الزوال وفي الليل بعد أن ينام يستيقظ.

- أداء جميع الصلوات في المسجد مع النوافل الراتبة والمواظبة على صلاة الضحى والتهجد إلى الفجر .

---

(١) الفرقان / ٦٣ .

(٢) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ٦٣/أ ب

- الخلوة وعادة تكون بعد الزوال إلى الغروب، وهي ليست مستمرة .

- قضاء حوائج الناس وحل مشكلاتهم [(١)]

نستنتج من هذا أن وقت السنوسي كله كان مشغولاً بالعلم والعبادة والتعليم وبحل مشاكل الناس وهو ما أهله لأن يصل إلى المكانة التي وصل إليها، وأن يجمع بين علمي الظاهر والباطن كما يقول الملالي[(٢)].

وليس غريباً على السنوسي أن يصل إلى تلك المرتبة وهو ذو الشخصية العجيبة، إذ كان يجمع بين المطالعة والتعليم في آن واحد، بل قد يجود القرآن وهو مشتغل بالمطالعة فيصحح للقارء ما وقع به من خطأ. [(٣)]

٧- رحلاته ومناظراته :

١. رحلاته: لا نعرف منها إلا اثنين، أولاهما ذهابه إلى العاصمة مع أخيه علي التالوتي، وذلك للتلمذة على الشيخ الثعالبي، ثم ذهابهما منها إلى وهران للتلمذة على الشيخ التازي وأخذ السنوسي الطريقة منه، ثم رجوعهما من وهران إلى تلمسان.

أما الثانية فكانت إلى المغرب، ولسنا ندرى سبب ذهابه إليها، وقد جرت في فاس مناظرة بينه وبين علمائها وعلى رأسهم مفتى فاس وخطيبها. [(٤)]

---

(١) المصدر نفسه ، ورقة ١٤٦/أ ب

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٤٥/ ب

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٤٤ / أ

(٤) لم يذكر الملالي، اسم المفتي والخطيب، ويمكن أن يكون المفتي عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي الفاسي (ت ٨٩٤هـ) إذ كان مفتياً لفاس ومعاصر للسنوسي .

٢. **مناظراته** : اتسم السنوسي بقوة جدلية أهلته لإفحام المعارضين، وكان يراعي أحوال المجادلين، فإن كان المجادل أو السائل مسترشداً أجابه بحسن جوابه المنير، وأن كان منعتاً يقصد مخالفة أفحمه بكلامة فرجع خاسئاً وهو حسير.[1] وقد سجل لنا الملالي المناظرتين، أحدهما مع اليهود حول إثبات نبوة محمد ﷺ من التوارة، وذلك بعد أن عجز الملالي عن اقناعه بذلك، والثانية مع مفتي فاس وخطيبها وبعض علمائها حول الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر".

المناظره الأولى السنوسي اتسم بمنهج عقلاني أهله لأن يقتحم اليهود الذين كانوا يكيدون للعقيدة الإسلامية كيداً كما سنبين في الفصل الثالث، وقد استطاع أن يثبت لأحد اليهود نبوة محمد (ﷺ) بنص من التوراة وملخص هذه المناظرة أن الملالي دعا اليهود إلى الإيمان بمحمد (ﷺ) وأخبره أن ذلك موجود في السفر الخامس من التوراة حيث قال الله لموسى عليه السلام : " إني مقيم لبني إسرائيل نبياً من بني أخوتهم مثلك أجرى قولي فيه، ويقول لهم ما آمرهم به، والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتلكم باسمي فأنا أنتقم منه.[2] ومحمد (ﷺ) فقط هو الذي

---

(١) الملالي، المواهب القدسية، ورقة ٦٣/ب

(٢) والنص الموجود في التوراة الحالية : أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم في كل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بإسمى أنا أطالبه". (الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التثنية، الأصحاح الثامن عشر دار الكتاب المقدس القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩) ونلاحظ بأن الملالي أورد " من بني إخواتهم" وهنا ورد " من وسط إخوتهم" لكن المعني يبقى واحداً" لأن " من وسط أخواتهم " وهنا ورد " في وسط اخوتهم " لكن المعني يبقى واحدا، لأن " من وسيط إخوتهم تعني وسيط إخوة بني إسرائيل، وإخوة بني إسرائيل هم ولد إسماعيل عليه السلام ، وإلا كان يقول لهم : أقيم لهم نبياً من وسطهم، أو منهم ونرجع في التعبير ، بـ " وسط " بدل " نبي" راجعاً إلى كثرة التغيير الذي وقع في التوراة .

بعث من إخوة بني إسرائيل فأجاب اليهود بأن محمداً من بني عم اسرائيل لا من بني إخواتهم ولذا فليس محمداً المقصود، فأجاب السنوسي هذا اليهودي بعد أن استنجد به تلميذه الملالي جواباً مفحماً ملخصه : ليس المراد بني اسرائيل الذين يقام لهم النبي من بني إخوتهم بعضهم المخصوص، لا شتراك جميعهم في الإنتساب إلى بني إسرائيل. وإنما المراد. أن جميع بني إسرائيل الموجودين بعد موسى سيبعث الله لهم نبياً من بني إخوتهم. والسنوسي أورد ثلاث احتمالات هي : -

إما أن يكون هذا النبي المبعوث من قوم يشاركون بني إسرائيل في أبيهم إسرائيل، أو من قوم يشاركونهم في أب آخر فوقه، كإبراهيم، أو لأب دون إسرائيل والقسم الأول والثالث باطلان، (وقد استخدم السنوسي المنطق في الإبطال) لأن بني إسرائيل المذكورين في نص التوراة عام، والعام كلية، ومعنى هذا أن هذا النبي سيبعث إلى كل واحد من بني إسرائيل، وهو نبي إخوة إسرائيل فيتعين الثاني، وهو أن هذا النبي من إخوة إسرائيل، بمعنى أنه من قوم شاركوا بني إسرائيل في الإنتساب إلى أب فوق إسرائيل عليه السلام، فلم نجد بالاستقراء التام القطعي نبياً بعثه الله بعد موسى لجميع بني إسرائيل لمشاركتهم لهم في الإنتساب إلى أب أكبر هو إبراهيم عليه السلام.

وأما ما بعث إلى اليهود من أنبياء بعد موسى كداود وسليمان فإنهم من جملة بنيى إسرائيل لا من بني أخوة جيمع بني إسرائيل فليسو هم المقصودين إذن بنص التوراة .

ومثار الغلط عند هذا اليهودي توهمه عدم العموم في بني إسرائيل المقام لهم النبي.[1]

---

(١) أي أن هذا النبي سيبعث لجميع بني إسرائيل وفي جميع الأوقات، وهذا يقتضي أن يكون خاتم الإنبياء، ولم يتحقق هذا إلا لمحمد (ص) الذي بعث لما هو حاضر ولمن سيولد من الأجيال .

وحكمة العدل في نص التوراة عن أن يقال : " نبيا من بني عمهم" إلى قوله نبياً من بني إخوتهم " تسكين حميتهم واستعطافهم لقبول ما جاءهم به نبينا ﷺ، لأنه حينئذ جعل من أبناء إخوتهم فمن لازمهم أنهم أعمام له، والعم أب كما قال تعالى " أم كمنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون". [(١)] فسمى أبناء يعقوب إسماعيل أبا ليعقوب مع أنه عم له.

وهكذا يصبح معنى ما ورد من التوراة أنه يجب على بني إسرائيل اتباع محمد (ﷺ) وقد بعث لهم صلى الله على وسلم وهو في مقام ولدهم إذ هو من بني إخوتهم، وهم آباؤه، لأنهم أعمامه والعم صنو الأب، والإنسان لا يأنف من رياسة ولده ولا يكرهها ولا يأنف من متابعة ولده واهتدائه به . ولو قال من بني عمهم لتحركت أنفسهم واشتعلت عصبيتهم، لأن ابن العم يأنف من ترئيس ابن العم عليه ومتابعته له. فهذا سر التعبير في نص التوراة ببني الإخوة دون بنى العم. والأمر في ذلك جلي لمن هداه الله. [(٢)]

المناظرة الثانية : هذه المناظرة كانت مفتي فاس وخطيبها وبعض علمائها كما قلنا، ذلك حول حديث مسلم " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر" وذلك أن هؤلاء السابقين يرون أن الدهر اسم من أسماء الله وصفة ومن صفاته. والسنوسي رد عليهم رداً علمياً، بين لهم أن إبقاء الحديث على ظاهره احتج به الزنادقة والدهرية القائلون بأن الله هو الدهر، وقد أفحمهم السنوسي بحضور عبد الله بن ميمون وغيره بفاس، وبين أنهم ما ناقشوه إلا لحسدهم وبغضهم له وجحدهم علمه. [(٣)]

---

(١) البقرة / ١٣٢

(٢) الملالي المواهب القدسية ، ورقة / ٤٧/أ،ب، ٤٨ /أ

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٩٣/ب.

وملخص المناظرة أن هذا الحديث يؤول ولا يجوز أن يسمى الله بالدهر . ووجهه ذلك:

أن الرسول ﷺ أثبت في هذا الحديث الدهر لله على سبيل الحصر بوجهين : أحدهما تعريف المبتدأ والخبر، والثاني ضمير الفصل، كل واحد منهما دليل على الحصر مع الانفراد، فالأولى مع اجتماعهما. وهذا الحصر إما أن يكون بسبب التسمية فيصبح المعنى الظاهري هو الصواب، وهو أن الله هو الدهر لا غير وهذا باطل لأن الدهر هو الزمان . وإما أن يكون بحسب المعنى الذي لأجله وقع سبهم للدهر، وهو إيقاع المصائب والمكروه بهم على ما يعتقدون فيكون المعنى لا تسبوا الدهر لما تعتقدون فيه من أنه فاعل الحوادث وموجدها، وأن الله هو الفاعل الموجد لجميع الكائنات جملة وتفصلاً بلا واسطة لا الدهر ولا غيره. وحاصلة أن الله هو الذي له المعنى الذي نسبوه للدهر بجهلكم، وليس ذلك المعنى للدهر ولا لغيره. فسبكم للدهر إذن من حيث الفاعلية التي لله لا له ، كأنه في المعنى سب لله تعالى. وهذا المعنى هو الصواب فيحمل عليه الحديث، ويصبح في الحديث مجاز، وهو اسم مرسل من باب إطلاق الدليل والمراد مدلوله ، لأن الدهر دليل على الفاعل وليس بفاعل. أو مجاز حذف، والتقدير أن الله مدبر الدهر ومصرفه كيف شاء. (١)

- ومن الأدلة على هذا كذلك، ما تقرر من قاعدة أن المعرفة في العربية والبيان إذا أعيدت بلفظ " لا تسبوا الدهر " فالدهر معرفة، وقد أعيد معرفة كذلك في قولة: " فإن الله هو الدهر " الزمان لأنه ليس غنياً في نفسه عن الفاعل، وليس فاعلاً لشئ، فإذا سببتموه تكونون سببتم الله الذي دبر كل ما يحدث في الزمان.

---

(١) المصدر نفسه ، ورقة ١٩٣ / ب . أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المغرب ج ١١ ص ٣٤١.

- ومما يرجح تأويل الحديث ما تقرر في علم الأصول من أنه إذا تعارض المجاز والاشتراك فإنه يقدم الدهر في الحديث هو الله كحقيقة في ذاته لزم الاشتراك، أي اشتراك الله والزمان في لفظ الدهر وهذا مستحيل. فلا بد من تأويل الحديث ليزول الإشراك وفقاً للقاعدة الأصولية السابقة .

- ومما يرجح تأويل الحديث كذلك، قوله ﷺ " فإن الله هو الدهر" حيث جعل قوله " فإن الله هو الدهر " علة لنهيه عن سب الدهر، فلو حمل على أن المراد فإن الله يسمى دهراً لم يكن فيه مناسبة للنهي، لأن الساب حينئذ يقول لفظ الدهر مشترك، وأنا سببت الدهر الواقع على الزمان، لا الدهر الواقع على الله ، وبهذا يصبح معنى الحديث، لا تسبوا الدهر ، فإن الله موجد الحوادث كلها بما فيها الدهر، لا الدهر.(١)

والسنوسي يبين بأنه اتبع الأئمة الأعلام في تأويل الحديث، كابن فورك(٢) وغيره ، وتحداهم بأن ينقضوا بدلائل العلم ما بينه في قصيدته " الدهرية" التي يبطل فيها مذهب الدهرية والزنادقة والملاحدة.(٣)

هذه المناظرة تبين لنا تمكن السنوسي من علوم كثيرة كالعربية والأصول. وتبين لنا أشعريته وقوته الجدلية في إفحام الخصوم ودفاعه عن العقيدة الإسلامية وتحديه للسطحيين من العلماء الذين يقولون ما لا يفهمون بل يحملون الأمة على اعتقاد ما يرون بسذاجة عقولهم. وهو من المبررات التي جعلت السنوسي يهتم ذلك الاهتمام بعلم التوحيد .

---

(١) الملالى المواهب القدسة ، ورقة ١٩٣ / ب. الونشريسي ، المعيار ج١١ ص ٣٤٤ .

(٢) هو محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، كان متكلماً زاهداً متعبداً ذكر الذهبي أنه توفي سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م. (عمار طالبي آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ج ٢ ص ٩١) .

(٣) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ١٩٤ / ب .

٩- وفاتـــــه :

عندما قرب أجله زادت عبادته لله عز وجل، وكثر انقباضه وقل انبساطه حتى مع الذين كان ينبسط معهم، وعسر عليه الخروج للمسجد للصلاة والتعليم، ولولا حياءه من المنتظرين له ما خرج وقد قرر قبل مرضه الذي توفى فيه بيومين أو ثلاثة أن يتخلى عن التعليم ويلزم بيته بسبب تشويش الخلق عليه الذين شغلوه عن الأمور الضرورية (العبادة). لكن تلميذه الملالي استرجعه في ذلك معللاً بأن الخلق يأتون إلى المسجد بسبب، ولولاه ما أتوا، فتراجع عن رأيه.(١)

ويبدو أن السنوسي ما قرر الخلوة والإنقطاع إلا لشعوره بدنو أجله، ولما أحس بألم مرضه الذي توفى فيه انقطع عن المسجد، أتاه بعض من كان كثير الذم له من علماء زمانه طالبين الصفح عما وقع منهم من الاساءة إليه وذمه ظلماً فصفح عنهم ودعا لهم.(٢)

ولنترك الملالي يصف لنا وفاة أستاذه بنوع من التفصيل.(٣)

وقد " سمع الناس بمرض الشيخ فصاروا يأتون المسجد لا يجدونه فتتغير قلوبهم من فقدان الشيخ من المسجد وعدم رؤيتهم، فأخبر الشيخ بذلك، فصار يتكلف الخروج إلى المسجد للصلاة... فإذا رأوه فرحوا وسروا بخروجه ورؤيته،

---

(١) المصدر نفسه ورقة ١٢٣/ ب ٢١١ / أ

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٢٢/ أ ويضيف الملالي أنه لما توفى الشيخ آسف عليه أحدهم وبكى عليه بكاء شديد لايام وكلما تذكره بعد ذلك بكى ويقول فقدت الدنيا بفقده وكذا بكى أكابر علماء وقته وقد ذكر هذه الحادثة بإيجاز كل من التنبكتي نيل الابتهاج ص ٣٢٧، وابن مريم ، البستان ص ٢٤٢، ٢٤٣، والحفناوي تعريف الخلف ج ١ ص ١٨٤.

(٣) فصلنا نقل النص رغم طوله لاعتقادنا صدق الملالي في تعبيره وتأثره بموت أستاذه وقد ذكر هذا ملخصاً كل من التنبكتي . نيل الإبتهاج، ص ٣٢٨، وابن مريم ، البستان ص ٢٤٤ والحفناوي تعريف الخلف ج ١ ص ١٨٦.

فخرج يوماً وأتى إلى باب المسجد وأراد الصعود إليه فلم يقدر، فقال كيف أطلع إلى المسجد يا رب فهم بالرجوع إلى داره فبدا له خوف من أن يدخل على الناس حزناً برجوعه، فتكلف الصعود إلى المسجد وصلى بالناس صلاة عصر يوم الجمعة ولم يكمل الصلاة إلا بشق النفس وهذه هي آخر صلاة صلاها، فرجع إلى داره فبقى إلى صبيحة يوم السبت من الغد فقربت له زوجته طعاماً فقال لها لا أقدر على شيءٍ، فقالت له : و أي شيءٍ بك ؟. فقال لها أنا ... ثم غاب عن حسه، فبقى على تلك الحالة النهار كله، ثم كلمته زوجته وقالت له : مالذي غيبك عن حسك؟. قال لها رأيت الملائكة قد صعدت بي إلى السماء الدنيا فسمعت قائلاً يقول لي أترك ما أنت عليه فقد قرب أجلك، ثم قال لها لا أستطيع أن أفسر لك بقية ما رأيت، فقالت له زوجته: ما الذي أمرت بتركه؟. قال لها قد تركت حبس ذلك المسجد لا آخذ منه شيئاً أبداً. ثم أنه لازم الفراش من حينئذ إلى أن مات .

ومدة مرضه عشرة أيام، في كل ساعة يتقوى مرضه ويتضاعف ألمه، وتضعف قوته وحركته، ويثقل لسانه، وهو مع ذلك ثابت العقل لم يتأوه ولا أن بالكلية ثم تجده مع ذلك يكلم من كلمه ويسلم على من يسلم عليه أو يشير له، لما قرب أجله بثلاثة أيام دخلته سكرات الموت، فرجع يتأوه بالقهر ويميل يميناً وشمالاً، فنظرت إليه وقد احمرت وجنتاه وأرخيت عيناه وشفتاه، وأشتد نفسه، وتقوى صعوده وهبوطه، فلم أملك صبراً على البكاء لما عاينت من شدة مقاساته وعظيم صبره على ذلك المرض ففارقته وظننت أنه لا يبقى تلك الليلة، وكانت ليلة السبت، فبقى في النزع تلك الليلة والأحد إلى بعد العصر، فكان ابن أخيه حينئذ استبشروا بذلك وعرف الحاضرون أنه ثابت العقل ليس بغافل عنها بقلبه في هذا الوقت وإن كان لم ينطق بها باللسان، حينئذ استبشروا بذلك وعرف الحاضرون أنه ثابت العقل ليس بغافل عن الله سبحانه وتعالى . كانت إبنته تقول له حينئذ تمشي وتتركني؟. فقال لها

الجنة تجمعنا عن قريب إن شاء الله تعالى، وكانت في يده سبحة، فلما أشتد مرضه سقطت السبحة من يده فبقى كذلك ما شاء الله، ثم التفت إلى السبحة فلم يجدها في يده فقال : نسيت العبادة يا محمد يعني نفسه وكان يقول عند موته : نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بكلمتي الشهادة عالمين بها.

وتوفى رحمه الله و رضي عنه يوم الأحد عند العصر، الثامن عشر من جمادى الأخرى من عام خمسة وتسعين بعد ثمانمائة، وأخبرتني والدتي رحمها الله تعالى عن بنت الشيخ رضي الله عنها أنها شمت رائحة المسك في البيت لنفس موت أبيها، قالت شممته أيضاً على جسده والله أعلم ".[1] وقد رثاه كثير من الشعراء بقصائد زنانة نذكر نموذجين منها:

١. رثاء تلميذه أبي عبد الله الحوضي (المتوفى سنة ٩١٠هـ)

لقد رثاه بقصيدة رائعة ومما قال فيها:-

ما للمنازل أظلمت أرجاؤها	والأرض رجت حين خاب رجاؤها
وأتى عليها النقص من أطرافها	وتراكمت وتعاظمت أرزاؤها
رزء عظيم خطبه ومصيبة	لم ندر يا للقوم كيف عزاؤها
فقد السنوسي الإمام محمد	وهو ابن يوسف هَدَّ منه علاءها
ودعا إلى التوحيد دعوة مخلص	وإلى الشريعة استنار ضياؤها
هو الذي ورث النبي فأصبحت	علل الضلال به استفيد ضياؤها
يا أوحد العلماء يا عاملا به	كل العلوم بدت لنا أنحاؤها
يا درة الزهاد يا عوثا به	يرجى لأمراض القلوب شفاؤها

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ٢١٢ / أ

كـم جـاءت الـدنيا تسـوق رياسـة | يبغـي إليـك تقربـا أبناؤهـا
فأبيـت عنهـا معرضـاً مستحضـراً | لم يجـد حمالهـا وبهاؤهـا
أن تبكـه عـين فمـا أدت لـه | حقـا ولـو مزجـت دموعـاً دماءهـا
أو تبكـه أبـداً تلمسـان ومـن | في صـورها ورجالهـا ونسـائها
لم يقـدروا مقـداره أنـى لهـم | ولقـد بكتـه أرضـها وسماؤُهـا

٢. ومما قال في رثائه أحد الفضلاء ويبد أنه الملالي: -

أحيـا الإلـه بـه بلـد الجـدار كمـا | تحيـا بقـاع جميـع الأرض بـالمطر
حياتـه الزهـد والإخـلاص ملبسـه | وقوتـه الـذكر في ورد وفي صـدر
كأنمـا رمضـان كـل صـبيحة | وليلـة القـدر صـارت جملـة الشـهر

....

يـا أيهـا العـلام المرفـول في ورع | يـا أيهـا الصـالح المخصـوص بـالعبر
مـن للمسـاجد يحييهـا ويعمرهـا | بطاعـة الله في الآصـال والسـحر
مـن للأرامـل والأيتـام يكفلـها | فأنـت كنـت كفيـل كـل مفتقـر
مـن للعلـوم الـتي ألفتهـا حكمـاً | وعمـت في بحرهـا غوصـاً علـى الـدرر
حتـى وجـدت بقعـر البحـر لؤلـؤة | جلـت عـن الـثمن المقصـور للقصـر
أودعتهـا في صـدور الحـافظين لهـا | عقيـدة رسـخت كـالنقش في الحجـر

....

يـا طـالبي العلـم هـذا بحـر موردكم | أصـابه القحـط والأرواح في سـعر
حـق الغـزاء يـا أهـل بلـدتنا | فـنحن والله بعـد الشـيخ في غـير

الفصل الثالث

موقفه من بعض قضايا عصره

١ - موقفه من الحكام:

الابتعاد عن الحكام الظلمة من شيمة كبار العلماء لأن أولئك الحكام يحاولون تسخير هؤلاء لخدمتهم والدعاية لهم وإصدار الفتاوى لجعل أفعالهم الدنيئة مشروعة، وربما هذا ما أدى ببعض العلماء للانزواء والعزلة خوفاً من بطش هذا النوع من الحكام الجاهلين بالظلم والطغيان وحتى لا يلاموا على مناكرهم وفسادهم [1] وهو ما جعل العلماء المخلصين ينظرون إليهم نظرة كره، لا يريدون رؤيتهم ولا لقاءهم ومن هذا القبيل السنوسي ينظر إلى حكام عصره على أنهم مثال التسلط والكبر والظلم وقد كانوا كذلك والسنوسي الحريص على إصلاح ما بأمته من عيوب رأى هذه الأمة ضائعة تائهة لا يزيدها حكامها إلا تمزيقاً – كما رأينا في الحياة السياسية – وقد عاين ما وقع للمسلمين في الأندلس بسبب فساد حكامها وتمزيقهم للمجتمع وتكالبهم على السلطة، فأرجعوا الأمة إلى العهد القبلي الجاهلي فكانت الحروب بين المسلين مشتعلة والأمة تذهب ضحية تلك النزوات الشخصية المنحرفة وكثير من علماء السوء تقربوا إليهم فباعوا دينهم بدنياهم وبثوا الخرافات باسم الكرامات والخزعبلات باسم المكاشفات.

وهو ما جعل السنوسي يكرههم أشد الكراهية ويراهم مثالاً للبطش والكبر والظلم إلى درجة أنه شبه المعلم الذي يضرب صبياً أنه بحرس السلطان الذي لا

---

(١) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٤٦

شفقة معهم ولا رحمة ترجى لهم[1]. وهذا التعبير واضح على مدى ما وصل إليه ظلم الحكام للرعية فأصبح يضرب بهم المثل في القسوة والغلظة وانعدام الرحمة، لذلك قرر مقاطعتهم والبعد عنهم وعمل كل ما في وسعه ليتجنب الاتصال بهم رغم محاولتهم ذلك، وإذا كانت عادة الناس التقرب للحكام بالهدايا، فما بالناس إذ أعطاهم الحاكم الهدايا؟!. لكن السنوسي يشذ عن هذه القاعدة بأن كان يرفض هدايا السلطان والمقربين إليه رغم الحياء الشديد الذي جبل عليه بحيث لم يكن يستطيع أن يرد طالبه، ومما يدل على هذا :-

- أن السنوسي أتاه ابن الخليفة يوماً بهدية فرفضها فقبل ابن الخليفة يدي السنوسي ورجلية ليأخذها فأبى بل ورفض حتى أن يأخذها ليتصدق بها على من يشاء من الفقراء، فاضطر ابن الخليفة ليتصدق بها بنفسه على بعض الفقراء أصحاب الشيخ .[2] و كان يتغيب عندما يسمع أن وليمة ستقام عند أحد الكبراء ويأمر أهله بعدم قبول الهدايا من السلطان وأتباعه [3]
- وقد بعث السلطان أبو عبد الله وزيره إلى السنوسي طالباً منه أن يأخذ شيئاً من غلات مدرسة الحسن أبركان فأبى، فبعث له ثانياً فأبى فلما ألح عليه الوزير كتب السنوسي كتابا إلى السلطان معتذراً له عن أخذ ما طلب منه، مما قال في الديباجة: فقد وقف علينا الفقيه الحبيب الأمين الناصح في جهتكم الكيّس اللبيب أبو عبد الله محمد العبادي جعله الله لكم وزير صدق، ومعين حق

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١١٤ / ب

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٠٩/أ أبن مريم ، البستان ص ٢٤١ التنبكتي ، نيل الابتهاج ٣٢٦ص الحفناوي تعريف الخلف ص ١٨٣ وقد أسقط هؤلاء الثلاثة الأواخر الجملة الأخيرة.

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٠٥/ ب ابن مريم البستان ص ٢٤١، التنبكتي نيل الابتهاج ص ٣٢٦ الحفناوي تعريف الخلف ص ١٨٣ .

وخلص الجميع من شباك الدنيا وسراب مرورها المار مر السحاب خلاصاً جميلاً، فذكر لنا أنكم اهتممتم بنا فيما يرجع لهذا العيش الدنيء القريب أنكم عرضتم علينا شيء من غلات المدرسة الجديدة، فجزاكم الله تعالى على ما اهتممتم به أفضل الجزاء ولقاكم به خيراً وسروراً يوم الموت واللقاء، ونحن نعلمكم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى بفضله كفانا الضروريات في هذا المعاش ورقناه عند الإحتياج من يحث لا نحتسب وأنعم علينا بطولة أن خلق لنا الراحة من ذلك في قلوبنا وأبداننا، ونحن نتقلب من أنعم مولانا جل وعز ظاهراً وباطناً مع عدم الأهلية والله لشيء من ذلك، بل بعث مع ذلك بل الذي نحقق ونقطع به وجود الأهلية منّا للعاجلة بغضبه و عاقبة ، ولكن بحلمه وكرمه عامل من ليس من المتقين، فله الحمد تبارك وتعالى ظاهرا وباطنا...)[1]

السنوسي إذن يرفض إعانة السلطان وينصحه بطريق غير مباشر، وهذا ما جعله مهما في أعين الحكام، فلم يكونوا يتجرؤن على المساس به ولم يكن يخش بأسمهم ومما يدل على هذا تلك المرأة التي فرت بابنها إلى دار السنوسي خوفاً من السلطان الذي رفض أن يسلمها لرسول السلطان في النهاية ليتركوها عند السنوسي، بل بعث مع ذلك هدية لحفيد السنوسي من ابنته وقال لرسوله " قبل عني يده – أي يد الشيخ السنوسي – وقل له إن فلانة حين حلت في حرمكم لا نقربها ولا نضرها".[2]

والحقيقة أن هذا الموقف قل من يقفه أمام السلطان لا من العلماء القدامى ولا من العلماء المحدثين وهو يدل على أن السنوسي وصل إلى درجة من الحب لله

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ٦٧ / ب

(٢) المصدر نفسه ورقة ١١٧ /أ ب

والطاعة له عظيمة هانت معها كل الحياة ولم يعد يخاف في الله لومة لائم، ذلك أن تصرفا كهذا كان يمكن أن يؤدي بحياته إذ من ذا الذي يخالف أمر السلطان ويرد كلامه ويخيب رسوله إلا من كانت صلته بربه أقوى وشفقته بالمظلومين أعظم.

وإذا كان السنوسي لا يقبل هداياهم ولا يخشى بأسهم فإنه كان كذلك شديد الكراهية لرؤيتهم ورؤية أبناءهم مما جعله ينفر من الجلوس معهم ولا يدل على هذا مما ذكره الملالي أن السنوسي لما شرع في تفسير القرآن الكريم في مسجده بعث السلطان إليه ورسولاً كي يصعد إلى مسجده ليفسر فيه القرآن الكريم، فأبى رغم إلحاح السلطان عليه في الطلب، وقد اعتذر بأن الحياء يغلبه بحضرة السلطان فيعجز عن الكلام فيعيش منه السلطان وعلم أنه لن يصعد إلى مسجده لأنه ليس كغيره من الفقهاء والمدرسين الذين يحبون الدنيا والإجتماع بأهلها وعندما وصل في تفسيره إلى الإخلاص " عزم على تفسير الإخلاص في يوم والختم بالمعوذتين في اليوم التالي فسمع الوزير بذلك واراد حضور الختم، فعلم السنوسي أن الوزير سيحضر الختم ففسر الإخلاص والمعوذتين في اليوم الأول حتى لا يحضر الوزير.[(١)]
وإذا كان السنوسي يكره الحكام وينفر من الإجتماع بهم فإنه كان ينفر من جندهم وقوادهم وأقارب السلطان إذ لا شيء كان أبغض إليه من الإجتماع بهم والنظر إليهم، وقد خرج يوماً مع جماعة إلى الصحراء فرأى عن بعد أناساً راكبين على خيول وعليهم ثياب فاخره فقال للملالي ومن معه من هؤلاء؟ فأخبروه بأنهم خواص السلطان فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ورجع عن طريقه ومشى على طريق آخر حتى لا يلتقي بهم.

---

(١) المصدر نفسه ورقة ١٠٤/ب ابن مريم البستان ص ٢٤١ التنبكتي ، نيل الابتهاج ص ٣٢٦ الحفناوي تعريف الخلف ص ١٨٢.

والتقى مرة أخرى بخواص السلطان ولم يتمكن من الرجوع لكثرة الزحام في الطريق فأدار بوجهه إلى الحائط وغطى وجهه بطرف لباسه حتى اجتازوا كلهم ولم يروه.[1] و السبب في ذلك أن السلطان وأتباعه مجرمون في نظره يجب البعد عنهم كما يجب كرهتهم لله .

والعلاقة الوحيدة التي كانت تربطه بالحكام أنه كان يكتب لهم الرسائل بناء على طلب المظلومين من الناس الذي يتوسلون به إلى الحكام ، فيكتب لهم الرسائل لقضاء حوائجهم من الحكام وهو يكره ذلك أشد الكراهة وقد عاتبه أخوه علي التالوتي (المتوفى سنة ٨٩٥ هـ) وأمره أن يكتب للسلطان وغيره فرد عليه السنوسي بلطف بأن الحياء يمنعه من أن يرد المسلمين الذين يطلبون منه ذلك خائبين فقال له أخوه" لا تستحي من أحد" فأجابه " إذ كان الحياء يدخل صاحبه النار فأنا أدخلها "[2] فهو إذا كان يكتب للسلطان مضطراً لحل مشاكل المسلمين.

والنتيجة التي نستخلصها مما سبق أن مواقف السنوسي السابقة ليفقهها إلا من وصل إلى درجة كبيرة من الجوع والزهد في الدنيا والإخلاص لله والبعد عن ظلمة الأمة ولذلك لم يكن كغيره من كثير من علماء عصره الذين كانوا يقربون إلى السلاطين لأغراض دنيوية هؤلاء السلاطين كان يعتبرهم مجرمين سلطوا على الأمة ولم يكن يفرط في تقديم النصيحة لهم عندما يجد الفرصة سانحة لذلك.

أما ما يمكن أن نلاحظ على السنوسي فهو أننا لم نجد له حديثاً عن النظام السياسي الإسلامي ومبادئه كالشورى وغيرها ويبدو لنا أن سبب هذا هو فساد

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٠٤ /ب التنبكتي، نيل الابتهاج ص ٣٢٦، ابن مريم البستان ص ٢٤١، الحفناوي ، تعريف الخلف ص ١٨٢ .

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ١١٠/أ ، التنبكتي، نيل الابتهاج ص ٣٢٧ أبن مريم البستان ص ٢٤١ والحفناوي تعريف الخلف ص ١٨٣ .

عقيدة الأمة ولذلك بدأ السنوسي بإصلاحها بتغيير نفوس المسلمين بتلقيهم العقيدة الصحيحة ونشره العلم والأخلاق الحميدة وعندما تصحح عقيدة الأمة وتبنى أخلاقها ويقض على جهلها سيتغير سلوكها وهنا سيأتي من يعمل على تغيير النظام ليتكون المجتمع الإسلامي الأمثل .

٢- موقفه من العلماء:

عصر السنوسي اتسم بكثرة من يسمون أنفسهم علماء وما هم بعلماء، وإن علموا خانوا علمهم وقد صنف السنوسي علماء عصره إلى ثلاثة أقسام :-

١. الفرعيون الجامدون: ويمثلون أكثر علماء عصر وقد اتسموا لمذهب مالك وتحجرهم عليه لا يعرفون غيره وينكرون كل ما عداه مدعين الإحاطة بالشريعة منكرين على ترك طريقهم وقد أثر هذا النوع من العلوم كثيراً فأصبحوا أتباعهم.

هؤلاء في نظر السنوسي خطر على الأمة لأن ادعائهم الإحاطة بالشريعة كذب بسبب تعذرها عليهم وتعصبهم نابع من ضيق الأفق وهو يؤدي إلى تحجر الفكر وتعطيل المواهب، وجعل الشريعة محصورة.

إذا كان الفقه يعني الفهم، وحقيقته ما أدى لترك الدنيا وطلب الآخرة فإن هؤلاء المتعصبين الفروعيين ليسوا فقهاء لأنهم ما تركوا الدنيا وما رحموا الفقراء.(١)

هذه قضية مهمة، ذلك أن السنوسي رغم تبنيه لمذهب مالك في الفروع إلا أنه رفض التعصب له والتقيد به دون غيره. وقد استدل السنوسي على صحة

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ٧ / ب

موقفه بموقف مالك[١] ﷺ حين قال له الرشيد.[٢] أريد أن أحمل الناس على الموطأ فرفض بحجة أن الصحابة تفرقوا في الأمصار وعند كل واحد منهم علم.[٣] ولذلك قرر السنوسي بأن العالم الذي وصل إلى درجة الاجتهاد وبحث يحرم عليه التقليد، وأما الذي لم يصل إلى درجة الإجتهاد أو العامي فيجب عليه الالتزام مذهب معين من مذاهب المجتهدين يعتقد أنه أرجح من غيره أو مساوياً لكن المساوي ينبغي له أن يسعى في رجحانه ليتحقق له اختياره على غيره، لكن عندما يلتزم مذهباً معيناً يمتنع عليه تتبع الرخص في المذاهب بأن يأخذ أسهلها، ويجوز له الخروج عن المذهب للضرورة[٤]. ومعنى هذا أن السنوسي يرفض التعصب لمذهب معين بسبب ما يترتب على ذلك من أخطار كما سبق:-

٢. المتعمقون المغرورون : هؤلاء لهم علم لكنهم اغتروا به وتزلفوا للسلطان فأصبحوا من خاصته فهم علماء سوء آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، فأصبحوا وبالاً على الأمة، وقد اتخذ كثيراً منهم طرقاً صوفية منحرفة منخدعين بما برق لهم من إمارات العرفان فضلوا وأضلوا وقد أحس هذا النوع من الفروغيين

---

(١) هو عبد الله بن مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الحميري إمام دارة الهجرة وأحد الأئمة الأربعة الذين اتفقت الأمة على إمامتهم من مؤلفاته (الموطأ) وقد عاش في المدينة المنورة سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥ .

(٢) هو هارون الرشيد بن محمد (المهي ابن المنصور العباسي أبو جعفر الرزكلي ، الاعلام ص ١٢٨ خامس الخلفاء الراشدين العباسيين في العراق وأشهرهم كان حازماً كريماً متواضعاً يحج سنة ويغزو سنة أخرى وبد أزدهرت الدولة في عهده ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على باب العلماء والشعراء والكتاب كانت له وقائع كثيرة مع ملوك الروم فأصبحت جزيتهم تاتية من القسطنطينية طول حياته. مكث في الحكم أكثر من ٢٣ سنة توفى سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩ م (الزركلي الاعلام ج ١ ص ٤٣/ ٤٤).

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ٧/ب

(٤) الونشريسي المعيار ج ١٢ ص ٤٣ ،٤٤

بخطر السنوسي عليهم بسبب ما رداً به من تنوير القلوب وإجلاء الحقائق وإعادة الناس إلى الصراط المستقيم ليربطهم بربهم رافضاً ما ادعاه أولئك من استلزام الوسائط من الشيوخ بين الخلق والخالق، فأعلنوا عليه حرباً شعواء ، وقد بين الملالي هذا بأن السنوسي عندما ألف بعض عقائده وأظهرها للوجود اتهمه بعض هؤلاء المعاصرين له بأن ما فعله بدعة، وأن ترك التأليف هو الورع، وبأنه لم يقصد بذلك وجه الله عز وجل وقد أثر هذا في السنوسي الذي بقي حزيناً لما سمع ذلك نحو ثلاثة أيام لكنه بعد ذلك أدرك كيدهم ومكرهم فسكتوا حينئذ ولم يقدروا أن يتكلموا[١] والسنوسي مع هذا عفا عن الذين اتهموه بذلك، فتابوا واعترفوا بخطئهم وفضله عليهم[٢]. وهذا يعبر لنا على جانب من أخلاقه العالية التي كانت تجعله يمدح معارضيه في بعض الأحيان ويدعو لهم ولا يتألم لنقدهم له.[٣]

وهذه قضية مهمة تبين لنا أنه كان يفهم جيداً ما يجب، أن يكون عليه الإنسان الذي يريد أن يغير أمته ليرفضها من الحضيض أنه طبيب ينظر إليهم على أنهم مرضى، ومن عادة الطبيب أن يشفق على مريضه.

ويبدو لنا أن السلطان وأتباعه كان لهم دخل في تحريض أولئك العلماء على مهاجمته بغية تشويه سمعته ، لا سيما أن كان هؤلاء العلماء من أهل التصوف البدعي ذوي الإتباع من العامة وذلك لإبقاء العامة في غيهم يعمهون، ويؤكد لنا هذا التحريض موقف السنوسي من الحكام الذي بيناه من قبل.

(١) الملالي، المواهب القدسية ورقة ١١٣ / أ
(٢) المصدر نفسه ورقة ١١٣/أ ، التنبكتي ، نيل الابتهاج، ص ٣٢٧ أبن مريم ، البستان ص٢٤٢ .
(٣) الملالي المواهب القدسية، ورقة ١٢٢ / أ

٣- العلماء المخلصون :

وهؤلاء في نظره هم علماء الإسلام الحقيقيون، وهم أولياء الله ، ومنهم عبد الكريم المغيلي الذي أشاد السنوسي بموقفه من يهود توات وقد اعتبره من القائمين بفرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فاسد الأزمان، وقد وصفه بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بشريف الإيمان فدعا له بالمباركة في دينه ودنياه والختم له بالسعادة.[1]

وهكذا فالعالم الحقيقي هو الذي يجمع بين العلم والعمل والإخلاص لله، ولكن هذا النوع من العلماء قلة، وهو ما جعل السنوسي يحترق على أمته التي يراها شتاتاً سادتها الأمية وسيطر عليها علماء السوء ممن باعوا دينهم بعرض من الدنيا، ومتعمقون لكن تقربوا إلى الحكام الظلمة ، ولم يتقربوا إلى الله .

والنتيجة هي فساد عقيدة الأمة ومن هنا فلا بد أن نبدأ بإصلاح العقيدة وهذا ما سخر السنوسي كل حياته من أجله.

٤- موقفه من الفقراء :

السنوسي كان يتمزق آلاما وحسره على الفقراء الذين كانوا محرومين منبوذين في مجتمعه رغم أمر الإسلام بمساعدتهم والرفق بهم، أما الفئات التي كانت تحتقرهم فهي ثلاث:

أ – أرباب الدنيا وأتباعهم :

والمقصود بأرباب الدنيا الحكام الظلمة والمترفون من أتباعهم، وسبب احتقار

---

(١) محمد بن عبد الكريم المغيلي مصباح الأرواح في أصول الفلاح تحقيق رابح بونار د ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٨، ص ٧١، ٧٢، أبن مريم البستان ص ٢٥٣ .

هؤلاء للفقراء لأنهم أضدادهم لرثة ثيابهم وقلة ما يملكون، ويتوصل السنوسي إلى أن الدنيا تورث الفساد وطول الأمل " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"[(١)] فأرباب الدنيا من الحكام والملوك ملكوا الدنيا ففسدت سرائرهم فنشأ من ذلك احتقارهم للفقراء أما أتباع الحكام فهم يعيشون في مرضاة حكامهم ولذلك لا بد لهم من احتقار الفقراء كأسيادهم " وقالوا ربنا أنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا"[(٢)(٣)]

ب- الجامدون من الفروعيين:

وهم الذين تحدثنا عنهم من قبل، وقد أضر تعصب هؤلاء كثيراً بالمسلمين بسبب ما يتسمون به من ضيق الأفق وعدم إحاطتهم بالشريعة مع جهلهم بذلك. وقد تبعهم أكثر العوام فاغتروا لأنهم لا هم لهم سوى محاربة من خالفهم من المذاهب وهؤلاء يحتقرون الفقراء لأنهم لا يرون لهم شوكة. فهم مغترون بكثرة أتباعهم من العامة مفرطون في دينهم لدنياهم .[(٤)]

ج – العلماء الذين فتنهم الشيطان بالغرور: –

فانحرفوا وقد عظمهم الناس، فهولاء يبغضون الفقراء لا يتصنعون، والسنوسي يعتبر هذا النوع من العلماء لم يحذقوا في العلوم ولا حفظوا الأحاديث والسنن المتواترة بل اشتغلوا بما لا يعنيهم " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه".[(٥)]

---

(١) آل عمران / ١٨٥

(٢) الأحزاب / ٦٧ .

(٣) الملالي ، المواهب القدسية ، ورقة ٧ / ب

(٤) المصدر السابق ورقة ٧/ ب

(٥) يونس / ٣٩

تقديـره للفقـراء :

بعد استعراض السنوسي للحاقـدين علـى الفقـراء يقـرر أن عامـة مـذهبهم مذهب أهل القرآن والحديث، وعلومهم مكارم الأخلاق التي بعث رسـول الله ﷺ ليكملها ولا يشتغلون بالفروع إلا بقدر ما يعرفـه كافـة النـاس رغـم اجتهـادهم في العبادة. والحقيقة أننا عندما نستقرئ تاريخ الأمم نجد أن الفقراء كان لهـم الشـرف في إتباع الأنبياء عكس الكبراء الذين يشترك كبراؤنا معهم في خصائص منها ازدراء الفقراء، وها هم قوم نوح يحتجون عليه ويبررون كفرهم بإتباع الفقـراء لـه " قـالوا أنـؤمن لـك واتبعـك الأرذلـون"[1] أي الفقـراء الممزقـوا الثيـاب، ولـذلك طـالبوه بطردهم، فأجابهم: " يا قوم من ينصرني مـن الله إن طـردتهم"[2]لأنـه كـان يعـرف قيمتهم، ولذلك قال: " ولا أقول للذين تزدري أعيـنكم لـن يئـوتيهم الله خـيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين"[3] وكذلك فعل الكبراء مع سـيدنا صـالح وشعيب وعيسى وغيرهم من الرسل، وكذلك فعلوا مع نبينا ﷺ فنـزل قولـه تعـالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[4] ويتوصل السنوسي إلى أن كبراء هذه الأمة من أبناء الـدنيا اتبعـوا كـبراء الأمـم السـابقة في احتقـارهم للفقراء، وقد اسند إلى حديث مسلم " لتتبعن سنن الـذين مـن قـبلكم شـبرا بشـبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لا تبعتموهم".

---

(١) الشعراء / ١١١ .

(٢) هود / ٣٠ .

(٣) هود/ ٣١.

(٤) الأنعام / ٥٣ .

وإذا كان الفقير ينظر إليه بهذه النظرة من طرف الكبراء وأتباعهم فإن ذلك ما يربى نفسه بحيث لا يشعر بغرور ولا كبر ولا رياء[١] ولا نفاق.

والسنوسي لم يدافع عن الفقراء نظرياً فقط، بل يقربهم إليه كثير التصديق عليهم مع المرضى. خاصة أيام الجماعة، كان أكثر ما يفعل ذلك بالليل حتى لا يراه أحد، وكان يوصى أهله كذلك بالتصدق عليهم[٢] وإذا لم يجد ما يعطيهم أعطاهم عشاءه[٣] وهذا ما جعل كثيرا منهم يأوون إلى مسجده[٤] .

د – موقفه من اليهود:

يعد السنوسي من العلماء القلائل في عصره الذين تنبهوا لمكر اليهود ودسائسهم لتخريب الأمة الإسلامية وعداوتهم ظاهرة منذ نزول الوحي إلى الآن " كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق"[٥] وقد بدأ حقدهم ودسائسهم على الإسلام منذ بداية الدعوة الإسلامية ويتجلى لنا هذا عندما ذهب الوثنيون المكيون إلى المدينة يسألونهم عن دين محمد هل هو أفضل أم دين قريش؟ فأجابهم اليهود بأن دينكم أفضل من دينه" ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً"[٦] وقد فضل اليهود نقض اتفاقيتهم مع المسلمين ليتحالفوا مع العرب

(١) الملالي، المواهب القدسية، ورقة ٧/ ب

(٢) المصدر نفلسه ورقة ١١٩/ ب، التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص ٣٢٧ ابن مريم البستان، ص ٣٤٣ الحفناوي تعريف الخلف ص١٨٤ ١٨٥ .

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٢٤/أ

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١١٩/ ب

(٥) البقرة/١٠٨

(٦) النساء / ٥٠

الوثنيين ضد المسلمين في غزوة الأحزاب ومكائد بني قريضة ودسائس بني النضير ليس خافية على أحد وقد كان لليهود يد طولى فيما حدث بعد ذلك من فتن بين المسلمين وهم يتربصون بنا الدوائر إلى الآن والغريب أن كثيراً من علمائنا يتساهلون معهم باسم التسامح، ويضعون حقوق الأمة تحت ذلك الشعار والغريب أنه إذا تنبه المرء منا لما يحيط به من أخطار وبدأ يفكر كيف يحمي نفسه أتهم بالتعصب والجمود والسطحية.

وهذا ما وقع للسنوسي، الذي اتهمه بهذه الاتهامات جورج قنواتي ولويس فردية. [1] وذلك لأن هذا النوع يريد من المسلم أن يتخلى عن عقيدته التي تعد بديهية لوضوحها وصحتها ليصبح غير متعصب والحقيقة أن جورج قنواتي من أشد الناس تعصباً للنصرانية وهو رئيس دير الكاثوليك الدومينكان في مصر ويدعو إلى النصرانية ويحارب بكل ما يملك من قوة وإلا كيف يعتنق" الثلاثة تساوي واحداً وهو ما يقرره المذهب الكاثوليكي؟. أنه في حين يدعي استخدام العقل عندما يهاجم أحد المفكرين المسلمين نجده يتخلى عن ذلك العقد تماماً عندما يتحدث عن عقيدته ويسلم بها تسليما[2] فأين هذا من السنوسي الذي يقرر إلزام استخدام العقل قبل الاعتقاد ؟! بل وصل به تمجيد العقل إلى حد ترجيحة كفر المقلد[3] .

---

(١) ومن الأسباب التي جعلت السنوسي متعصباً في نظر جورد قنواتي وزميلة أنه مالكي المذهب (جورج قنواتي، ولويس غردية فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ترجمة صبحي الصالح والأب فريد جبر ط ح دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨ ج ١ ص ١٤٠) وقد تبين لنا في موقف السنوسي من علماء عصره رغم ماليته إلا أنه كان ضد المذهبية اللهم الا للعاجز عن الاجتهاد وهذا يدحض رأي جورج قنواتي وزميله.

(٢) ما يقال على جورج قنواتي من تعصب يقال على لويس غوردية الأستاذ بجامعة بيروت الأمريكية .(اليسوعية) .

(٣) الحسين بن محمد الورثيلاني الرحلة الورثيلانية (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار) ط ق دار الكتاب العربي بيروت ١٩١٤ ، ص ١١٧.

والحقيقة أن السنوسي يحب دينه كما يحب كل الناس أديانهم وهو أبعد ما يكون عن التعصب واتهامه بالتعصب صفه، لأنه كيف نتهم إنساناً بالتعصب لمبدأ معين وهو يشترط على الناس أن لا يعتنقوا ذلك المبدأ إلا بعد اقتناعهم بصحته عقلياً[١].

والواقع أن النصارى هم المتعصبون الحقودون ولا أدل على هذا من تذبحهم للمسلمين ومحاربتهم الدعوة الإسلامية من ظهورها إلى الآن.

والسنوسي تنبه إلى أخطار اليهود وما يتربصون بالأمة من دوائر وقد وقف منهم موقفين أحدهما نظري، ويتمثل في مناقشتهم بالمنهج العقلي ولا أدل على ذلك من تلك المناظرة التي بيناها من قبل .

أما الموقف الثاني فهو عملي، ويتمثل في تأييده للعلامة المغيلي[٢] في هدم بيعهم بمطقة توات[٣] وعدم السماح لهم ببناء بيع جديدة، وذلك أن المغلي بعد أن غادر تلمسان إلى توات رأي يهودها قد تجاوزوا الحدود الشرعية واستعلوا على المسلمين فأكثروا من التصدي والطغيان وتمردوا على الأحكام وتقربوا للسلطان،

---

(١) السنوسي شرح الصغري مخ دار الكتب الوطنية تونس رقم ١٩٠٣ ورقة ١٥/أ

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، علامة الفقه والحديث والتفسير والمنطق وغيرها أشتهر بمواقفه العظيمة كموقفه من يهود توات، وقد حاج السيوطي في تحريمه للمنطق له مؤلفات منها " البدر المنير في علوم التفسير" شرح جمل الخونجي في المنطق" " مقدمة في المنطق ومنظومة فيه سماها " منع الوهاب " وله عليها ثلاثة شروح " مصباح الأرواح في أصول الفلاح " (أبن مريم البستان ص ٢٥٣.......٢٥١).

(٣) منطقة توات تقع جنوب غرب صحراء الجزائر وتبعد أقرب نقطة منها عن العاصمة ب١٥٠٠ كلم . وكانت تشتمل على عدد من الواحات والمدن والقصور/ وهي حاليا منقطة أدرار (فرج محمد فرج إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين د ط المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر١٩٧١ ص ١ .

وقد تساهل معهم المسلمون فقربوهم من أنفسهم وعيالهم ووضعوا أموالهم في أيديهم مع أنهم لا مروءة لهم ولا دين فتدهورت أخلاق المسلمين وأحوالهم وأصبح لليهود سلطة ونفوذ ونشاط في إحدى البيع واستعلوا على المسلمين مستغلين نفوذهم عند الحكام الظلمة فاغتاظ المغيلي لذلك كثيرا وأراد الهجوم بأصحابه على بيعهم لهدمها فعارضه قاضي تواب الفقيه عبد الله العصنوني في ذلك، فكاتب علماء فاس وتلمسان ليفتوه وقد عارض كثير منهم المغيلي لكن شفي غليله الحافظ التنسي[1] والسنوسي حيث أيداه في هدم بيعهم، ومما قاله السنوسي في ذلك :-

إلى الأخ في الله تعالى .... ، القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها – لا سيما في هذا الوقت- علامة الإتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية، وعمارة القلب بشريف الإيمان السيد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغلي..... إلى أن يقول : " فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير أحداث اليهود أذلهم الله تعالى واخمد كفرهم – لكنيسة في بلاد المسلمين، وأنكم حرضتم أهل تمنطيطت على هدم الكنائس التي لليهود ببلادهم فتوقفوا من جهة ما عارضكم في ذلك من أهل الأهواء،[2] فبعثتم لذلك أسئلة تستنهضون بها همم العلماء لينظروا في ذلك، فاعلم يا أخي أني لم أر من وفق لإجابة هذا المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي به عرف من أكابر علماء تلمسان أخذ عن أئمة منهم ابن مرزوق الحفيد، أشتهر بتنبه لما يحيق بالمسلمين من كيد له تآليف منها " نظم الدرر والعيقان في دولة آل زيان " " الطراز على الخراز " ضبط المصحف وجواب مطول حول يهود توات أيد فيه المغيلي توفي سنة ٨٩٩هـ (محمد بن محمد مخلوف شجرة النور الزكية في طبقات المالكية د ط دار الكتاب العربي، بيروت، د ت ج ١ ص ٢٦٧) (ابن مريم البستان ص ٢٤٨، ٢٤٩).

(٢) يقصد الفقيه عبد الله العصنوني (المغيلي مصباح الأرواح تقديم رابح بونادر ص ١٦).

وشفا غليل أهل الإيمان في هذه المسألة ولم يلتفت لأجل قوة إيمانه ونصوع إيقافه إلى ما يشير به الوهم الشيطاني من مداهنة بعض من تتقي شوكته ويخشى أن يقع على يده إضرار أو حط في المنزلة سوى الشيخ الإمام القدوة وعلم الأعلام الحافظ المحقق أبي عبد الله محمد بن الجليل التنسي .... فليعول أهل تمنطيطت وغيرهم من أهل الإسلام على ما أبدأ من الحق في ذلك الجواب، ولينبذوا ما خالفه أن أرادوا الفوز بشرف الإسلام وإعزازه و إصابة وجه الصواب. [1] والمغيلي بعد إطلاعه على فتوى الحافظ التنسي الموافقة لمراده وتأييد السنوسي التام لتلك الفتوى وإشادته بالحافظ التنسي وبالمغيلي في ذلك، هاجم المغيلي مع أتباعه من المسلمين بيع اليهود ومعهم آلات الحرب فهدموها، وأوصى أتباعه بقتل من عارضهم، فلم يعارضهم أحد[2] .

والنتيجة أن تأييد السنوسي للمغيلي وإشادته بعمله الإسلامي يدل على وعيه التام بما يجري في عصره من كيد اليهود بالمسلمين وتربصهم بهم بكل الوسائل فكراً وعملاً، ولذلك قرر مواجهتهم فكراً وعملاً كما بينا.

وهنا يجب أن ننبه إلى أن كثيراً من العلماء الأمريكان والإنجليز والفرنسيين وغيرهم بدأوا في السنين الأخيرة يكتبون الرسائل والأبحاث حول هذه الحادثة متهمين المسلمين بالتعصب ومنهم القسيس الفرنسي بول كامبوزا ((المتوفى سنة ١٩٧٤)) الذي قدم بحثاً في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته وذلك بتونس في ديسمبر ١٩٧٤م وقد أتهم المسلمين في التعصب الديني واضطهاد اليهود

---

(١) المغيلي ، مصباح الأرواح ص ٧١ ،٧٢، ٧٣، ابن مريم ، البستان ص ٢٥٣،٢٥٤ التنبكتي ، نيل الابتهاج ص ٣٣١ .

(٢) المغيلي مصباح الأرواح تقديم رابح بونادر ص ١٤ ... أبن مريم البستان ص ٢٥٤ التنبكتي ، نيل الابتهاج ص ٣٣١

عبر التاريخ[١]. والحقيقة أن هذا بكاء التماسيح، ذلك أن المغيلي لم يقرر هدم بيعهم إلا لما رآه من تعال وطغيان وتمرد على الأحكام الشرعية، وهو ما يسمى اليوم بالخروج على قانون الدولة والإخلال بالنظام العام والإحتكار والكسب غير المشروع والضغط الاقتصادي على الأمة والإستهتار بالقيم ولا أدل على هذا من قتل اليهود ولد الغيلي ولم يحرك حاكم المسلمين ساكناً[٢] وقد بال أحد اليهود على قبر المغيلي[٣] وحاكم المسلمين لم يحرك ساكنا كذلك وقد اغتنم اليهود ضعف الدولة السياسي والاقتصادي واستخدموا حيلهم ونفوذهم للتدخل في شؤون المسلمين وهي نظام حكمهم. [٤] وأصبحوا يعيثون في الأرض فساداً، ومن ذلك بناء بيع غير محتاجين إليها، ولكن لهم هدف من وراء بنائها، هو إعطاء المنطقة طابعاً يهودياً كما يفعل نصارى اليوم في بعض المدن المصرية وفي غير مصر من البلدان الإسلامية التي احتلها النصارى. وقد تنبه المغيلي إلى أن عمل اليهود له بعد ديني وسياسي – والجانب السياسي فيه كبير وقد بين السنوسي هذا الجانب السياسي في جوابه للمغيلي في قوله : " فسد فيه الزمان " " وسادت فيه مداهنة من تتقي شوكته"[٥] " تقربوا للسلطان " .... وعلى هذا الأساس فإن هذا التصوف للمغيلي مع اليهود وتأييد السنوسي والتنسي له عمل منطقي وما هو إلا دفاع عن النفس تدل على تنبه هؤلاء لما يحيق بأمتهم من مكر، وهو يشهد لهم بالفهم الثاقب لما يجري في محيطهم من كيد المسلمين .

---

(١) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٤٣ .
(٢) المغيلي، مصباح الأرواح تقديم رابح بونار ص ٢٠ .
(٣) أبن مريم البستان ص ٢٥٥ .
(٤) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج١ ص ٤٣ .
(٥) المصدر نفسه ص ٤٤ .

الفصل الرابع

إنتاجـــه الفكـــري

استطاع السنوسي خلال حياته أن يقدم إنتاجاً هائلاً في مختلف المعارف ينال إعجاب العلماء بما فيه من إبداع، وأصبح لإنتاجه مكانة عظيمة لم يبلغها إلا بعض المفكرين، وسبب ذلك :-

- وجوده في عصر قل فيه الإبداع الفكري الإسلامي لأنه عصر الإنحطاط (القرن ١٥) بحيث سيطرت فيه روح الشرح على العلماء أكثر من روح الإبداع مما يدل على تأخر العقول، ورغم أن السنوسي شرح لكثير من العلماء إلا أن الذي استحوذ عليه هو غزارة الإنتاج وجودته بما فيه من روح الإبداع .

- اهتمامه بالعلوم التي تحرس عقيدة الأمة وأهمها التوحيد، وعصره كان المسلمون فيه يحتاجون إلى هذا العلم كثيراً بسبب اشتداد الحقد الصليبي وهجوم النصارى على المسلمين وطردهم من الأندلس ومواطن كثيرة وبسبب الخطر اليهودي من الداهم الذي كان يروج الشك والتضليل في العقيدة الإسلامية، وهو ما جعل السنوسي يؤيد المغيلي في موقفه من يهود توات، ويشكر له صنيعه ذلك .

وبسبب سيطرة رجال الطرق الصوفية المنحرفين على الأمة وبثهم للخرافات مما أدى إلى انتشار الشرك وسط المسلمين، وسيطرة روح الأتباع والتقليد والجمود، وهو ما جعل السنوسي يرجح تفكير المقلد الجاهل.[1] ويعمل على إرجاع الناس إلى الإيمان الحقيقي وتخليص الناس مما أصابهم ، ومن تملقهم

---

(١) جمال الدين بوقلي، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ١٢٩ .

للحكام الظلمة والخضوع الأعمى لهم لأن هذا يتناقض مع الإيمان الحقيقي بالله وهو ما جعله يشرح كلمتي الشهادة في ﴿صغراه﴾ ومن أسباب إهتمامه بعلم العقيدة كذلك الأغراض التعليمية، وذلك لينشأ أبناء المسلمين راسخي العقيدة معتنقين للإسلام عن وعي واقتناع، مما يمنع انحرافهم، ثم رفع مستوى العامة وتعلميهم العقيدة الصحيحة وذلك بأن جعل بعض كتبه موافقة لعقولهم وهذا ما أدى به إلى تأليف العقائد الكثيرة من الكبرى إلى صغرى الصغرى، ثم تزويد المسلمين بحجج كافية وبراهين واضحة تنفعهم في مجادلة أهل الملل والنحل ثم لأن العقيدة الصحيحة هي التي تنجي صاحبها من النار في الدار الآخرة، لأنها هي الدائمة، ما دام زمن السنوسي صعباً، فلا بد أن يبين للناس ما يجلو لهم الغيوم التي تحجب العقيدة الصحيحة. وهو ما يتوافق مع الإسلام الذي يجعل الدنيا وسيلة للآخرة، (وبعد فأهم ما يشتغل به العاقل اللبيب في هذا الزمان الصعب أن يسعى فيما ينقذ به مهجته من الخلود في النار. وليس ذلك إلا بإتقان عقائد التوحيد على الوجه الذي قرره أئمة أهل السنة العارفون الأخيار وما أندر من يتقي الذل في هذا الزمان الصعب الذي فاض فيه بحر الجهالة وانتشر فيه الباطل أي انتشار ورمى في كل ناحية من الأرض بأمواج إنكار الحق وبغض أهله وتزيين الباطل بالزخرف الغار. وما أسعد اليوم من وفق لتحقيق عقائد إيمانه، ثم عرف بعد ذلك ما يضطر إليه من فروع دينه)) (١)

- ولأن علم التوحيد هو العلم الوحيد الذي يورث معرفة الله ومراقبته وبه يفتح له في فهم العلوم كلها. وكلما ازداد الإنسان معرفة بهذا العلم ازداد خوفه من الله وقربه منه عز وجل. (٢)ونتيجة لهذا فإن كتبه انتشرت في العالم الإسلامي

(١) السنوسي شرح أم البراهين ط ١ المطبعة الأزهرية مصر ١٣١٣ هـ ص ١٤، ١٥.

(٢) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٨٧

قاطبة من الأزهر إلى الزيتونة القرويين بفاس إلى دمشق وغيرها من مراكز العالم الإسلامي، وأصبحت تلقن للتلاميذ وتحفظ من طرف الكبار وتدرس من طرف المفكرين وتوضع عليها الشروح والحواشي فاستوعبها المسلمون لقرون طويلة وما زالت إلى الآن ذات قيمة علمية كبيرة وكانت تستحوذ على تلك الكتب روح التوحيد فأنتج فيه أكثر من غيره والذي زاد من قيمة كتبه أنه يركز الأفكار الأساسية في نص مختصر عادة ثم يتبعه بشرح معمق وهذا مفيد في التعليم بحيث ترسخ الأفكار الأساسية في أذهان المتعلمين ويسهل عليه فهمها كما يسهل عليهم الإرتقاء الفكري من البسيط إلى المعقد ذلك أننا عندما نقرأ أحد مختصراته في العقيدة خاصة يسهل علينا فهمه في كثير من الأحيان رغم ما فيه من براهين للكتنا عندما نقرأ الشرح نجد أنفسنا مضطرين للتمعن والتفكير لما فيه من تحليل وتعليل ومناقشة ونقد و استنتاج ، وكل ذلك يصب في جوهر واحد وهو خدمة العقيدة الإسلامية وتوسيع العقل الإسلامي وهو ما جعل المتعلمين على طريقته وفي كتبه سامين بفكرهم بعيدين عن جو التقليد الذي كان سيمة العصر في مختلف فروع العلوم الإسلامية .

أما مؤلفاته فهي كثيرة، ونصنفها حسب مواضيعها وهي : -

١. **التوحيد** : قد كثرت كتبه فيه وتنوعت كما قلنا، من الكبرى إلى صغرى الصغرى إلى غيرها وهي في أساسها تلخيص لعقيدة الأشعري. ويمكن أن نذكر أسباب ذلك التنوع، وهي : -

- مراعاة مستوى جميع فئات المجتمع الثقافي بحيث من عجز عن فهم عقيدة لا يحرم من فهم الأخرى.
- استدراك ما فاته من التنبيه على جزئيات في عقيدة ، فينبه عليها مرة أخرى .

- بعد الناس عن الفهم الصحيح للعقائد والرد على الشبهات التي يبثها النصارى واليهود ودرء أباطيل المنحرفين من الصوفيه.
- تمكين بعض الناس من الاقتصار على المتن دون الشرح، لأنه يحتوي على كل ما يجب الاعتقاد به مبرهنا عليه بأدلته.
- إثراء المواضيع وتعميق معانيها، وذلك لأن غرضه من الشرح لا يعني التوضيح فقط بل تعميق المعاني ومناقشة أراء الخصوم مما يجعله في الشرح قد يعارض ما أورده في المتن منبها على ذلك ومبيناً سبب هذه المعارضة، ولذلك فإننا عندما نقرأ الشرح نشعر في كثير من الأحيان أننا نقرأ كتاباً جديداً لا شرحا لكتاب .
- وأخيراً فإن له غرضاً تربوياً تعليمياً بحيث عندما يكون النص مختصراً مركزاً يسهل حفظه، ثم عندما يشرح يسهل استيعاب الشرح. ومؤلفاته في التوحيد هي :-

أ- كتبه (متناً وشرحاً):

١- العقيدة الكبرى:

وقد سماها " عقيدة أهل التوحيد المخرجة (بعون الله) من ظلمات الجهل وريقة التقليد، المرغمة (بفضل الله) أنف كل مبتدع وعنيد" وقد كتبها في نحو ١٠ أوراق من القالب الرباعي، وهو أول كتاب ألفه في علم التوحيد.[(١)(٢)]

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٣٨ / ب وقد انفرد الملالي بما وضعناه بين قوسين ونعتقد أنه من إضافته.

(٢) ذكر عادل نويهض أن هذه العقيدة هي الصغرى وهو خطأ (عادل نويهض، معجم اعلام الجزائر ص ١٨٠).

ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب العقيدة الإسلامية، وقد تعرض فيه السنوسي لأهم عقائد الأشعري كإثبات وجود الله وما يجب له من الصفات وما يجوز وما يستحيل، وبراهين ذلك ويمتاز بدقة البراهين وإحاطته بمهمات مسائل العقيدة الإسلامية وهو ما جعل الكثير من المفكرين يقومون بشرح هذا الكتاب أمثال أحمد بن على بن عبد الله المحشي (ت٩٩٥هـ) والحسن بن مسعود اليومي (ت١٦٣٠) و محمد عليش) (ت ١٢٩٩هـ ١٨٨٢م) وقد طبع كتاب السنوسي هذا مع شرحه عليه (عمدة أهل التوفيق والتسديد ..) بمطبعة جريدة الإسلام بمصر، سنة ١٣١٧ هـ .

وتوجد منه نسخ مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحمل الأرقام : ٦٣٦، ٦٣٥، ٦٣١ وقد وضع على هذه العقيدة الشروح والحواشي، وتوجد نسخة منها بالجامعة الإسلامية بقسنطينة .

٢- شروح العقيدة الكبرى:

وقد سماها : " عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد" وهو شرح مفصل للكتاب السابق، فيجد فيه الباحث الأجوبة عن الأسئلة التي قد تشغل باله بعد قراءته للعقيدة الكبرى، ويمتاز بكثرة البراهين ودقتها كما يمتاز بكثرة التفاصيل والتفريعات ولذلك يعتبر ذا أهمية كبيرة وقد طبع مع المتن بمطبعة جريدة الإسلام بمصر سنة ١٣١٧هـ وتوجد منه نسختان محطوطتان بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحملان الرقمين ٦٣٠،١، ٦٣٢ ونسخة أخرى ضمن مجموع يحمل رقم ١٣.

وتوجد منه نسخة مخطوطة عند السيد بلقاسم الحفناوي الديسي[1] وهي

---

(١) الديسي نسبة إلى الديس وهي قرية نجدها قبل الوصول إلى بوسعادة من جهة العاصمة بحوالي ١٠كلم بها كثر من المخطوطات .

جيدة، نسخت عام ١١٨٥هـ وعدد أوراقها ١٨٧ ورقة ومسطرتها ٢١ سطراً وقد كتبت بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد جداً بها بعض الأخطاء اللغوية.

- وتوجد منها نسخة أخرى بدار الكتب الوطنية بتونس تحمل رقم ٩٣٧ نسخت عام ١٩٠١هـ بها ٣١٣ ورقة مقاسها ١٠,٥ ×١٤ سم، ومسطرتها ١٧ سطراً
- وتوجد نسخة أخرى بنفس الدار تحمل رقم ٩٠٨ نسخها محمد بن يوسف الحنفي سنة ١١٤٢ هـ بها ١٥٢ ورقة، وهي توجد ضمن مجموع إبتداء من ورقة ٦٩ مقاسها ٢٠,٦ × ١٥,٣ سم ومسطرتها ٢٢ سطراً.
- وتوجد منها نسخة بنفس الدار ، تحمل ٨٦٩، نسخها محمد الشريف سنة ١١٣٤هـ بها ٩٨ ورقة، وهي توجد ضمن مجموع إبتداء من ورقة ٦٩. مقاسها ٢١ × ١٥,٥ سم ومسطرتها ١٩ سطراً. وتوجد نسخ أخرى كثيرة .

وتوجد منها نسخة في تركيا ضمن مجموع هي أوله بها ٢٤٠ صفحة في كل صفحة ١٥ سطراً وقد كتبت بخط شرقي ، متوسط، وهي بمكتبة السلمانية، قسم لا لولي تحمل رقم ٢٤٢٠ ، وقد نسخه عمار المالكي سنة ١٠٢٩هـ ١٩٢٠م .

وقد وضع على هذا الشرح الحواشي ومختصرات منها مجموعة توجد بدار الكتب الوطنية بتونس أحدها تحمل رقم ٩٩٥ ، نسخت عام ١٣١١هـ في ٨٧ ورقة مقاسها ٢٤× ١٦,٥ سم ليس بها اسم ناسخها ولا ملخصها.

٣- العقيدة الوسطى:

وهي دون الكبرى كما يذكر الملالي وهي[1] أخصر من الأولى نبه فيها على جزئيات من العقائد لم ينتبه لها غيره ولا توجد في المطولات من الكتب[2]

(١) الملالي، المواهب القدسية ورقة ١٣٩/أ

(٢) جمال الدين بوقلي، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ٧٨ .

- وتوجد منها نسخه مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر وتحمل الأرقام ١٠، ٦٣٣، ٧، ٦٢٣، ٦٣٥، ٦٣٤، وتوجد منها نسخة في تركيا بمكتبة السليمانية، قسم لا لولي تحمل رقم ٢٧٠٦ بها ٢٠ صفحة ومسطرتها ١٩ سطراً، وهي توجد ضمن مجموع إبتداء من ص ٢٣٦ وقد كتبت بخط شرقي متوسط ليس بها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، وقد سمى شرحه لها ((الهبة والعطاء في شرح العقيدة الوسطى)) وقد طبع هذا الشرح المطبعة التونسية سنة ١٣٤٥هـ .

٤- شرح العقيدة الوسطى :

وهو شرح مختصر لها يوضح ما يمكنه أن يكون صعباً، وهي مفيدة كثيراً للطلاب، وقد ألفها سنة ٨٧٥هـ .(١) وتوجد منها نسخ بدار الكتب الوطنية بتونس إحداها تحمل رقم ٩٠٤ نسخها محمد بن سلطان الجبالي سنة ١١٤٣هـ بها ١١٠ ورقة مقاسها ٢٤×١٧ سنتم ومسطرتها ٢٣ سطراً. وثالثة تحمل رقم ٧٧٣، نسخها محمد التميمي سنة ١١٨٨هـ بها ١٠٠ ورقة مقاسها ١٥×٢١سم ومسطرتها بين ٢٣ ،٢٥ سطراً وتوجد منها نسخة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢٣٤٥٧ ب أولها بعد البسملة وذكر المؤلف الحمد لله العليم القدير المنفرد بالخلق والتدبر، وهي بقلم تعلق عبد الرحمن الشافعي فرغ منها سنة ١١٥٨هـ بها ترميم وتلويث، بها ١٠٤ ورقات مقاسها ٢٢×١٦ سم ومسطرتها ٢١ سطراً.

وتوجد نسخه أخرى بتركيا رقم ١٢٦٤ بمكتبة السليمانية قسم أسعد أفندي بها ٣٠٤ ص ومسطرتها ٢١ سطراً، وقد كتب بخط ش شرقي ن جيد أولها مبتور. وتوجد نسخة أخرى تحت عنوان ((شراح المتون الثلاثة)) أي متن الصغرى

---

(١) فؤاد سيد فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية، دار الكتب ، مصر ١٩٦٢ ق ٢ (ش – ل) ص ١٤ .

والوسطى والكبرى للسنوسي، وهي تحمل رقم ١٢٢٢، وتوجد بمكتبة السليمانية كذلك قسم أسعد أفندي بها جميعا ٥٩٥ص ومسطرتها ٢١ سطراً، وقد كتبت بخط شرقي متوسط.

٥- العقيدة الصغرى:

وهي أخصر من الأولى وتسمى أم ((البراهين)) كما يذكر الملالي[١] وذلك لجمعها كل البراهين التي يحتاجها المسلم في البرهنة على وجود الله وحجية الإسلام، وقد أشتهرت بالسنوسية كذلك مثلما أشتهرت بعقيدة السنوسي، والسنوسي يبين أهميتها ((... أن وفقنا سبحانه بفضله في هذا الزمان الكثير الجهل لوضع عقيدة صغيرة الجرم، كثيرة العلم محتوية على جميع عقائد التوحيد)) [٢] وهي خالية من الحشو والتعقيد ولذلك كثرت فوائدها وانتشرت غرباً وشرقاً، و أصبحت تدرس في بعض المجالس كل جمعه[٣]لأنها من أجل العقائد، ولا تعادلها عقيدة من عقائد من تقدم ولا تأخر، ولا يعدل عنها بعد الإطلاع عليها إلا من كان من المحرومين[٤]. والسنوسي كان يعطي أهمية بالغة لهذه العقيدة الصغرى وكان يرى بأنه لا نظير لها فيما علم، ومن اقتصر عليها فإنها تكفيه عن سائر العقائد والدواوين الكبار[٥] وهذا ما جعل محمد بن الحاج بن يحبش التازي (ت ٩٢١هـ / ١٥١٤م) يبين محاسنها ومحاسن شرح السنوسي لها في قصيدة رائعة منها : -

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٣٩/ أ

(٢) السنوسي، شرح أم البراهين ص ١٨، ١٩

(٣) جمال الدين بوقلي حسن، الأمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، ص ٧٨ .

(٤) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٣٩/أ

(٥) المصدر نفسه ورقة ١٣٩ / أ

وفريــــد صـــاغ الامـــام المرتضـــى
العـــالم الحـــبر التقـــى الأمجـــد

لـــو أبصـــرت عينـــاك حســـن عقيـــدة
قـــد صـــاغها هـــذا الامـــام الا وحـــد

لرأيـــت مـــا يجلـــي القلـــوب مـــن الصـــدا
وســـناها نـــورا حكـــاه الفرقـــد

فعليـــك يـــا نعـــم الحبيـــب بدرســـها
تـــدرك فوائـــد دونهـــا لا توجـــد

في شـــرحها ظهـــرت غرائـــب علمـــه
فاقصـــد اليـــه وزد فـــنعم المـــورد

عـــول علـــى كتـــب الامـــام فانهـــا
تغنيـــك عـــن طلـــب الشـــيوخ وتســـعد

...............أخر القصيدة[1]

والحقيقة أن السنوسية من أهم ما كتب في العقائد، فهي تمتاز ببساطتها وعمقها في آن واحد، كما تمتاز بقوة براهينها، هذا ما جعلها تزداد شهرة على مر الأيام في معظم بلاد الإسلام، وأصبحت تدرس في المساجد والبيوت والمدارس، وتوضع عليها الشروح والحواشي الكثيرة من طرف المختصين بعلم التوحيد كالملالي، وعلي بن جبريل (ت ١٥٣٢ م) وأحمد المقري التلمساني (ت ١٦٣٠م)

---

(١) المصدر نفسه ورقة ١٣٩ / أ

ومحمد بن مهدي الدرعي الجرار (ت ١٥٧١ م) وقد نظمها ابن الحاج (ت٩٣٠هـ) ومما قاله فيها:

وبعد فالمقصود من هذا النظام
نظم عقيدة السنوسي الإمام
من غير تبديل ولا تغيير
سوى اختلاف اللفظ والتعبير[(١)]

وقد ترجمها الأستاذ وولف إلى الألمانية ونشرها (ليبسك) سنة ١٨٤٨ م كما ترجمها (لويساني) إلى الفرنسية مع تعليقات عليها،و نشرها بالجزائر سنة ١٨٩٦ م بأمر من جول كامبون رئيس الإدارة العام بالقطر الجزائري.[(٢)]

وقد طبعت بالعربية عدة مرات وفي مواطن مختلفة وذلك لأهميتها كما بينا. ومن بين طبعاتها طبعة جاوة بأندونيسيا، وهي طبعة حجرية وذلك سنة ١٣١٨هـ[(٣)] . وقد طبعها أحمد الطوخي في كتابه (كتاب مجموع من مهمات المتون سنة ١٢٩٩هـ ١٨٨٢م. والدسوقي في حاشيته على شرح أم البراهين وإبراهيم البيجوري في حاشيته على متن السنوسية، كما طبعت بفاس وتونس. وقد طبعها لوسياني بالجزائر سنة ١٨٩٦م. أما نسخها المخطوطة فكثيرة ويوجد بالمكتبة الوطنية

---

(١) ابن مريم ، البستان ص ٩

(٢) جمال الدين بوقلي حسن، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ٨٢ ويبدو لنا أن هذه الترجمة كان الهدف منها معرفة الروح الحقيقية التي تحرك الجزائريين ضد الاستدمار الفرنسي والتيتحافظ على سلامة عقيدتهم رغم ما تعرضت له الجزائر من حملات التبشير الى فشلت رغم صرامتها وشراستها وهذا مما يعطي أهمية للعقائد السنوسي التي حافظت على الجزائريين وحمتهم من النصرانية .

(٣) يوسف إليان سركيس معجم المطبوعات العربية والمغربية ج ١ ص ١٠٥٨.

بالجزائر مجموعة تحمل الأرقام ٦٩٨، ٦٨٢ ، ٦٥٣ ، ٢. ١٤٣١ ، ٢. ٧٥٨ ، ٦٩٩، ١٤٤ ، ٢. ١٤٢، ١٤٠، ٢. ١٣٠٠٠ .... الخ.

- وتوجد منها نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس تحمل رقم ٩٣ وهي توجد ضمن مجموع إبتداء من روقة ٢٨٣ . بها ٣ ورقات مقاسها ٢٨ × ١٩سم ومسطرتها ٣٧ سطراً.
- وتوجد منها نسخة أخرى في تركيا تحمل رقم ٣٦٩٣ بمكتبة السليمانية قسم أسعد أفندي وهي توجد ضمن مجموع إبتداء من ص ٤٧ بها ١٢ صفحة ومسطرتها١٥ سطراً وقد كتبت بخط شرقي متوسط، ليس بها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.وقد قام بتحقيقها تحقيقاً علمياً جمال الدين بوقلي حسن في آخر كتابه " الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد" وقد طبع الكتاب سنة ١٩٨٥م.

وأخيراً نلاحظ بأن عبد الرحمن بدوي اتهم السنوسي – متأثراً بماكس هورتن- أنه سار على نمط الفلسفة اليونانية في صغراه[1] وهو اتهام باطل كما سيظهر لنا في ملخص شرح السنوسي لصغراه ويبدو لنا أن بدوي لم يكلف نفسه بالرجوع إلى الصغرى ليطالع عليها، بل اكتفى بما ذكره ماكس هورتن.

(١) عبد الرحمن بدوي التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ط ٤ وكالة المطبوعات الكويت ، دار القلم بيروت ١٩٨٠م ص ١٦٧ .

٦- شرح العقيدة الصغرى:

أي شرح أم البراهين، وفيها يوضح السنوسي ما أورده في أم البراهين بكثير من التفاصيل الدقيقة، وهي تعتبر أساساً لفهم مذهب الشيخ السنوسي[١] وملخصه[٢] أنه يبدأ ببيان الحكم العقلي وأقسامه واختلاف العلماء في الأسباب العادية ويناقش قضية الإيمان، هل يجب بالنظر أم التقليد؟ ويتوصل إلى أن المعرفة واجبة والنظر الموصل إليها واجب، ولكن يكفي أن يعلم المرء كل مسألة من مسائل الإعتقاد بدليل واحد، ولا ينفع الإعتقاد إلا إذا كان صادراً عن دليل، ويقرر أن المعرفة يجب أن تكون قبل الإيمان لأن التزام التصديق بما لا تعلم صحته يؤدي إلى التسوية بين النبي ومدعي النبوة. ويحذر من الكتب المحشوه بكلام الفلاسفة ثم يبحث ما يجب لله من الوجود والقدم ...... إلخ، وكما يبحث المستحيلات والجائزات كما يبرهن على وجود الله وقدمه ووحدانيته ثم ما يجب في حق الرسل.

ويختم كتابه بباب مهم يذكر أنه لم يتعرض له غيره، وهو شرح مهم لكلمة التوحيد ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) وقد قسم شرحه لكلمتي الشهادة إلى سبعة فصول ضبطها، أعربها بيان معانيها، بيان حكمها، بيان فضلها، كيفية ذكرها على الوجه الأكمل، وبيان الفوائد التي تحصل لذاكرها. وقد بين من خلال هذا أن ((لا إله إلا الله) تتضمن الأقسام الثلاثة التي يجب على المكلف معرفتها في حق الله، وهي ما يجب في حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل.

(١) جمال الدين بوقلي حسن، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلن التوحيد، ٨٣.

(٢) أكتفينا بتلخيص شرح السنوسي لصغراه لأنها تبين لمناهج السنوسي في هذه العقائد من الكبرى إلى الصغرى وقد تفردت الصغرى بشرح كلمتي الشهادة.

وأما ((محمد رسول الله)) فيدخل فيها الإيمان بسائر الأنبياء والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر، لأنه ﷺ جاء بتصديق ذلك ، وهذا يعني أن كل عقائد الإسلام ملخصة في كلمتي الشهادة.[١] وهنا يظهر لنا أن ادعاء عبد الرحمن بدوي السابق باطل ولا أساس له.

وأخيراً نشير إلى أن الذي ينظر إلى شرح السنوسي لكلمتي الشهادة مجرداً عن شرحه لبقية ما أورده في شرحه لصغراه، يعتقد أن شرح كلمتي الشهادة كتاب مستقل ولذلك فقد اعتقد خير الدين الزركلي أن شرح كلمتي الشهادة كتاب مستقل حيث توجد عنه نسخة مخطوطة منه[٢] وتبعه في هذا الاعتقاد عادل نويهض[٣] ونتيجة لأهميتها فقد طبعت عشرات المرات وفي مواطن مختلفة، فقد طبعت مثلاً بالمطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣١٣هـ بهلش حاشيته الدسوقي عليها كما طبعت بمصر في سنوات ١٣٠٠هـ و ١٣٠١هـ و ١٣٠٢هـ وبها مشها تقرير الشيخ الأنبا ني، وكما كانت قبل ذلك قد طبعت بمصر طبعات حجرية في سنوات ١٢٧٩هـ و١٢٨٣هـ و١٢٨٩هـ و١٢٩٨هـ كما طبعت طبعات حجرية أخرى بمصر في سنوات ١٣٠٤هـ و ١٣٠٧هـ و ١٣١٠هـ و١٣١٣هـ .

أما نسخها المخطوطة فكثيرة كذلك :

- وتوجد منها نسخ بالمكتبة الوطنية بالجزائر ، إحداها توجد ضمن مجموع يحمل رقم ٢٤.

(١) ما أوردناه هنا لخصناه من شرح السنوسي لأم البراهين
(٢) الزركلي الأعلام ج ٣ ص ٢٩
(٣) عادل نويهض معجم أعلام الجزائر ص ١٨١ .

وقد نسخها محمد العربي بن منصور الشرقي الدك أما نسخها المخطوطة فكثيرة كذلك :

- وتوجد منها نسخ بالمكتبة الوطنية بالجزائر ، احداها توجد ضمن مجموع يحمل رقم ٢٤.
- وتوجد منها نسخ بتونس توجد بدار الكتب الوطنية احداها تحمل رقم ٩٦٣ . بها ٤٠ ورقة مقاسها ٢١,٢×١٥,٣سم. وأخرى تحمل رقم ١٧١ نسخت سنة ١١٣٧هـ بها ٥١ ورقة ، وهي توجد ضمن مجموع ابتداء من ورقة ٢٢٠ مقاسها ٢٣×١٥سم ومسطرتها ٢١سطرا .

وأخرى تحمل رقم ٦٣١ بها ٥٠ ورقة، وهي توجد كذلك ضمن مجموع ابتداء من ورقة ١٠١ مقاسها ١٩,٥×١٤,٧ سم . ومسطرتها ٢٣ سطرا، وأخرى تحمل رقم ١٩٠٣ وهي كذلك ضمن مجموع ابتداء من ورقة ٩/ب الى ٥٥/أ ، مقاسها ١٨×١٤سم ومسطرتها ٢١ سطرا وقد نسخها محمد العربي بن منصور الشرقي الدكل لي ثم الفرجي ثم الحسيني ثم المسا كوى في بلاد فهيج سنة ١١٣٨هـ على نسخة مضبوطة ثم قابلها بها . وقد كتبت بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد جدا.

- وتوجد منها نسخ بمصر بدار الكتب المصرية ، إحداها تحمل رقم ٢١٢٦٣ب ، ضمن مجموع هي بدايته بها ٥٢ ورقة بدايتها ((الحمد لله الواسع الجود والعطاء... الخ)) وهي نسخة بقلم معتاد بخط إبراهيم أبو البقاء ، نسخها سنة ١٢٦٧هـ مقاسها ١٦×٢١سم ومسطرتها ١٦ سطرا .
- وتوجد بتركيا نسخ منها واحدة بمكتبة السليمانية قسم لا لا إسماعيل تحمل رقم ٢٦٩ نسخت عام ١٠٧١هـ بها ٨٩ صفحة ، ومسطرتها ١٧ سطرا ، وقد كتبت

بخط شرقي متوسط ، وأخرى بمكتبة السليمانية قسم أسعد أفندي تحمل رقم ٣٦٩٣ توجد ضمن مجموع ابتداء من ورقة ٤٧.

وأخرى بقسم لالولي تحمل رقم ٢٤٣٠، وأخرى بقسم هاربت تحمل رقم ٣٢٩ وأخرى بمكتبة باى زيد تحمل رقم ٣١٥٣ نسخها عثمان بن يوسف في ٤٤ صفحة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا وقد كتبت بخط شرقي.

ولا ندري هل هذه الشروح الموجودة بتركيا كلها للسنوسي ام يمكن أن تكون شروح غيره على الصغرى.

وقد شرح الصغرى كثير من العلماء ، ومنهم إبراهيم الباجوري (ت ١٢٧٧هـ) الذي كتب حاشية على أم البراهين وقد طبعت ببولاق بمصر سنة ١٢٩٣هـ في ٦٨٢ صفحة وقد طبع بهامشها تقرير الشيخ أحمد الجهوري عليها. كما طبعت في مصر سنوات ١٣٠٠، ١٣٠٢، ١٣٠١ وبهامشها تقرير الشيخ الانباني وقد شرحها الدسوقي (ت ١٢١٤هـ) الذي كتب حاشية على شرح السنوسي لها وبهامشها شرح السنوسي .

أما مخطوطات الذين شرحوها فكثيرة نذكر ما تيسر لنا منها حسب مكان وجوده:

- الجزائر وبها:

أ. شرح الأخضري على أم البراهين وهو موجود بالمكتبة الوطنية بالجزائر ، يحمل رقم ١٤٢٦، وهو يوجد ضمن مجموع كتبه بلقاسم بن عيسى البوسعادي الحسني وذلك عام ١٠٢٤هـ .

ب. شرح الحسن بن يوسف الزياني ، وهو حواشي على شرح الصغرى يوجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر يحمل رقم ١٤٢٦، وهو ضمن مجموع ابتداء من ورقة ٢٠٤/أ ، وينتهي في ورقة ٢٨١/ ب. وقد نسخها نوار بن المبارك بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد، ومقاسها المكتوب فقط١٧:١٩ / ١١,٥سم.

جـ. شرح الشيخ أبي العباس أحمد بن مزيان ، وهي ملك لأسرة إبراهيمي بالديس بالقرب من بوسعادة ، وقد سماها صاحبها كنزا لفوائد في شرح صغرى العقائد وهي عبارة عن التعليقات والتقييدات التي وضعها الشارح والدارسون للصغرى من العلماء بعد السنوسي فجمعها الشيخ أبو العباس ولذلك تمتاز بكثرة الفوائد والتنبيهات ، وهي مهمة جدا ، لأنها تسلط أضواء كثيرة على الصغرى قد لا ينتبه لها كثير من الدارسين ، وقد اعتمد فيها كثيرا على الشيخ عيسى السكتاني مفتي مراكش (ت١٠٦٢هـ) وسعيد قدروة مفتي الجزائر (ت ١٠٦٦هـ) ، وكذا شيخه يحيى الشاوي (ت ١٠٩٦هـ) ، وقد نسخها أحمد بن عبدالله ابن ابي القاسم بن التوم سنة ١٢٧٦هـ بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد جدا ، مقاس الورقة المكتوب ١٨,٥/ ١٢,٤سم ، ومسطرتها ٢٥ سطرا ، وهي منسوخة في ١٢٣ ورقة من المقطع الكبير . وأخطاؤها الإملائية قليلة .

د. إتحاف الموبدين بعقيدة أم البراهين ، وهي موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقمي ١٤٤٨، ٦٣٢.

- تونس وبها:

أ. شرح محمد بن عمر المرلي ، وهي موجودة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١١٧١ وهي توجد ضمن مجموع ابتداء من ورقة ١٤٧ إلى ورقة ٢١٣ ، مقاسها

٢١,٥×١٥,٥سم ومسطرتها ٢٣ سطرا، وقد نسخت عام ١١٧١هـ . وتوجد نسخة أخرى بنفس المكان تحت رقم ٨٤.

ب. شرح عبد الله بن محمد الملالي (ت٨٩٧هـ) وتوجد بنفس المكان السابق تحت رقم ١٣١٠، بها ٢١ ورقة ، مفاسها ٢٢٥×١٦سم ، ومسطرتها ٢١ سطرا.

جـ. وتوجد نسخة أخرى بنفس المكان مجهولة الشارح تحمل رقم ١٧٤١ ، وهي توجد ضمن مجموع ابتداء من ورقة ٤٤٢ الى ورقة ٥٤١، مقاسها ٢٣+١٥سم . ومسطرتها ٢١ سطرا. وقد نسخت عام ١١٣٧هـ .

- مصر وبها:

أ. شرح عيسى البراوي وتوجد بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٨١٠ وأولها بعد البسملة : الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين...إلخ وهي منسوخة بقلم معتاد في ٥٠ ورقة مقاسها ١٥× ٢٣سم ومسطرتها ٢٨سطرا.

ب. شرح محمد المأمون بن محمد الحفصي ، وتوجد كذلك بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٩٢٣ب وهي توجد ضمن مجموع ابتداء من ورقة ١٨٠ إلى ١٩٩ . وهي منسوخة بخط مغربي ، وقد نسخت عام ١١٢٢هـ من طرف أحمد بن على اللقفيقي ، بها أكل أرضه وتلويث مقاسها ١٤× ١٨سم ، ومسطرتها مختلفة.

جـ. شرح محمد بن منصور الهدهدي: وتوجد بالدار السابقة تحت رقم ٢٣٧٦٥ب. بها ٣٢ ورقة ، ومسطرتها ١٩ سطرا . وهي منسوخة بقلم معتاد ، وقد نسخت سنة ١١٥١هـ من طرف أحمد السطوحي البيسوسي ويوجد بهامشها تقييدات وتوجد نسختان أخريان تحملا الرقمين ٢٣٧٦٦ب و ٢٠٥٣٨ ب الأولى نسخت سنة ١١٥١هـ والثانية سنة ١١١٨ هـ .

- تركيا وبها : -

شرح:

أ – شرح محمد بن عمر الملالي التلمساني وتوجد هـذه النسـخة بمكتبـة السـليمانية قسم جاص محمد تحت رقم ١٤٦٨ بها ١٦٠ صفحة، مسطرتها ٩ سطور ، وقـد نسخها عثمان بن النقيب سنة ١١٩٧ هـ بخط شرقي جيد. وتوجد نسخه أخرى بنفس المكان تحت رقم ١٣١٤ . وأخرى بقسم الكتاب تحت رقـم ١١٧١ وهـذه توجد ضمن مجموع ابتداء من ص ٤٤، بها ٢٠ صـفحة، ومسـطرتها ١٨ سـطراً وقد كتبت بخط شرقي رديء لكننا نجهل اسم مؤلفها وأخرى بقسم لالولي تحت رقم ٢٤٣١ .

٧. المقدمات:

وقد وضعها مبينة لعقيدته الصغرى ، وهي قريبة منها في الجرم[1] .

وتوجد منها نسخة بدار الكتب الوطنيـة بتـونس تحمـل رقـم ١٩٠٣، بهـا ٣ أوراق من (٧:٩) مقاسها ١٨×١٤ ومسطرتها ٢١ سطرا.

وتوجد نسخة أخرى بنفس المكان تحت عنوان " رسالة في العقيدة للسنوسي" وهي تحمل رقم ٢٨٢. وتوجد ضمن مجموع تبدأ من ورقة ٤٧/ب وتنتهي في ورقة ٤٨/ب. ومقاسها ٢٢×١٦سم ، ومسطرتها ١٨ سطرا ، وقد نسخت بخـط مغربـي ممتاز ، ليس بها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.

(١) الملالي المواهب القدسية ورقه ١٤٠/ ب

وتوجد هذه المقدمات بدار الكتب الوطنية بتونس تحت عنوانين آخرين هما: " رسالة في العقيدة للسنوسي – العنوان السابق- ورسالة في العبادات " والحقيقة أنها نسخة واحدة وهي التي تحمل رقم ٢٨٢ السابقة .

٨. شرح المقدمات:

وتسمى عادة بـ " مقدمات السنوسي" : وهي شرح للأولى، وقد اكتسبت شهرة كبيرة من اختصارها وسهولة عباراتها .

وقد أثر السنوسي بها على دارسي التوحيد[١]. وهي عبارة عن طائفة من القواعد والعلوم يجب في نظر السنوسي أن تقدم لتكون منطلقا للباحث في علم العقيدة.

والسنوسي يوظف فيها المنطق في خدمة العقيدة ، حيث يبدأها بدءاً منطقيا فيبين معنى الحكم منطقيا وانقسام العلم إلى تصور وتصديق ثم يوظف ذلك في علم التوحيد[٢] .

وقد قسمها السنوسي إلى ثمان وحدات أساسية .

١. الحكم : وقد بين معناه وأنواعه التي هي الشرعي والعقلي والمادي .
٢. أفعال العباد : ويبين فيها مذهب أهل السنة والجبرية والقدرية.
٣. أنواع الشرك : كشرك الاستقلال وشرك التبغيض وشرك التقليد وشرك الأسباب...الخ
٤. أصول الكفر والبدعة.

---

(١) أبو القاسم محمد سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٨٩ .
(٢) أبو القاسم محمد سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٨٩ .

٥. الموجودات ، وتحدث فيها عن الله وصفاته وكذا الأعراض والأجسام.

٦. الممكنات وصفاتها.

٧. القدرة الإلهية والصفات الأزلية عامة مثل كلام الله عز وجل ، وقد ناقش الفرق الإسلامية وفند آراء خصومه كالمعتزلة وغيرهم.

٨. مفهوم الصدق والأمانة والخيانة واتصاف الأنبياء بالصفات الحسنة دون السيئة[1]. وتعتبر المقدمات مقدمات فعلا لكل من يريد دراسة علم العقيدة ، ولذلك فهي ضرورية لفهم عقائد السنوسي خاصة أم البراهين . وقد طبعت بهامش شرح السنوسي لصغرى صغراه بمصر سنة ١٢٨٢هـ ، كما طبعت بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٤هـ.

- وتوجد منها نسخ مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت الأرقام : ٤١١،٣،١٤٩،٤١.
- وتوجد نسخة بتونس بدار الكتب الوطنية تحمل رقم ٧١٣ ، بها ٣٥ ورقة ، مقاسها ٢٢×١٦سم ، ومسطرتها ٢٣ سطرا، وهي مبتورة من الأخير .
- وتوجد نسخة بدار الكتب المصرية تحمل ٤٤٣ج بدايتها بعد البسملة والتقديم:" وبعد فهذه كلمات قصدت بها شرح ما وضعته من المقدمات على سبيل الاختصار..." وهي توجد ضمن مجموع ابتداء من ورقة ٥٦ إلى ٢٨٣ ، مقاسها ٢٠×١٤سم ، ومسطرتها ٢٥ سطرا . وقد نسخت بقلم معتاد تمت كتابتها في يوم السبت آخر شعبان سنة ١٠٤١هـ .

---

(١) السنوسي ، شرح المقامات مخ مكتبة الأسد الوطنية ، دمشق رقم ٤٨٧٢(من ورقة ١٩٢ ـ ٢١٧).

- وتوجد نسخة بمكتبة الأسد الوطنية[1] بدمشق تحت رقم ٤٨٧٢، وقد نسخت بقلم معتاد غي معجم الحروف عسيرة القراءة ، كتبت سنة ١٠٩١هـ بقلم عم بن عبد اللطيف بن حسن ، فيها نقص بين (٢٠٦،٢٠٧) على صفحاتها الأولى تملكات ، وهي توجد ضمن مجموع ابتداء من ورقة ١٩١/أ . مقاسها ١٠×١٥سم ، وتوجد لدينا صورة مصورة عنها ، ولقد قام لوسياني بتحقيق هذا المخطوط وترجمته إلى الفرنسية سنة ١٩٠٤م. كما شرحها الشيخ أبو إسحاق الأندلسي ، وسمي شرحه لها بـ((المواهب الربانية في شرح المقدمات السنوسية)). وتوجد من هذا الشرح نسختان بالمكتبة الوطنية بالجزائر أحدهما تحمل رقم ١٤٤٦، والأخرى تحمل رقم ٦٩٤.

٩. صغرى الصغرى:

وسميت بهذا الاسم لأنها أصغر من الصغرى وهي في غاية الاختصار ، وسبب تأليفه لها لطيف ، وهو ما يذكره الملالي ((وقد كان وضعها لوالدي... وذلك أن والدي لما قرأ على الشيخ عقيدته الصغرى وختمها عليه بالتفسير غير ما مرة ، رأى أنه قد ثقل عليه درسها وحفظها لكبره وكثرة همومه ، فطلب من الشيخ أن يجعل له عقيدة أصغر من الصغرى بحيث يمكنه درسها وحفظها فعمل له هذه العقيدة ، وكتبها له بخطه[2])).

---

(١) مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، تعد من أحدث المكتبات ومجهزه بأحسن الوسائل العلمية وقد بنيت حديثاً ونقلت إليها كل المخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق، والباحث فيها يجد مساعدة معتبرة

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٠ / .

ومن هنا فإن هذه العقيدة مهمة كثيراً في التعليم وفي استيعاب عقائد الإسلام بسهولة . وقد نبه السنوسي فيها على نكت فائقة ودور رائعة لم يذكرها في العقائد السابقة[١] . وقد مدحها أحمد بن الحاج (ت حوالي سنة ٩٣٠هـ) منها:-

وبعـــد فـــاعلم أنـــني أريـــد
نظـــم عقيـــدة بهـــا التوحيـــد
ممـــا رويتـــه علـــى الشـــيخ الســـني
أبـــي عبـــد الله الحســـيني
ابـــن علـــي وحفيـــد المصـــطفى
شـــهر بالسنوســـي نجـــل يوســـف[٢]

وتوجد منها نسخ كثيرة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحمل الأرقام ٤ ٦٣٢، ٤ ١،١٤٩ ١٤٤٠ ٤٦٢١٥ ٦٣٧، ٦٣٦، ٦٣٣٣ .

١٠- شرح صغرى الصغرى:

وفيه فوائد عجيبة ونكت غريبة[٣] ولا توجد في غيره من مؤلفاته [٤] وقد طبعت في مصر سنة ١٢٨٢هـ وبهامشها شرح أبي إسحاق الأندلسي على المواهب الربانية في شرح المقدمات السنوسية، كما طبعت بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٤هـ.

وتوجد منها نسخ مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحمل الأرقام التي كتبناها في صغرى الصغرى، هذه النسخ إذن بعضها متن وبعضها شرح.

---

(١) المصدر نفسه ورقة ١٤٠ / أ

(٢) أبن مريم البستان ص ١٨ .

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٠/

(٤) جمال الدين بوقلي حسن الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ٨٣ .

- وتوجد منها نسخه بتونس بدار الكتب الوطنية تحمل رقم ٧٩٢، بها ٣٧ ورقة وهي ضمن مجموع إبتدأ من ورقة ١٥٦، مقاسها ٧,٢٠× ٣,١٥سم ومسطرتها ٢٥ سطراً. وقد نسخها محمد بن حزام سنة ١١٧٣هـ.

- وتوجد نسخه أخرى بنفس الدار تحمل رقم ١٧١ وهي ضمن مجموع كذلك، إبتدأ من ورقة١٢ إلى ٨٧، مقاسها ٢٣×١٥سم، ومسطرتها ٢١ سطراً.

- توجد نسخة أخرى في مصر، بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠١٢٣ب وهي بقلم معتاد بخط عبد المؤمن ابن سراج الدين بن عبد المؤمن الداودى الشافعي الأزهري، فرغ من كتابتها أواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٠٠٢هـ، وهي في ٣٤ سطراً، مقاسها ١٥×٢٠سم، ومسطرتها مختلفة.

١١- شرح أسماء الله الحسنى :

وهو في حوالي ٢٠ ورقة، وطريقته في شرحها أنه بعد أن يشرح الاسم يذكر حظ العبد منه[١] ويعد مفقوداً حسب معرفتي.

١٢- عقيدة أخرى:

وقد انفرد بذكر هذه العقيدة الملالي ولم يبين أسمها وقد وضح أن السنوسي كتبها لبعض الصالحين كان قد طلبه فيها. وفي هذه الفقيدة دلائل قطعية تدل على من زعم وأثبت التأثير للأسباب العادية[٢] وفيها يبدو السنوسي الواضح بفكرة السببية عند الغزالي((ولم أطلع عليه كذلك)).

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤١/أ

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٤٠/ب

١٣- الدهرية :

وهي قصيدة له في العقيدة نقد فيها مذاهب الدهرية والزنادقة والملاحدة بأدلة علمية، وتحدي بها في مكناس بالمغرب المعارضين له في تأويلة حديث النبي ﷺ ((لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر))[١]. وهو في ذلك متأثر بالأمام ابن فورك (ت٤٥٥هـ) علماً بأن القصيدة كان قد قالها قبل وقوع المناظرة بينه وبينهم وذلك بسبب قوة أدلتها. وقد بين السنوسي هذا بنفسه ونقله عند تلميذه الملالي[٢] (ولم نعثر عليه كذلك)

- الحقائق في تعريفات مصطلحات علماء الكلام وقد ذكره كل من عادل نويهض[٣]وفنسنك[٤]ويبدو أنه هو كتاب المقامات.

ب – شروحه عن غيره :

١٤- المنهج السديد في شرح كفاية المريد:

لقد أورد عادل نويهض عنواناً آخر "هو العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد[٥] ولم يدرك أنهما كتاب واحد وأن العنوان الصحيح هو الأول، ونفس الخطأ وقع فيه إسماعيل باشا البغدادي[٦] " والمنهج السديد في شرح كفاية المريد" هو شرح السنوسي على قصيدة أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي

---

(١) رواه بخاري ومسلم

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٨٩/ ب

(٣) عادل نويهض معجم أعلام الجزائر ص ١٨١.

(٤) فنسنك وآخرون دائرة المعارف الإسلامية م ١٢ ص ٢٩١ .

(٥) عادل نويهض معجم أعلام الجزائر ص ١٨١.

(٦) إسماعيل باشا البغدادي هدية العارفين ٦م ص ٢١٦ .

(ت ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) وهي نظم في علم الكلام على طريقتي هداية الخواص والعوام ومطلعها : -

الحمد لله الواحد الإزلي

سبحانه جل عن شبه وعن مثل

ويذكر السنوسي أن أبا العباس بعث برسالة إليه وطلب منه أن يشرح ذلك النظم في العقيدة فاعتبر السنوسي أن امتثال هذا الطلب واجب عليه. وقد بحث السنوسي في هذا الشرح كل مسائل التوحيد الأساسية فبحث وحدانية الله وتنزيهه وشكره، وصفاته وناقش قضية العمل ورأى أنه يجب أن يبني على العلم فإن كان الإنسان من أهل العلم وجهل فليرجع إلى الكتاب والسنة، وإلا فل يسأل العلماء، وقد بحث كذلك إيمان المقلد ولخص آراء العلماء فيه وهي :-

١. لا يصح التقليد في العقائد (على مذهب الجمهور).

٢. التقليد الجازم المطابق في عقائد الإيمان كاف (على رأي ابن رشد).

٣. من كان قادراً على البحث وقلد فهو عامي.

٤. الفرق فيما يستند إليه المقلد، فإن كان مأمون الخطاء كالقرآن وكذا الرسول (ص) فإن إيمانه مقبول وإلا فلا.

السنوسي يستدل على كل ما يذكر ويرجح وتظهر شخصيته في ذلك بارزة وقد تعرض لقضية القلب وكيفية رسوخ الإيمان فيه ويرى أن ذلك بفضل الله لا بسواه، وقد ركز كثيراً على أهمية النظر الصحيح بالعقل، لأن تصديق القلب في نظره يأتي بعد اقتناع العقل، فهو يعطي دوراً عظيماً للعقل، لكن لا قيمة له بدون قلب وبعبارة أخرى يمكن أن يوجد النظر ولا يوجد التصديق، وفي هذه الحالة

يكون هذا مبنياً على الكبر والغرور إنه يبحث في كيفية ترسيخ العقيدة وما تبنى عليه ويرسم طريقاً للتصوف يقوم على العقل والقلب معاً لكن بقيادة العقل، أنه كتاب التوحيد أصلاً فيه استدلال من الكون على عظمة الخالق، وهو ما يسمى بدليل الآفاق والنظام ويبحث فيه الغيبيات كالعرش والآخرة ويرد على شبهات اليهود والنصارى وغيرهم كما يبحث في الأنبياء والمعجزات والولايات، ويتوصل إلى أن الولي الحقيقي هو الذي يتقيد بالكتاب والسنة كما ينصح المسلمين بترك مطامع الدنيا وعدم الغرور، واتباع طريق الحق، فإنه واحد لا غير[1].

" وقد بدأ فيه السنوسي من الأسئلة الرائعة والأجوبة الفائقة، وبديع التأويلات، ومحاسن العبارات، ما تقف عقول الأذكياء عنده" . وإذا رأى السنوسي أن صاحب النظم أخطأ أو أتى بحشو، فإنه يحمل كلامه على مقصد حسن ويبين الحقيقة بلطف ويعذر المؤلف، ويتأول كلامه، ويجب على اعتراضات لو طرحت على صاحب هذه اللامية لتوقف عن الجواب، وهذا باعتراف صاحب اللامية، وهذا شأنه في بقية الشروح الأخرى.

- ويوجد في هذا المخطوط نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٧٧٨، عنوانها " المنهج السديد في شرح كفاية المريد" وهي كبيرة الحجم، بها ١٨٩ورقة وهي قديمة بها تآكل، مقاسها ٢٠×١٥سم، ومسطرتها ٢٥ إلى ٣٠ سطراً، وقد نسخها محمد بن إبراهيم بن علي الشنشي الأندلسي سنة ٨٩٧هـ بشرشال، ويذكر لنا أنه قابلها على نسخة المؤلف بها بعض التقييدات على الهامش وقد كتبت بالأسود بخط مغربي جيد جداً.

---

(١) السنوسي المنهج السديد مع دار الكتب الوطنية تونس رقم ٧٧٨، من (بدايته إلى نهايته .)

- وتوجد نسخة أخرى بدار الكتب المصرية تحت عنوان (شرح القصيد في علم التوحيد) أو ((شرح الجزائرية للسنوسي))، تحمل رقم ٢٢٩٨١ب بها ٣٤٦ ورقة مقاسها ٢٠×١٥سم ومسطرتها ١٩ سطراً وقد كتبت بقلم معتاد بخط عمار بن إسماعيل الإمليطي المالكي، وذلك يوم الإثنين من ذي القعدة سنة ١٠٤٦هـ .

- وتوجد نسختان في تركيا إحداهما تحمل رقم ٣٨ بمكتبة السليمانية قسم جير يسونيا زمالاري بها ٧٤٠ص ومسطرتها ١٩ سطراً وقد كتبت بخط شرقي متوسط أولها مبتور.والثانية تحمل رقم ٥١٤ وهي بمكتبة السليمانية قسم لالا إسماعيل، وقد نسخها ابن الخطيب سنة ١١٣٠هـ في ٢٧٨ صفحة، ومسطرتها ١٧ سطراً وقد كتبت بخط شرقي قريب من الجيد .

- المطالب السبعة: هي عبارة عن سبع براهين يبين بها حدوث العالم وخلق الله له، ويوجد نسخه منه بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٩٩٩ وقد كتبت بالأسود بخط مقربي رديء جداً صعب القراءة كثير الأخطاء الإملائية به ورقة واحدة. وقد تبين لنا أنه ليس كتاب مستقلاً بل هو جزء من كتاب السنوسي((المنهج السديد في شرح كفاية المريد)) [1] وقد أثبتناه هنا حتى لا يعتقد من اطلع عليه أنه كتاب مستقل.

١٥- **شرح عقيدة الحوضي المرجزة** : المسماة ((واسطة السلوك)) : ومطلعها

الحمـــــد لله الـــــذي دل عليـــــه
إيجادنـــا ثـــم افتقارنـــا إليـــه

(١) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي في ج ١ ص ٩١- ٩٢ .

وبعـــد فالتوحيـــد أشـــرف العلـــوم
وهـــو أساســـها الـــذي بـــه تقـــوم

وهي تنقسم إلى فصول: أحدها في حكم العقل، وفي آخر الصفات، وثالث فيما يجوز من أفعال الله ورابع في بعث الرسل[١].... إلخ

وصاحبها هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحوضي(ت ٩١٠هـ) وقد طلب من شيخه السنوسي أن يشرحها له، فشرحها في نحو خمسة كراريس[٢] وتعد في حكم المفقود.

١٦- شرح المرشدة[٣]:

عقيدة المرشدة رسالة وجيزة لا تتجاوز الصفحتين، وسميت بالمرشدة لأن افتتاحها كان بعبارة ((إعلم أرشدنا الله و إياك)) وقد أطلق عليها هذا الاسم في عهد متأخر عندما كثر تداولها بين الناس لتميز عن غيرها، وهي لأبي عبد الله محمد بين تومرت (٥٢٤هـ ١١٢٩م) وكان الهدف منها تلقينها للعامة وفهمها من طرفهم ليكون إيمانهم مبيناً على أسس صحيحة، وقد أصدر عبد المؤمن[٤] مرسوماً

(١) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي في ج ١ ص ١٩ ـ ٩٢ .

(٢) الملالي الموهب القدسية ورقة ١٤١/أ

(٣) المصدر نفسه ورقة ١٤١/أ ابن منقذ القسنطيني، الفارسية في مبادئي الدولة الحفصيه ، تحقيق محمد الشاذلي النيفرو عبد المجيد التركي د، ط، الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٦م ص ٢١٠ .

(٤) هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلي بن مروان أبو محمد الكومي البربري ولد بالقرب من تلمسان سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م جعله ابن تومرت قائداً لجيوشه، بويع بالخلافة بعد موته.نهض للغزو والفتوح وحد المغرب العربي(ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) والأندلس تحت راية الإسلام، كان عظيم الاهتمام بشؤون الدين محباً للغزو والفتوح توفي في رباط سلافي طريقة إلى الأندلس مجاهداً سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣ م (الزركلي، الإعلام ج ٤ ص ٣١٩)

يأمر فيه العامة بحفظ هذه العقيدة وفهمها[(١)]. ((وقد حررت تحريراً بليغاً وعرضت فيها المسائل المتعلقة بالإيمان بالله تعالى ذات وصفات دون أن تعرض لشيء من السمعيات أو لشيء مما يتعلق بالإمامة ، وجاءت هذه المسائل على مرتبة على النحو التالي: -

وحدانية الله خالقيتة المطلقة خضوع الخلائق له، أزلية وجوده، تنزيهه عن المكان، والزمان، تنزهه عن الشبيه والمثيل، قيوميته، علمه المحيط بكل شيء ، قدرته إرادته، استغناءه وعزته بقاؤه، مشيئته المطلقة وعدله، وفضله، سمعه، وبصره، مع ملاحظة أن بعض المسائل وقع تكرارها من حرة[(٢)])) .

وكانت هذه العقيدة منتشرة بتلمسان فطلب بعض أهلها من السنوسي أن يشرحها، فشرحها. وكان الشيخ السنوسي من المعجبين بها فمدحها وأكد صحتها من حيث العقيدة بقوله:

((أجمعت الأمة على صحة هذه العقيدة، وإنها مرشده رشيدة، ولم يترك – المهدي- أحسن منها وسيلة نفعنا الله وإياك بعقد عقيدتها الجليلة)) [(٣)]

ويمتاز شرح السنوسي للمرشدة بتدقيقاته الكلامية، لكنه لم يكمل شرحها بسبب سفر شغله عن ذلك فأكمل شرحها بعض أصحابه[(٤)]. ويوجد شرح

(١) عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب ط١ دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣ ص ٤٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤٨.

(٣) أبن منقذ القسنطيني الفارسية في مبادئي الدولة الحفصية، ص ٢١٠، عبد المجيد النجار المهدي بن تومرت، ص ٤٤٩. والنص للسنوسي من شرحه للمرشدة، وقد أخترنا ما اورده النيفر من النسخة التي يملكها .

(٤) عبد المجيد النجار المهدي بن تومرت، ص ٤٥٣،٤٥٤.

السنوسي لها نسختان مخطوطتان بدار الكتب الوطنية بتونس تحملان الرقمين ١٦٩٥٣ و٠٨٥٢٤ وكلتاهما مجاميع، كما توجد نسخ أخرى بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ١٠٨٨٠د ويملك الشاذلي النيفر نسخة منها بتونس

١٧- شرح على جواهر العلوم[١]:

في فن علم الكلام على طريق الحكماء وهو على نهج طوالع البيضاوي[٢] لكنه أصعب منه وأشمل، كما أخبر السنوسي[٣] ورغم صعوبة هذا الشرح فهو أبين من المشروح وذكر السنوسي أنه لما شرحه رفعه بعض الطلبة إلى أحد المعاصرين للسنوسي وأوصاه ألا يخبره باسم شارحه (الذي هو السنوسي) فذهب الطالب إلى ذلك العالم وقال له أحب أن أقرأ عليه شيئا من هذا الكتاب المشرقي مع شرحه، فقال له ذلك العالم وهل شرحه أحد؟ قال نعم فأخرجه الطالب فلما رآه ظن العالم أن ذلك الشرح قديم ولم يفهم منه شيئا رغم تكرار قراءته، فقال ذلك العالم معبراً عن صعوبة شرح ذلك الكتاب. ((هذا الشرح لايفهمه إلا الذي وضعه، وأنا لم أفهم ما يقول شارح هذا الكتاب الله يرحم هذا الشارح)) [٤]

---

(١) هو عضد الدين الأيجي الفارسي، عالم بالأصول والمعاني العربية، من تآليفه ((المواقف)) في علم الكلام ((جواهر العلوم)) ((الجواهر العضدية)) مات مسجوناً سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م ((الزركلي، الأعلام ج ٢ ص ٢٤٨).

(٢) هو أبو عبد الله بن عمر الشيرازي الفارسي، عالم بالفقه والعقائد والتفسير، له مؤلفات منها" طوالع الأنوار " في التوحيد " و" أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ، توفى سنة ٦٨٥هـ ١٢٨٦م (الزركلي الإعلام ج ٤ ص ٢٤٨) .

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٥/أ

(٤) المصدر نفسه ورقة ١٤٥/أ والواوية السنوسي وقد ذكر اسم ذلك العالم، لكن الملالي يذكر انه نسي اسمه لطول العهد رغم حضوره مجلس هذا العالم عدة مرات وشهادته له بالكفاءة العلمية في العلوم النقدية و العقلة .

٢- التفســــير:

السنوسي فسر القرآن الكريم كله في مسجده[١] و مثل ابن باديس، وقد بين الملالي هذا، وعندما بدأه أرسل إليه الملك الزياني كي يفسره في مسجده لكنه أبى كما بينا في موقفه من الحكام، وعندما أراد ختمه وكان قد وصل إلى الإخلاص وقرر أن يفسر الإخلاص في يوم والمعوذتين في اليوم الثاني سمع الوزير بذلك و أراد أن يحضر الختم ففسر السنوسي المعوذتين في اليوم الأول[٢] لكن هذا التفسير شفهي لم يسجل منه إلا ما سنذكره بعد قليل، وقد بين الملالي طريقة أستاذه في التفسير بأنه إذا شرع في تفسير آية ((يبدي فيها من بديع التأويلات وكثرة الاحتمالات ما لا يمكن التعبير عنه، ولا توجد في كثير من المطولات وتجد الوجه الثاني أبدع من الأول، وهكذا الترقي فيتعجب الحاضرون مما يبديه من المعاني والإسرار، و الفهوم التي لا تدخل تحت .... الأنظار فحينئذ يعلم العاقل علم اليقين أن ذلك الكلام إنما خرج من قلب مليء بالحكمة والأنوار))[٣] والسنوسي متأثر في تفسيره بعلم الكلام مما يجعله مطبوعاً بطابع عقائدي، وقد لا حظنا هذا من خلال ما وجدناه في تفاسير له، وقد تأثر كذلك بالزمخشري[٤] مع أنه معتزلي، مما

---

(١) وقد أكد هذا أحد الذين رثوه بعد موته بقصيدة طويلة فكر فيها هذا البيت :

قد فسـر الوحـي كان الحـبر مجتهـدا   في عصـره لم يـر في العـرب والعجـم

(للملالي المواهب القدسية ورقة ٢١٦ / ب)

(٢) المصدر نفسه الورقة ١٠٤/ ب

(٣) المصدر نفسه ورقة ٤٣ / ب ٤٤ / أ

(٤) هو محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري جار الله ، يعد من ائمة العلم بالدين والتفسير واللغة والادب، لقب بجار الله لمجاورته لمكة، من مؤلفاته " الكشاف" في التفسير و " أساس البلاغة " وكان معتزلاً شديد الإنكار على المتصوفه توفى بالجرجانية من قرى خوارزم سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٤م (الزركلي الإعلام ج ٨ ص ٥٥)

يدل على تعصبه وأخذه الحق أين وجده كما يدل على أنه لم يعد ينظر للمعتزلة تلك النظرة القاسية التي نراها في شرحه لمختصره في المنطق.

أما ما سجله من تفسيره للقرآن فهو ما يأتي :-

١ – تفسير سورة الفاتحة : هو تفسير طويل نسبياً، وقد أورده الملالي بنصه[١] وهو تفسير عقائدي ولغوي، ناقش فيه الفرق الإسلامية، وهو يحلل ويعلل، ويستنتج ويستشهد، ويأتي بإشارات صوفيه تدل على قوة إيمانه وشدة تعلقه بربه، وهو في ذلك بعيد عن شطحات الصوفية وخرافاتهم وقد اعتمد فيه على الزمخشري، وختمه بذكر فوائد قيمة .

٢ – تفسير بداية سورة البقرة إلى قوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾[٢] وقد أورده الملالي كذلك في نصه[٣] وهو في هذا متأثر بكل من الزمخشري والتفتزاني[٤]

وآخر كلمة وقف إليها بخطه قوله : " يدل على الاعتناء بالختم وهو فأل حسن" وكانت نية السنوسي في أواخر عمره أن ينقطع عن الناس ليتفرغ لهذا التفسير ناوياً إكماله كتابة، غير المنية لم تمله .

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٧/أ .....١٥٧ /أ.

(٢) ورد في البستان ص ٢٤٧، نيل الابتهاج ص ٣٢٩ وتعريف الخلف ص ١٨٩ أن السنوسي وصل في تفسيره لصدر سورة البقره إلى قوله تعالى﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وقد قال بهذا كل من أخذ من هذه المصادر. والحقيقة أنه وصل إلى قوله تعالى ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ كما بين تلميذه الملالي (الملالي المواهب القدسية ورقة ١٧٥/أ) وهو ما وجدناه في تفسيره لصدر سورة البقرة .

(٣) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ١٥٧/ ...١٧٥ /أ

(٤) هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، من أئمة العربية والبيان والمنطق، له مؤلفات منها " تهذيب المنطق " توفى سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م (الزركلي ، الإعلام ج ٨ ص ١١٣،١١٤

٣ – تفسير سورة ص وما تحتها من السور: ولا ندري إلى أي سورة إنتهى.

٤ – تفسير المتشابه من القرآن الكريم : ومنه قوله تعالى :-

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾[١]

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[٢]

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[٣]

﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[٤]

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[٥]

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٦]

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٧]

وقد أورده الملالي والسنوسي يميل فيه إلى التأويل ويرجحه .

٥ – اختصار حواشي التفتزاني على كشاف الزمخشري وقد رآه الملالي بخط الشيخ السنوسي[٨] ويعد حكم المفقود.

---

(١) آل عمران / ٣٠ .

(٢) القصص / ٨٨ .

(٣) الرحمن / ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) ص / ٧٨.

(٥) المعارج / ٤ .

(٦) القيامة/ ٢٢ ، ٢٣ .

(٧) النساء ١٦٤.

(٨) الملالي، المواهب القدسية روقه ١٤٣/ ب

٦ – شرح كلام ابن البنا في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ ﴾[1] وذلك أن الفقيه أبا عبد الله التونسي حاول استخراج العدد الخاص من الرجال والنساء الذين تقصدهم الآية، وأثر في الناس بعد أن كانوا قد تناقشوا في هذه القضية في تلمسان سنة ونصف، فعندما أتى إليهم أبو عبد الله الفقيه التونسي حل هذه المسأله لهم فاعتقدوا أن ذلك الحل صحيح فاستراحوا له، لكن السنوسي بين خطأ ابن البنا وأبطل كلامه وأتى بحل جديد للمسألة(وصعب على فهم الحلين معاً) وتوجد نسخة من هذا المخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحمل رقم ٧٧٨، وهي توجد ضمن مجموع ابتداء من ورقة ٢٨٣/أ إلى ٢٨٥/ب . بدايتها بعد البسملة يقول العبد المعترف بذنبه الراجي عفو ربه محمد بن يوسف السنوسي غفر الله له، الحمد لله وحده وقع كلام الشيخ ابن البنا في قوله تعالى ﴿ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾ ونهايتها: ونحن نستغفر الله ونقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الحمد لله الذي لم يكلفنا بعلم المسألة ولا أوعدنا بالعقاب على الجهل بها، فالواجب أن يصرف كل أمرئي همته، ويجد كل الجد فيما يوجب له الفوز ومن مرضات ربه يدنيه، والله المسؤول في التوفيق إلى أحسن المسالك، والنجاة من الوقوع في المهالك ....) وقد كتبت بالأسود بخط مغربي جيد، مقاسها ٢٠×١٥سم ومسطرتها ٢٥ سطراً ونلاحظ بأن هذا الشرح لم يورده الملالي وكذا الذين أخذوا من مواهبه.

---

(١) الحجرات / ١١ .

٣ – علوم القرآن الكريم:

- شرحه على ضبط الخراز في الرسم وقد رآه الملالي بخطه غير مكمل.
- اختصاره لكتاب في القراءات السبع: لا نعرف اسم هذا الكتاب ولا صاحبه رآه الملالي بخطه .
- شرحه على الشاطبية الكبرى: لم يكمله، وقد رآه الملالي بخطه. (١)

٤ – الحديث وعلومه:

١ – مكمل إكمال الإكمال(٢) : وهو مختصر " إكمال الإكمال " لأبي عبد الله الأبي على صحيح مسلم، وهو مختصر عجيب زاد فيه السنوسي نكتاً غريبه، ودرراً عجيبة(٣) وهو في مجلدين كبيرين، وسبب تلخيص السنوسي لهذا الكتاب هو تقديمه في صورة مختصرة تجمع معظم ما ذكره الأبي من فوائد مع إضافة الكثير من الفوائد التي أغفلها، وقد أكمل السنوسي لشرح الخطبة فكان مختصراً نافعا مغنياً عن جميع الشروح وما فيها من تطويل .... وهو ما جعل السنوسي يسميه ((مكمل إكمال الإكمال)) (٤) وقد مدح محمد بن يحي التازى السنوسي وكتابه هذا بسبب تأليفه هذا الكتاب بقصيدة طويلة منها :-

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٣ / ب ١٤٤/ أ .

(٢) أعتقد جمال الدين بوقلي حسن أن السنوسي ألف (مكمل إكمال الإكمال) في شرح صحيح مسلم ثم مختصر شرح الأبي على مسلم (جمال الدين بوقلي الحسن، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ١٧٣ والحقيقة أن الكتابين واحد، لأن مكمل إكمال الاكمال هو نفسه مختصر شرح الأبي على مسلم .

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤١/ ب.

(٤) السنوسي مكمل إكمال الإكمال، مخ دار الكتب الوطنية، تونس ، رقم ١٧٤٣ ، ورقه ٢/ ب . وقد ذكر جمال الدين بوقلي حسن أن عنوان هذا الكتاب " مكمل إكمال الإكمال" لكن السنوسي بين أن عنوانه " مكمل إكمال الإكمال "

أيا من يريد الفوز من كل نقمة
ويطمع في أعلى مقام ورفعة
وبادر إلى علم الحديث فإنه
هو الأصل في مشروع كل قضية
فإن شئت أن تحضى بسر لبابه
فبادر لتأليف الرضى المثبت
إمام الورى بحر العلوم بعصره
وقد خصه المولى بأزكى سجية
محمد نجل الشيخ ذي المجد يوسف
سليل الكرام الصالحين الأئمة

إلى أن يقول :

فبادر لما قد صاغه من جواهر
تنل كل ما ترجه من كل بغية

إلى آخر القصيدة[1].

وقد طبع " مكمل إكمال الإكمال" على هامش " إكمال الإكمال"، وذلك بمصر سنة ١٣٢٧هـ، وتوجد بدار الكتب الوطنية بتونس نسخه مخطوطة للجزء الأول منه تحت رقم ١٧٤٣، بها ٢٢٣ ورقة مقاسها ٢٩,٥ × ٢١سم ومسطرتها سطراً وقد كتبت بالأحمر والأسود بخط مغربي جيد جداً، وليس بها اسم ناسخها أما تاريخ نسخها فهو سنة ١٢٦٤هـ.

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤١ / ب .

٢- شرح صحيح البخاري : وهو شرح مهم وصل فيه إلى باب ((من استرأ لدينه)) ولكنه لم يكمله وقد رآه الملالي بخطه.[١]

٣- شرح مشكلات وقعت في آخر البخاري: وقد أورد الملالي كل الأحاديث التي فسرها السنوسي ومنها قوله ﷺ :- " سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" وقوله في شأن جهنم " حتى يضع الجبار فيها قدمه " وقوله " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثُلُثُ الأخير من الليل ....)) إلخ. والسنوسي يميل في شرح هذه الأحاديث إلى التأويل.

٤- إختصار الزركشي على صحيح البخاري: وقد رآه الملالي بخطه.[٢]

٥- شرح التسبيح المبارك : هو شرح مهم لحديث النبي ﷺ ((من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين .... غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر))[٣]. هو التسبيح الذي حث عليه الشرع دبر كل صلاة، وهو سبحان الله والحمد لله والله أكبر، ثلاثاً وثلاثين مرة ثم ختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له .... إلخ. وقد تكلم أولاً في معنى التسبيح والحمد تم بين حكمه تقديم التسبيح وتوسط الحمد وتأخير التكبير[٤] وشرح السنوسي لهذا الحديث شرح عقائدي بسبب تأثره بعلم العقيدة ولذلك فإنه ينزه الله ويمجده ويرى بأن هذا الحديث مصدر هام لأخذ العقيدة الإسلامية[٥] ، وقد أورد الملالي بكامن.[٦]

---

(١) المصدر نفسه ورقة ١٤٢ /أ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٤٣/ب .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤١/أ .

(٥)السنوسي شرح التسبيح المبارك مخ دار الكتب الوطنية تونس رقم ٤٧٦٣، ورقة ١٢٥/أ

(٦) الملالي المواهب ١٧٥ / ب وما بعدها

ويوجد في هذا المخطوط نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس تحمل رقم ٤٧٦٣، وهي توجد ضمن مجموع ابتداء من ورقة ١٢٤/أ . وهي مبتورة من آخرها وآخر ورقة فيها هي ١٢٦/أ. ينتهي فيها بـ ((كما أن فوائدها)) وقد كتبت بالأحمر والأسود بخط مغربي جيد مقاسها ٢١,٢ × ١٦,٢سم مسطرتها٢٦ سطراً، ليس بها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها .

٦- الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث : هذا الكتاب مصطلح الحديث على ما يبدو ولم يذكره الملالي، وتبعه في ذلك الذين نقلوا عنه كابن مريم التنبكتي والحفناوي. ولسنا ندري هل هو السنوسي أم لا. وتوجد منه بتركيا نسخه مخطوطة بمكتبة السليمانية قسم أسعد أمندي، تحت رقم ٣١٠بها ٧٠٠ ص ومسطرتها ٢١ سطراً، وقد كتبت بخط شرقي قريب من الجيد[1]

٥ – الفقـــــه :-

١. شرح الوغليسية في الفقه : وقد شرح منها شيئا يسيراً دون أن يكملها.

٢. شرح المدونه للإمام مالك : وقد شرح منها نصيباً لا بأس به، وقد رآه الملالي بخطه ، لكن لا نعرف هل أكمل شرحه لها أم لا .

٣. تعليقه على فرعي ابن الحاجب.[2]

---

(١)وقد نسبه محمد بن عبد الكريم للسنوسي (محمد بن عبد الكريم، مخطوطات جزائرية في مكتبات اسطنبول د ط دار مكتبة الحياة ، بيروت١٩٧٢م ص ١٣.

(٢) الملالي المواهب ورقة ١٤٤/ ب التنبكتي نيل الإبتهاج ٣٢٩ ابن مريم البستان ص ٢٤٧ الحفناوي ت خ ص ١٨٩.

٦ – الفرائض:

١. وضع نظماً في الفرائض وصدره

الحمـــــد لله الميـــــت ثـــــم الباعـــــث
الـــــوارث الأرض وغـــــير وارث

وقد رآه الملالي بخطه، وكان نظمه في شبابه ولسنا ندري هل أكمله أم لا[(١)]

٢. المقرب المستوفي في شرح فرائض الحوفي : هو شرح كتاب أحمد بـن محمـد بـن خلف الحوفي (ت ٥٨٨هـ) في الفرائض. وهو أول كتاب يؤلفه السنوسـي في حياته، وكانت سنة بين ١٨ سنة و ١٩ سنة، وقـد اطلـع عليـه شـيخه الحسـن إبركان فأعجب به إلى درجة أنه أمره بإخفائه حتى يكبر خوفاً من العـين، وقـد عمل السنوسي بنصيحته[(٢)] وقد أضطر السنوسي أن يؤلـف هـذا الكتـاب في زمن صغره ما يسمعه من القراءة على أشياخه، ويضم إلى ذلـك مـا يستحسـنه من كلام بعض شراحه خاصة الشيخ عثمان سـعيد العقبـاني الـذي كـان قـد شرحه فاعتمد عليه كثيراً، وقد أختصر السنوسي كثيراً مما يستغني عنه ووضـح الكثير من المسائل التي كانت غامضة.[(٣)]

٧- الســـيرة :

اختصار العروض الأنف للسهيلي: لم يكمله، وقد رآه الملالي بخطه.

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٤/ ب .
(٢) المصدر السابق نفسه ورقه ١٣٨/ ب .
(٣) المصدر السابق نفسه ورقة ١٣٨ / أ .

٨- التصوف:

١. اختصار رعاية المحاسبي.[١]

٢ . اختصار بغية السالك في أشرف المسالك للساحلي.

٣. نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير[٢] .وهو عبارة عن رسالة فيها رد عنيف على أبي الحسن الصغير المكناسي، وحكم بإحراق كتبه، وذلك أنه يقال بأن أبا الحسن الصغير أرسل إلى أهل تلمسان شرحاً ممتازاً على رسالة الشيخ ابن أبي زيد فأعجبوا بها وارتفعت مكانته عندهم، فأرسل إليهم رسالة ثانية يعترض فيها على أهل التصوف، فوقف له السنوسي بالمرصاد، ورد عليه ذلك الرد العنيف واتهمه بأنه لم يفهم سر الطريقة وأهلها وهو مفتر فيما ادعاه. وقد قام جمال الدين بوقلي حسن بتحقيق هذه الرسالة في آخر كتابة " الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد" وقد اعتمد على نسختين إحداهما بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحمل رقم ٩٤٦، والأخرى بثانوية ابن زرجب بتلمسان مسجلة تحت رقم ٧٠- ٨٢

(١) هو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري المولد ، البغدادي المنزل والوفاة، أهتم كثيراً بتدوين أحوال النفس وتزكيتها وبيان عيوبها ، وقد عرف المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه، أخذ العلم عن جماعة مهم الإمام الشافعي، وأخذ عن جماعة منهم الجنيد الشهير وكان صوفياً زاهداً وفقيهاً ومتكلماً، وله مؤلفات كثيرة أغلبها في الزهد وأصول الدين والرد على المعتزلة والرافضة والقدرية وغيرهم، منها ((الرعاية لحقوق الله عز وجل)) ((التوهم)) ((ماهية العقل ومعناه)) ت سنة ٢٤٣هـ (عبد الفتاح أبو غدة) تقديم لرسالة المسترشدين للمحاسبي ط ٢ مكتب المطبوعات الإسلامية حلب سوريا ١٩٧١ ص ١٦ ـ ٣٢)

(٢) فنسنك وآخرون دائرة المعارف الإسلاميةم ١٢ ص/ ٢٩ .عادل نويهض معجم أعلام الجزائر ص ١٨١، جمال الدين بوقلي حسن ، الإمام أبن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ٣٨٧، اسماعيل باشا البغدادي، هداية العارفين، م ٦ ص ٢١٦ .

- وتوجد منها نسخة أخرى بتونس بدار الكتب الوطنية تحت رقم ١٥٠١ بها سبعة أوراق مقاسها ٢١× ١٥سم ومسطرتها ٢٢ سطراً.
- وتوجد نسخه أخرى بالمغرب بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٧٠٠٨.

لكن هل هذا الكتاب من تأليف السنوسي فعلاً أم أنه كتاب محول ؟

إننا نعتقد أن هذا الكتاب منحول وليس للسنوسي إطلاقاً، بحيث يكون أحد المتصوفة المنحرفين كتبه ونسبه للسنوسي لتكون له قيمة، فيتداولة الناس وذلك استغلالاً لشهرة السنوسي وعلمه وثقة الناس به ويمكننا أن نحصر الأسباب التي أدت بنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب ليس للسنوسي فيما يأتي:

١. الملالي تلميذ السنوسي الوفي لم يورده ضمن مؤلفات السنوسي، وقد بين لنا تفاصيل تلك المؤلفات وظروف تأليفها، وميزة بعضها عن البعض الآخر، فلو ألف السنوسي هذا الكتيب لأورده الملالي إذ كيف يقع حدث كهذا وهو إن يبعث أبو الحسن الصغير إلى تلمسان تلك الرسالة وتثير تلك الضجة فيقوم السنوسي بالرد عليه بعد استشارة العلماء ولا يسجل الملالي هذه الحادثة رغم أنه سجل لنا تفاصيل دقيقة عن حياة أستاذه ومؤلفاته كما قلنا، خاصة وأنه غارق في التصوف فيستحيل أن يهمله الملالي أورد أبياتاً شرحها السنوسي في التصوف، فكيف يورد أبياتاً ويغفل كتاباً ؟

٢. الذين ترجموا للسنوسي وتوسعوا نسبياً في ذلك كالتنبكتي وابن مريم والحفناوي لم يشيروا إطلاقاً إلى نصرة الفقير.

٣. السنوسي لم يلبس الخرقة فكيف يدافع عنها ؟ وكان يميل إلى الخلوة بنفسه ولم يكن يجتمع مع الإخوان في حلقات ذكرهم ، فلو كان يدافع عن ذلك لكان يحضر حلقات ذكرهم.

٤. السنوسي يرجح عدم صحة إيمان المقلد[١] ويرى أن النظر واجب قبل الإيمان[٢] فكيف يتبنى ما ورد في نصرة الفقير ((اعتقد ولا تنتقد)) .

٥. السنوسي لم يشر إلى نصرة الفقير في أي مؤلف من مؤلفاته في العقيدة.

٦. السنوسي لم يقل بوجود ظاهر وباطن فيكف يتبناه هنا؟.

٧. ورد فيه أن السنوسي سأل عن أبي الحسن الصغير أبا العباس أحمد البرنوسي المعروف بزروق لما قدم إلى تلمسان قاصداً الحج، وذلك في سنة ٨٤٦هـ (وقد أجمعت النسختان اللتان قارن بينهما في التحقيق جمال الدين بوقلي على هذا التاريخ). والحقيقة أن سنة ٨٤٦هـ هي السنة التي ولد فيها زروق[٣]فكيف يقدم زروق في تلمسان قاصداً الحج ويسأله السنوسي عن أبي الحسن الصغير في السنة التي ولد فيها. ورب قائل يقول بأن تصفحياً وقع في التاريخ الذي سأل السنوسي فيه زروق تفأصبح تاريخ السؤال والولادة واحداً. لكن إذا علمنا أن زروق هذا – الذي هو تلميذ السنوسي- قضى حياته كلها محارباً هذا النوع من التصوف المنحرف اقتنعنا بأنه لم يكن تصحيفاً في التاريخ وأن الذي كتب هذا الكتاب نسبه للسنوسي كان يجعل التاريخ ولادة زروق وإلا كان يورد الرواية في تاريخ أخر يكون حتماً بعد ٨٤٦هـ . كما أنه كان يجهل تاريخ ولادة السنوسي، لأن السنوسي لم يكن سنة ٨٤٦هـ يزيد على ٨ سنوات، ويستحيل أن يؤلف السنوسي كتاباً في هذه السن. وقد بين الملالي أن

(١) جمال الدين بوقلي حسن، الأمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ١٢٩ .

(٢) السنوسي شرح أم البراهين مخ دار الكتب الوطنية تونس ورقة ١٥/أ

(٣) محمد محمد مخلوف شجرة النور الزكية ج ١ ص ٢٦٨ أبن مريم البستان ص ٥٤ .

أول كتاب ألفه السنوسي هو " المقرب المستوفي على الحوفي " وكان سنة ١٨ ،١٩ سنة[1].

٨. الكتاب مملوء بالعبارات البذيئة التي اتهم بها أبو السحن الصغير من طرف مؤلف نصرة الفقير، وهذا مخالف لما بيناه في أخلاق السنوسي الذي لم يكن يتصرف هذا التصرف حتى مع ألد أعدائه، وقد أحصينا تلك الكلمات البذيئة فوجدناها بالتقريب كما يأتي:-

أحمق ومشتقاتها: كررت خمس مرات جهول مرة واحدة – قليل العقل – مرة واحده منافق ومشتقاتها كررت مرتين – مغرور مرة واحده حمار مرة واحدة – بليد ومشتقاتها- ٦ مرات – غضب الله عليك مرة واحدة الشيطان قرينك مرة واحدة متفقه مرتين غليظ الطبع مرة واحدة تشيطنت مرة واحدة شبيه بإبليس مرة واحدة وهذا رغم قصر الكتاب الذي يذكر صاحبه أنه ألفه في يوم واحد، وهنا نتساءل هل يمكن شأن يكتب السنوسي كل هذه العبارات البذيئة في ذلك المختصر؟ لقد رأينا منهجه المواعظ والتربية ورأينا أخلاقة وكل هذا يتناقض مع ما ذكر هنا وهو مما يجعلنا ننزه السنوسي ذا الأخلاق العالية عن هذا مثل هذا الكتاب .

٩. في هذا الكتاب دفاع عن البدعة وأهلها صراحة (فلو كنت عاقلاً منور البصيرة لاكتفيت منهم بذكر الله عن أي وجه ذكروا سواء كانوا صادقين أو مبدعين)) [2] وهذا يستحيل أن يصدر عن السنوسي، كما توجد فيه إباحة للإخوان بأن يذكروا الله راقصين مغنين مزمرين، وهذا يتنافى مع الخشوع

(١) الماللي المواهب القدسية

(٢) جمال الدين بوقلي حسن الإمام يوسف السنوسي وعلم التوحيد (نصرة الفقير) ص ٤١٤.

الذي يستحيل وجوده في مثل تلك الحالة ويتنافى مع منهج السنوسي الذي يقرر أن أفضل العبادة التفكر، خاصة إذا انضم إليه الركوع والسجود[١]، ثم أن ذكر الكثير من الأمور التي تؤدي إلى الكهنوت وتقديس الأولياء كالتافين في أثوابهم وأخذ جزء من شعرهم والتمسح بريقهم والتبرك بملابسهم والمواضع التي جلسوا فيها يتناقض تماماً مع الشرع الذي يعرفه السنوسي الذي كان فقيها من طراز أول فعمر ﷺ قطع شجرة الرضوان خوفاً من أن تعبد. فكيف نتبارك نحن بمواضع جلوس الأولياء؟!ثم أن ما ذكر يعني أن مصير هؤلاء أصبح معروفاً والرسول ﷺ يقول:ـ ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) [٢] ثم أن هذا الكتاب ورد فيه أن المتصوفة اكتشفوا طرقاً للعبادة لم يورده الرسول (ﷺ) وهذا يعني أن الرسول (ﷺ) مات ولم يكمل الوحي والنتيجة التي نستخلصها أننا نرى أن " نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير " لم يؤلفه السنوسي، وإنما درس عليه وهو بريء منه[٣].

٣- أ- شرح أبيات للألبيري (المتوفى سنة ٥٣٧هـ) وصدرها :

رأيـــت ربـــي بعـــين قلـــبي

فقلـــت لا شـــك أنـــت أنـــت

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٣٣ / ب

(٢) الأحقاف / ٩

(٣) بعد كتابتنا هذا أطلعنا صدفة على كتبه المهدي البوعبدلي في مجلة الأصالة عن عبد الرحمن الأخضري فوجدناه يبدي نفس الشك في نسبة هذا الكتاب للسنوسي ونصه " والمتأمل يشك في نسبته هذا المؤلف للسنوسي فهو زيادة على إهمال مترجمي السنوسي لذكره ضمن مؤلفاته فيه عبارات بذيئة يتنزه عنها السنوسي الذي اشتهر بالنزاهة والاعتدال (المهدي البوعبدلي ، مجلة الأصالة وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر جانفي، ١٩٧٨ ص ٢٤)

وقد أوردها الملالي بكاملها بشرح السنوسي لها[١] وهي مهمة جداً في قضية العقل والذوق وفيها يجعل السنوسي الذوق خاضعاً للعقل.

ب – شرح ثلاثة أبيات أخرى لبعض العارفين،وصدرها :

تطهـــرا بمـــاء الغيـــب إن كنـــت ذا ســـر

وإلا تـــيمم بالصـــعيد وبالســـر

وقد أورد الملالي شرح السنوسي لها كذلك.

ج – شرح بيتين آخرين لبعض العارفين وصدرها :

شمـــس النهـــار تغيـــب بليـــل

وشمـــس الليـــل لا تغيـــب

- مناقب الأربعة المتأخرين : هو كتاب نسب للسنوسي، وقد خصص لترجمة حياة أربعة من الأولياء هم محمد الهواري، وإبراهيم التازي ، وأبو الحسن أبركان ، وأحمد الغماري وقد أورد ابن مريم اثنين منهما نقلاً منه، ونحن نشك في نسبة هذا الكتاب للسنوسي، لأن محتواه لا شيء فيه من الكرامات التي لا يقبلها العقل.

وقد شك فيه أبو القاسم سعد الله ، وذلك لأن ابن صعد [٢] ألف كتاباً سماه " روضة النسرين في مناقب الأئمة الأربعة المتأخرين" وقد ترجم فيه فقط

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٤/ ب

(٢) هو محمد بن أحمد المعروف بابن صعد ، كان متأثراً بتيار عصره الجارف نحو التصوف والزهد والانعزال والعقيدة وفي الأولياء والمشيخة من مؤلفاته " النجم الثاقب فيما لأولياء الله منمفاخر المناقب " " وروضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين" توفى في مصر سنة ٩٠١ هـ أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٦٤ .

للأربعة السابقين في الكتاب المنسوب للسنوسي[1] إذ علمنا أن هذا الكتاب يرد ضمن مؤلفات السنوسي ، لا في المواهب القدسية ولا في البستان ولا في نيل الابتهاج ولا في تعريف الخلف ، قوي اعتقادنا بأن" مناقب الأربعة المتأخرين " المنسوب للسنوسي هو كتاب أبن صعد وقد وقع فيه حذف الجزء الأول من العنوان وهو " روضة النسرين " ثم نسب للسنوسي خطأً.

- استغاثة : وهي أربع أبيات شعرية مطلعها :

يــارب هيــئ لنــا مــن أمرنــا رشــدا

واجعـل معونتـك الحسـنى لنـا مـددا

وتوجد منها نسخة مخطوطة بدار الكتاب الوطنية بتونس، تحمل رقم ٣١٠ وهي ضمن مجموع ابتداء من ورقة ٣٠/أ ٣٠/ ب وقد كتبت بالأسود والأصفر بخط مغربي جيد جداً مقاسها ٢٣,٥ × ١٦سم ومسطرتها ١٨ سطراً .

٩ – اللغـــة :

- الدر المنظوم في شرح قواعد ابن جروم وهو شرح للجرومية، وقد رآه الملالي مكملاً بخط السنوسي قال في أوله ((قال الفقير لرحمة ربه وغفرانه محمد بن يوسف السنوسي الشريف لطف الله به صح من حطه ....))[2]

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٥ .

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٤/ ب

١٠- المنطـــــق:

وقد ألف فيه الكتب الآتية :

١- شرح جمل الخونجي في المنطق وقد رآي الملالي منه كراسين ولكن لم يعرف هل أكمله أم لا[1] (وهو مفقود)[2]

٢- شرح مختصر ابن عرفة : وقد وضح فيه ما صعب من كلام ابن عرفه وقد قال عنه السنوسي ((كلام ابن عرفه صعب جداً وخصوصاً في نقد المختصر وقد أتعبت نفسي كثيراً في حل كلام ابن عرفة في مختصره هذا لصعوبته في غاية ... ولا استعنت على هذا الشرح إلا في الخلوه)) قال :- ((وشرحت منه الجل ولم أكمله لكثرة الأشتغال وضيق الحال))[3] وتكمن أهمية هذا الشرح في شيئين: ـ

أ – إزالة صعوبة ذلك المختصر.

ب – نقذ الكثير مما ورد فيه من أفكار.

وقد تأثر به السنوسي مثلما تأثر بجمل الخونجي في مواضع كثيرة من شرحه لمختصره في المنطق. ومن هذا فقد اتبعهما في عدم كتابة عناوين بارزة لقضايا المنطق، ولكنه مع ذلك فقد نقدهما كثيراً كما سنبين في تحليلنا لشرحه لمختصره في المنطق.

---

(١) المصدر نفسهورقة ١٤٤/أ

(٢) سعد غراب رسالتان في المنطق الجمل لأفضل الدين الخونجي والمختصر في المنطق لأبن عرفة د ط المطبعة العصرية تونس د ت ص ١٨

(٣) الملالي المواهب القدسية ، ورقة ٤٤١/ أ.

وتوجد من هذا المخطوط ثلاث نسخ بدار الكتب الوطنية بتونس تحمل الأرقام ١٥٨١١، ٨١٦١، ١٦٣٢٧، وقد اطلعنا على هذه الأخيرة، وهي قسم المكتبة الأحمديه بالجامع الأعظم، وقد كتبت بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد جداً، قليلة الأخطاء، ليس بها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها مقاسها، ١٩,٥×١٤سم ومسطرتها ٢٣ سطراً وقد كتبت في ٢٠٠ ورقة .

٣- شرح إيساغوجي البقاعي[١] إيساغوجي هذا صاحبه أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) وهو يختلف عن إيساغوجي فرفريوس الصوري. (ت بعد ٢٩٨م) وذلك أن إيساغوجي فرفريوسي خاص بالكليات الخمس، أما إيساغوجي البقاعي فيشمل كل أبواب المنطق بما فيه من صورة ومادة وقد شرح السنوسي هذا الأخير شرحاً ذا أهمية كبيرة، وقد تأثر به في ترتيب الأبواب، غير أنه نقده كذلك في كثير من المواطن، ومنها إهماله للنسبة في القضايا الحملية[٢] .
ويوجد من هذا المخطوط نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحمل رقم ١٣٨٢، وقد نسخها خليل بن محمد في مدينة الجزائر سنة ١١١٤هـ بها ٦٧ ورقة و مقاس الورق المكتوب وغيره ٢٠×١٤,٩سم وقاس الورقة المكتوب فقط ١٥,٥×٨,٤سم . وقد نسخت بالأحمر والأسود بخط شرقي جميل ، بدون عناوين ويوجد بها تآكل، كما يوجد بها بياض هو محل الجداول مختلفة أهملت.

---

(١) ذكر عادل نويهض أن السنوسي شرح إيساغوجي (عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ص ١٨١) لكنه لم يبين أي إلا يساغوا جيين شرح مما يجعل القارئي يعتقد أنه شرح إيساغوجي فرفريوس في حين أنه شرح إيساغوجي البقاعي .

(٢) السنوسي، شرح إيساغوجي البقاعي مخ المكتبة الوطنية الجزائر رقم ١٣٨٢، ورقة ١٨/أ، ب .

- شرح الموجهات[1] وتوجد منه نسخه بتركيا بمكتبة راغب باشا تحت رقم ٩٠٥، نسخت سنة ١١٦٤هـ بها ٢٠٦ صفحات ليس بها أسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، وقد نسخت بخط شرقي جيد[2] ولا نستبعد أن يكون قسماً من شرحه لكتابه المنطقي.

٤- مختصر في علم المنطق وهو مختصر عجيب كما يذكر الملالي، زاد فيه زيادات على ما في جمل الخونجي[3] وهو شبيه به في الأسلوب لكنه أقل غموضاً منها.

وتوجد منه نسخه مخطوطه بثانوية ابن رجب بتلمسان (الجزائر) وتوجد لدينا نسخة مصورة منها (وسنصفها في التحقيق).

٥- شرح السنوسي لمختصره في المنطق وهو في نظرنا أهم ما ألف في المنطق قال عنه الملالي ((هو شرح عجيب جداً لم ير مثله ، ولا يرى والله أعلم أبدا)).[4] وقد طبع طبعة غير محققه مع حاشية الباجوري عليه ، وذلك بمصر سنة ١٢٩٢، ١٣٢١هـ .[5] وقد عثرت على أربع نسخ منه بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحمل الأرقام ١٣٨٢، ١٤٢٦، ١٤٠٩، ١٤ وهذه الأخيره أتى بها مؤخراً من ندرومة وتوجد نسخه أخرى بثانوية ابن زرجب بتلمسان بدون رقم، وقد تحصلنا على نسخة مصورة منها.

كما عثرنا بتونس بدار الكتاب الوطنية على ثلاث نسخ أخرى تحمل الأرقام ٩٣٣، ٨٥٠، ١٦١٣٠، كما عثرنا بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق على نسخة تحمل

---

(١) لم يذكره الملالي والا التنبكتي ولا أبن مريم ولا الحنفاوي، ولا غيرهم من كتب التراجم الأساسية .

(٢) محمد بن عبد الكريم ، مخطوطات جزائرية في مكتبات اسطنبول ص ١٦١ .

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٤/أ .

(٤) المصدر نفسه ورقة ١٤٤/أ.

(٥) يوسف إلياس سركيس معجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١ ص ٥٠٦ .

رقم ٤٨٧٢، وتمكنا من الحصول على نسخة مصورة منها (وسنصف كل هذه النسخ أثناء التحقيق) .

وهناك نسختان أخريان بدار الكتب المصرية بمصر، إحداهما تحمل رقم ٩٢٩٩٢، وقد نسخها بقلم معتاد عطية بن سليمان الحناني الشافعي سنة ١١٢٦هـ بها ٨٧ورقة، مقاسها ٢١×١٥سم ومسطرتها ٢٣ سطراً بها تقييدات على الهامش.

ونظرا لأهمية كتاب السنوسي في المنطق فقد شرح من طرف الكثير ومن شروحهم :-

- لوامع النظر في تحقيق معاني المختصر لابن يعقوب، وهو أول شرح لكتاب السنوسي من طرق غيره وقد اعتمد فيه على شرح السنوسي لمختصره في المنطق وأضاف له ما جادت به تربجته، وميزته أنه لا يمثل بالحروف مع أنها في نظره أنسب وذلك دفعاً لتوهم قصور القاعدة على مادة مخصوصة، لأن الكثير من النفوس مائلة إلى المواد في أمثلة بيان معانيه[1] وهويتهم كثيرا بمعاني الكلمات وقد أضاف إليه الصناعات الخمس لكن أهميته ليست كبيرة.
- وتوجد منه نسخة في المكتبية الوطنية بالجزائر تحت رقم ١٤١١، وتوجد ضمن مجموع هي بدايته. بها ١٢٨ ورقة مقاسها ٢١×١٥,٣سم، ومسطرتها٢١ سطراً وليس بها اسم مؤلفها ولا ناسخها ولا تاريخ نسخها، وقد كتبت بالأسود والأحمر بخط شرقي ممتاز، قليلة الأخطاء وقد كتب على ظهر الورقة الأولى ((كتاب في المنطق على مختصر السنوسي وغيره)) .

---

(١) ابن يعقوب لوامع النظر في تحقيق معاني المختصر مخ المكتبة الوطنية الجزائر رقم ١٤١١١ ورقة ١ / ب ، ٢ / أ

- وتوجد منه نسخه أخرى في ثانوية ابن زرجب بتلمسان بالجزائر (دون رقم) وتوجد كذلك ضمن مجموع في المنطق تبدأ من ورقة ٧١/ ب وتنتهي في ورقة ١٨٣ / ب مقاسها المكتوب فقط ١٥×١١,٣سم ومسطرتها ٢٠ سطراً وقد كتبت بخط مغربي جيد، أما ناسخها فهو عمر بن محمد بن علي، وقد نسخها سنة ١٢٨٣هـ .

- وتوجد نسخة أخرى بتونس بدار الكتب الوطنية بالمكتبة الأحمدية بالجامع الأعظم تحت رقم ١٦٢٣٧، بها ٩٤ ورقة مقاسها ٢٠×١٥ ومسطرتها ٢٥ سطراً، وليس بها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، كتبت بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد .

نفائس الدرر في حواشي المختصر للحسن بن مسعود اليوسي المراكشي(المتوفى سنة ١١٠٢هـ ١٦٩١ م) وهو أهم شرح أطلعت عليه ويمتاز بكثرة التنبيهات المفيدة ومقارنة السنوسي بغيره في بعض المواطن كما أنه أزال الكثير من المبهم في مختصر السنوسي كما أضاف ما أغفله السنوسي من مادة القياس .

وتوجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم ١٣٨٢، وهي ضمن مجموع ابتداء من ورقة ٧٠/ ب إلى ٢٢٣/ ب مقاسها ١,٢٠× ٨,١٤سم ومسطرتها ٢١ سطراً وقد كتبت بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد جداً قليلة الأخطاء الإملائية، ليس بها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.

- وتوجد نسخة أخرى بتونس بالمكتبة الأحمدية بالجامع الأعظم (دار الكتب الوطنية) تحت رقم ١٥٨١٢ بها ١٢٢ ورقة مقاسها ٥,٢١،٥,١٥سم مسطرتها ٢٥ سطراً، وقد كتب بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد جداً. وقد نسخها أحمد بن محمد بن محمد بن وادفل سنة ١١٤٨هـ.

- الفتح القدوسي على مختصر العلاقة السنوسي وهو لأحمد بن محمد أحزمي السنوسي وهو تلميذ الحسن بن مسعود اليوسي صاحب نفائس الدرر وميزة هذا الكتاب أنه يشرح ألفاظ المتن شرحاً سهلاً، ويكثر من التنبيهات والأمثله والملاحظات وقد تأثر كثيراً بكتاب استاذه السنوسي .

ويوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم ١٤١٠، بها ١٦٠ ورقة ، مقاس الورقة المكتوب وغيره ٢٠,٥×١٤,٧سم ومقاسها المكتوب فقط ١٧,٧×١٠٩,٣سم ومسطرتها ٢٧ سطراً وقد كتبت بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد جداً وقد نسخها مسعود بن محمد سنة ١١٤٤هـ بها بعض تقييدات على الهامش.

- حاشية على مختصر السنوسي وهي لعمر الفاسي (المتوفى سنة ١١٨٨هـ) وتمتاز بالدقة والمقارنات وتوجد نسخه منها بتونس بدار الكتب الوطنية بالمكتبة الأحمدية بالجامع الأعظم تحت رقم ١٥٩٦٢ بها و١٠ أوراق مقاسها ١٥,٥×١٩,٥سم ومسطرتها ١٨ سطراً وقد كتبت بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد بها أخطاء املائية كثيرة وقد نسخها عمر بن الحاج أحمد المنحور الأنصاري سنة ١١٨٨ هـ وكتبت على ظهرها ((هذه حاشية الشيخ عمر الفاسي على مختصر الشيخ السنوسي)[1] رحمهما الله أجمعين يا رب العالمين)) .

- حاشية اللبناني على مختصر السنوسي في المنطق وهي لمحمد بن الحسن اللبناني ((المتوفى سنة ١١٩٤هـ)) وهي توضح الكثير مما غمض من مختصر السنوسي، كما تقوم على المقارنات والتحليل والإضافات كإضافة الصناعات الخمس التي أهملها السنوسي .

(١) كذا في الأصل .

- وتوجد نسخه منها في تونس بدار الكتب الوطنية بالمكتبة الاحمديه بالجامع الأعظم تحت رقم ١٦٢٣٨. بها ٦٨ ورقة مقاسها ٢١×١٥سم، ومسطرتها ٢٥ سطراً وليس بها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها ، وقد كتبت بالأسود فقط بخط مغربي جيد جداً.

- حاشية الملالي على مختصر السنوسي في المنطق وصاحبه هو أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد الملالي وهو شرح لنظم العلامة الشيخ عبد السلام بن الطيب القادري الحسني الفاسي على مختصر السنوسي. وهذه الحاشية مهمة فهي مع أنها شرح النظم إلا أنها ترتبط أساساً بشرح السنوسي لمختصره في المنطق بحيث يمكن أن نقول بأنها إعادة لما كتبه السنوسي بصياغة جديدة مع إضافة لواحق القياس الصناعات الخمس وبعض أقوال للعلماء، وفيها ترجمة واسعة نسبياً للشيخ عبد السلام الفاسي صاحب النظم .

- ويوجد منها نسخة بتونس بدار الكتب الوطنية تحت رقم ١٥٨١٣، بها ٢١٥ ورقة مقاسها ٢١,٥×١٥,٥سم ومسطرتها ٢٤ سطراً .

بدايتها بعد البسملة والصلاة على النبي ﷺ

((الحمد لله الذي شرف بالمنطق الفصيح والنظر الصحيح....)) إلخ وبداية النظم بعد البسملة :

الحمد لله على الأنعام	بالعقل والإدراك والإفهام
ثم الصلاة مع سلام ثاني	على الذي أيد بالبرهان
هذا وإن القصد نظم المختصر	يجوب من المنطق ما في المختصر
مختصر الشيخ السنوسي الإمام	من كل ما ذكر فيه من مرام

مــع ذكــر مــا تــرك مــن لواحــق وهـــو مفيـــد بمحـــل لابـــق؟

إلـــخ ....

وهو نظم مهم .

نهايته وكان الفراغ منه صلاة العصر آخر يوم من ذي القعدة، يـوم السبت عام ١٢٩١هـ. وقد كتبت بالأسود والأحمر بخط مغربي جيد جداً، ولـيس لها اسم ناسخها .

١١- الرياضيات:

- شرح مقدمة الجبر والمقابلة لأبي محمد عبد الله بن محمد حجاج المشهور بـابن الياسمين (توفى ٦٠١هـ) وقد وضع هذا الشرح في شبابه [١] ويعد في حكم المفقود.

١٢- الفلك :

- عمدة ذوي الألباب ونزهة الحساب في شرح بغية الطلاب في علم الإسطرلاب وهو شرح مهم وضعه على قصيدة ((بغيـة الطـلاب في علـوم الإسـطرلاب)) لأستاذه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحباك[٢] (ت ٨٦٧هـ) وقد ربط السنوسي في شرحه هذا بين علم الإسطرلاب والقيام بالواجبات الدينية كمعرفة أوقات الصلاة، ولذا فقد عدة من أشرف العلوم الشرعية التي تقوم على دقة الحساب وقد مدح السنوسي هذا العلم كذلك بالنظر إلى مظهره الفني كامتيـازه بزينة النقوش وأشكال الرسوم .

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٤/أ

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٤٤/ أ

وتمكن فائدته في معرفة حركة الأفلاك والكواكب وظهورها واختفائها وقد برز السنوسي شرحه هذا ليوضح هذا العلم للطلاب[١].

وتوجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحمل رقم ٦١٣.

وتوجد نسخة أخرى بتونس بدار الكتب الوطنية تحمل رقم ١٠٠١بها ٣٧ ورقة مقاسها ٢٣×١٦سم ومسطرتها بين ٢٦، ٢٧ سطراً، وقد نسخها أحمد بن يوسف بن مسعود بن حمزة سنة ١١٣١هـ . وتوجد نسخة أخرى بنفس المكتبة تحمل رقم ١٣٩٥بها ٥٧ ورقة مقاسها ٥,٢٠×٥,١٥سم ومسطرتها ٢٥ سطراً

١٣- الطـــب :

١- شرح أرجوزة ابن سينا في الطب[٢] لم يكمله وقد رآه الملالي بخطه .

٢- رسالة في الطب ونجد لها عناوين متعددة مثل " تفسير ما تصمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية " " رسالة في الطب للسنوسي" و " شرح حديث المعدة ببيت الداء" .

فالعنوان الأول توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحمل رقم ٧١٣٦، يبدأ المؤلف حديثه عن بعض أحاديث الرسول ﷺ منها ((المعدة بين الداء والحمية رأس كل دواء)) [٣] ثم يشرح هذا الحديث متحدثاً عن الحمية، ثم ينتقل إلى الحديث عن الأغذية والأربة ومقاديرها اللازمة للجسم ثم يتحدث عن الحليب واللبن وفوائدهما، وعن الماء وتأثيره ويتابع

---

(١) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ١١٠، ١١١

(٢) ورد في شجرة النور ((هو جز ابن البنا في الطب)) هو خطأ (محمد بن مخلوف شجرة النور الزكية ص ٢٦٦)

(٣) هذا الحديث موضوع

الحديث عن فوائد بعض الأغذية والفواكه والأشربة وتأثيرها على الجسم،كما يتحدث عن الهضوم والأخلاط وتأثيرها على الصحة وواجبات الإنسان في حفظ المعدة والعناية بها[١] إلخ ....

وقد كتبت هذه النسخة بخط نسخي جيد وبحبر بين الأسود والبني نسخها الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي عام ١١١٦هـ وهي ضمن مجموعة بها ٤ أوراق ابتداء من ورقة ١٢٠، ومسطرتها ٢٦ سطراً.

- وتوجد نسخه أخرى بنفس المكان تحت عنوان ((رسالة في الطب للسنوسي)) تحمل رقم ٧٨٣٤ وهي ضمن مجموع بها ٧ ورقات ابتداء من ورقة ٢٦٥، مقاسها ١٩×١٤سم ومسطرتها ١٩ سطراً.

- توجد نسخة منها في تركيا تحت عنوان ((شرح حديث المعدة بيت الداء)) وهي بمكتبة السليمانية قسم رئيس الكتاب تحمل رقم ١١٧٠سم بها ٨ صفحات وقد كتبت سنة ١١٤٠ بخط شرقي جيد.

٣- مجربات في الطب[٢] وقد طبع بهامش مجربات الديربي في بولاق سنة ١٢٧٩هـ ومصر سنة ١٣١٦هـ.

- توجد منه نسخة مخطوطة بتركيا، بمكتبة السليمانية قسم لا لولي بها ١٥٨ص ومسطرتها ١٩ سطراً وقد كتبت بخط شرقي جيد.[٣]

---

(١) السنوسي، تفسير ما تضمنه كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية مخ المكتبة الأسد الوطنية دمشق رقم المخطوط ٧١٣٦ (لخصنا ما ذكرناه من المخطوط بكاملة)

(٢) لم يذكره الملالي .

(٣) لم يورد محمد عبد الكريم رقمها (محمد بن عبد الكريم مخطوطات جزائرية في مكتبات اسطنبول ص ٩٢)

- وتوجد ثلاث نسخ أخرى بمكتبة جامعة برنستون الأمريكية قسم ((يهودا)) موضوعة في باب الطلاسم تحمل الأرقام ٢٣٩٤، ٣٤٩، ٢٩٦٤ وقد كتب عنوانها ((المجوبات))[١] وهو خطأ.

٤- مقدمات فوائد وتوجد منه نسخة بتركيا بمكتبة السليمانية قسم لالولي، تحمل رقم ١٥٨٧، بها ١٤٤ صفحة ومسطرتها ٢٣ سطراً، وقد كتبت بخط شرقي، ولا نستبعد أن يكون ((مجربات في الطب)).

١٤- فنون أخرى:

١- مراسلاته مع بعض العلماء ومنهم المغيلي ومحمد بن الحاج بن يجيش التازي الذي مدح صغراه.

٢- ما كتبه من الأجوبة على المسائل التي ترد عليه في جل الأوقات، وما كتبه من الوصايا والرسائل[٢] .

٣- ما قاله من الشعر والملالي بين أنه كان يصعب عليه الوزن في غاية الصعوبة ولا يقدر أن يعمل شيئاً من الشعر إلا بتكلف، هذا مع معرفته بعروض الشعر في غاية المعرفة.ومع ذلك تجده لا يقدر عليه في الغالب، وربما ينشد النزر اليسير منه[٣] وقد أورد الملالي بعض نماذج من شعره.

---

(١) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٨٨ .
(٢) المصدر نفسه ورقة ٢١٢/ أ
(٣) المصدر نفسه ورقة ٢١٢/أ

الفصل الخامس

منهجه التربوي

يمكن أن نقسم منهجه التربوي إلى ثلاثة أقسام أساسية

منهجه في التعلم ومواد التعليم ثم منهجه في الوعظ

١- منهجه في التعليم :-

هو منهج مستنبط من نصوص الإسلام الأساسية المتمثلة في القرآن والسنة ، ومن عصره الذي كان يعيش فيه، وهو عصر يتسم بظلم الحكام وطغيانهم من جهة وانتشار التصوف البدعي من جهة أخرى. ناهيك عن الطرق الفاسدة التي كانت تتبع في تلقين العلوم للصغار والكبار، وقد انعكس هذا على سلوك الأمة التي انغمست في معاصي الجوارح والقلوب ، فعم الجهل وبعد الناس عن الفهم الصحيح لعقيدة الإسلام كما بعدوا عن البراهين التي تؤدي إلى الإقناع بتلك العقيدة والإقتناع بها، وهذا أمر خطير خاصة في ذلك الوقت الذي تكالب فيه أعداء الأمة عليها من الداخل والخارج كما بينا في الحياة السياسية والإجتماعية والفكرية، وهذا ما جعل السنوسي يفكر في إقامة منهج للتعليم وقد اجتهدنا في استنباطه وتلخيصه فيما يأتي :-

١ – ضرورة دراسة نفسية المتعلم قبل إعطائه العلم كي نتبين الطريقة الملائمة التي نقدم له بها العلم، بحيث تكون مناسبة لمستواه العقلي، وهذا ما يقرره علم

النفس الحديث[١] الذي يأخذ مقدرة التلاميذ العقلية بعين الإعتبار، وذلك كي تكون المواد المدرسة لهم وطريقة التدريس متوافقة مع تلك القدرة[٢] فعندما يعلم المعلم أن بعض التلاميذ متفوقون على بعضهم الآخر فإنه سيبذل عناية زائدة بمن لم يتفوق منهم حتى يمكنهم من رفع مستواهم.

والسنوسي يقرر هذا انطلاقاً من حديث النبي ﷺ ((لا تحدثوا الناس ما لا تدرك عقولهم ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)) [٣][٤] .

ومن فوائد تلك الدراسة النفسية أنها تبين لنا هل هذا الذي نريد تعليمه له استعداد لذلك أم لا ؟ فإن وجدناه ذا استعداد عينيا به وإلا وجهناه إلى عمل أخر . وفي مقام المحاورة بين التلاميذ والأستاذ يرى السنوسي أن هناك نوعاً، يجادلون لأجل الجدل، هؤلاء يحرم علينا شرعاً أن نعطيهم العلم لأنهم معتنون وأخلاقهم ليست أخلاق المتعلمين فأن أعطيناهم العلم نكون قد خالفنا حديث الرسول ﷺ ((لا تؤتوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها)) [٥] وهؤلاء ليسوا أهلها فلا يعطونها[٦] .

وهذا النوع من الناس كان موجوداً في زمن السنوسي، وهو يوجد في كل مجتمع يقل فيه العمل، ويميل أهله إلى الفخر والجدل.

---

(١) حاضر عاقل علم النفس التربوي ط ٧، دار العلم للملايين- بيروت ١٩٨١ص ٣٣٣.

(٢) أحمد مختار عضاضة، التربية والتعليم التطبيقية في المدارس الابتدائية والتكميلية ط ٢ مؤسسة الشرق الأوسط للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٦٢ ص ٤٦ .

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم .

(٤) الملالي، المواهب القدسية، ورقة ٦٠/أ

(٥) رواه الدارمي بلفظ " لا تؤتو الحكمة السفهاء "

(٦) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤/أ

والسنوسي متأثر في هذا باستاذه نصر الزواوي الذي كان ينصحه بهذه النصيحة، ويبين له أصناف هؤلاء الناس.

وإذا كان لا يجوز إعطاء العلم لغير أهله، فلا يجوز إعطاؤه للحاسدين، لأنهم يغيظونك ويستفيدون.[1]

والسنوسي هنا يعبر عن وجود هذا الصنف من الناس الذين لم يكونوا في زمن السلف الصالح.والحسد من ضعف الإيمان، وضعف الإيمان ناتج عن الظروف السابقة من انتشار الخرافات.وشيوع الكرامات والمكاشفات، أما السلوك الإسلامي الصحيح المبني على قواعد الشرع المؤيد من طرف العقل، فكان الناس بعيدين عنه.

٢- اختيار الوقت التي تعطى فيه المادة العلمية وهذا من أهم ما وصل إليه علم النفسي الحديث[2] وذلك كي يكون الوقت مناسباً لصفاء أذهان الطلبة وقد حدد السنوسي هذا بدقة ((... المدرس إذا علم من جلسائه أو فهم عنهم الملل، وأنهم يسئمون من كلامه لقرائن تدل على ذلك ينبغي أن يقوم عنهم ويتركهم، ولا يعلمهم إلا في الوقت الذي يعلم منهم النشاط والحرص على ذلك))[3].

٣- هيئة المعلم: المعلم يفضل أن يجلس على كرسي ليسمع الناس أو الطلبة، بحيث يكونون جيمعاً أمام عينيه فيتمكن من إيصال العلم لهم جيمعاً،كما يتمكن من

---

(١) المصدر نفسه ورقة ١٤/أ

(٢) انظر أحمد مختار عضاضة التربية العلمية والتطبيقية ص ٤٨،٤٩ محمد غياتي وآخرين كيفية تسيير الدروس من وحي التربية وعلم النفس، د،ط وزارة التربية الوطنية . مراكش المغرب ١٩٥٧، ص ٤٨ .

(٣) المصدر المواهب القدسية ورقة ١٤/أ

مراقبتهم خاصة إن كان الطلبة كثيرين، والمنبر شرع للجميع والأعياد وإلقاء الخطب لهذا الغرض، والحقيقة أن هذه الكيفية التي اقترحها السنوسي في التعليم هي ما نشاهده اليوم في مختلف مراحل التعليم من الابتدائي إلى العالي. وإذا كان يفضل أن يجلس المعلم على كرسي ليتمكن من إيصال العلم للمتعلمين ، فإن هذا العلم يجب علينا كذلك أن يتسم بالرزانة والوقار، والتؤدة وأن يكون في هيئة حسنة كما كان الإمام مالك يلزم الجلوس على المنصة متجملاً متطيباً[١]. وقضية الهيئة هذه ينصح بها علماء التربية وعلم النفس اليوم.

٤- تربص المعلمين السنوسي كان ينقطع عن التدريس بين الفينة والأخرى أسبوعاً أو أقل أو أكثر ليخلو بربه ويناجيه في أوراده، وأن يتفكر فيما ينفعه من العلوم وما يضره فيطالع ويبحث، فما وجده صالحاً صقله وهذبه ونظمه ليصفو صفاء كلياً وما وجده غير صالح تركه وهو ينصح المعلمين بذلك لأن الذي يشتغل بالتدريس في كل أوقاته سيشغله ذلك عن اكتساب الجديد في المعارف، وهذا الجديد ضروري لكل معلم حتى يمكن أن يفيد كما أن كثرة مخالطة الناس تقسي قلب المعلم وترديه وهكذا فما نعرفه لا بد أن ننقحه ونعمقه ليصبح بعيداً عن الأخطاء، كما يجب على المعلم البحث والمطالعة ليعطي لنفسه تجديداً ثم بعد ذلك يعود المعلم للتعليم ولمدة معينة ثم يعود للخلوة للغرض السابق، ثم التعليم وهكذا[٢].

---

(١) المصدر نفسه ورقة ١٩٩/أ

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٢٤/أ

والحقيقة أن هذا ما تقوم به المدارس اليوم في مختلف مراحل تعليمها بحيث تنشئ فترات تربصية لمن يقومون بالتعليم، فتشمل الطريق البيداغوجية وتعميق المعلومات وعلى هذا الأساس فإن فكرة السنوسي هذه تعتبر مهمة بحيث يؤدي إلى ازدهار التعليم والتفكير في أحسن الطرق البيداغوجية التي تؤدي إلى الفهم أكثر ، والسنوسي يستنبط هذا من حديث البخاري الذي افرده في باب رفع العلم ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)) (١)

٥ – موقفه من الغرب : السنوسي ينتقد معملي عصره في ضربهم الصبيان وقد وقف بعضهم بسوء الخلق ، وفساد القلب ((ما أخذه الجنون من سوء خلقه و قساوة قلبه ، فيضربهم الضرب العنيف ولا يبالي في أي موقع ضرب، وربما يكون وقع بينه وبين زوجته مشاجرة، فيغضب لذلك، ويرد غضبه على الولدان الصغار والكبار، فتجده مثل المجنون أو الحرس الذي يقيم الحدود يضربهم بأي آله وجد وربما أدى ذلك إلى قتله)) (٢) .

وهذا النوع من المعلمين في نظره لا ينتفع تلاميذه بتلك القراءة، وهو خبيث، والسنوسي يقرر هنا متأثراً بموقف الغزالي من السببية أن هذا المعلم لا يفيد، لأنه يعتقد بزعمه وجهله أن الضرب هو سبب الزجر والتعليم ولولاه ما حفظ التلميذ

---

(١) رواه البخاري في باب كيف يقبض العلم وقد ذكر النبي (ص) هذا في حجة الوداع. وقد روي أحمد والطبراني من حديث أبي إمامة أن الرسول (ص) قال في بدايته (خذوا العلم قبل أن يؤخذ أو يرفع) وبهذا نفهم مقصد السنوسي من اعتماده على هذا الحديث (ابن حجر العسقلاني فتح البارو يشرح صحيح البخاري د ٢ دار أحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٢ ج ١

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٤/ ب والنص للسنوسي نقله عنه الملالي.

درساً وهذا هو اعتقاد المعتزلة الفاسد الذين ينسبون التأثير للأسباب لا إلى الله المخترع لجميع الأشياء والأسباب ((فكيف ينتفع الصبيان بذالك التأديب؟! بل الغالب على مثل هذا أنه لا يريد بذلك التأديب فيهم إلا شراً وفتنة)) [١] هذا المعلم في نظر السنوسي لا يليق به أن يكون معلماً، بل هو حرسياً شرطياً عند الحكام الظلمة لأنه لا شفقة معه ولا رحمة ترجى له ، ((وكيف يطمع في الرحمة والرسول ﷺ يقول: ((إنما يرحم الله من عبادة الرحماء))[٢]،

ويقول أيضاً ((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)) [٣] ومما يستدل به السنوسي على أن الضرب ليس طريقاً تربوياً ما فعله سحنون[٤]عندما أراد أن يدفع بابنه إلى المؤدب حيث اشترط عليه عدم الضرب، لأن الضرب في نظر السنوسي يؤثر في نقصان العقل ولو بعد الكبر ولأنه لا تأثير للضرب ولا للزجر في حفظ ولا اجتهاد ولا عقل لأن الأمر بيد الله في جلب نفع أو دفع ضر، ولذلك يجب التوكل على الله إذ منه النفع والضر وهكذا سلم سحنون ابنه إلى الله واستودعه إليه وعرف أنه لا يكون شيء إلا بإرادة الله تعالى وقدرته[٥] والحقيقة أن هذا ما يقرره علماء التربية اليوم الذين يرون أن الثواب خير من العقاب[٦]. بل

(١) المصدر نفسه ورقة ١٤٤/ب والنص للسنوسي نقله عنه الملالي

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترميذي وقال حديث حسن صحيح .

(٤) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ولد سنة ١٦٠هـ تتلمذ على ابن القاسم وأشهب وغيرهما، وانتهت إليه رئاسة العلم بالمغرب توفي سنة ٢٤٠هـ (عادل نويهض هامش وفيات ابن قنفذ ص ١٧٤).

(٥) الملالي المواهب القدسية ورقة ١١٥/أ

(٦) فاخر عاقل علم النفس التربوي ص ٤٨٤ .

صدرت قوانين تربوية تحرم الضرب بالعصاء في المدارس[١] ومنها البند ٢١ من النظام المدرسي الخاص بالمدارس الإبتدائية الذي أصدرته وزارة التربية الوطنية بالجزائر، والذي ينص على منع العقاب الجسماني ضد التلاميذ منعاً باتاً[٢]،هو يدل على عبقرية السنوسي الذي اكتشف هذا وقال بعدم الضرب المبرح قبل أن يقول له الغرب منذ خمسة قرون كاملة، وقد وصل الأمر بالسنوسي إلى اعتباره أن المؤدب السني لكي يكون سنياً لا بد له من الابتعاد عن الضرب، لأنه يعلم أن كل شيء واقع بإرادة الله تعالى وقدرته، وأنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما، كضرب وزجر وهذا يعني أن السنوسي استنبط مبدأ ه هذا من علم العقيدة متأثراً بالغزالي الذي يرى أنه لا تأثير في الحقيقة لأحد إلا الله عز وجل، وأنه هو المسبب الحقيقي لا شيء آخر غيره، وأما الإقتران بين ما يسمى سبباً وما يسمى مسبباً فليس ضرورياً، فإثبات أحدهما لا يتضمن أثبات الأخر ولا نفيه، وليس لنا من دليل على تأثير الأسباب والمسببات سوى المشاهدة((والمشاهدة تدل على الحصول عنده، ولا تدل على الحصول به وأنه لا علة سواه))[٣]

والسنوسي يردد هذا بنصه تقريباً عندما يجيز الضرب الخفيف.((فإذا رأى من الصبيان ما يستحقون عليه من الأدب ويعلم أن الضرب يفيد، تجده يضربهم

---

(١) محمد غياتي وآخرون كيفية تسيير الدروس من وحي التربية وعلم النفس ٧٦ أحمد مختار عضاضة التربية العملية التطبيقية ص ٥٨

(٢) هذا القانون هو المعمول به الآن في المدارس الإبتدائية بالقطر الجزائري (ولا نعرف متى صدر) ونحن نوافق على أن الضرب المبرح مرفوض وهو ما بينه السنوسي ولكننا لا نوافق على إلغاء الضرب مطلقاً لأنه عندما يكون غير مبرح قد يكون هو الحل، وهو ما يتوافق مع نصوص الإسلام الأساسية التي تقرره كوسيلة تربوية وهو ما بينه السنوسي بعد هذا وقد أثبت الواقع التربوي أن هناك بعض التلاميذ لا تنفع معهم الوسائل التربوية الأخرى إ ذا لم يكن هناك ضرب .

(٣) الغزالي تهافت الفلاسفة ط ٢ المطبعة الكاثوليكية بيروت ،١٩٦٢ ص ١٩٥، ١٩٧،١٩٦ .

ضرباً معتاداً على قدر ما يقع به الأدب مع قطعه بأنه لا تأثير للأدب في شيء وإنما هو سبب عادي أجرى الله سبحانه العادة بأن النفع يحصل عند وجود الأدب لا به، وقد يتخلف بأن يوجد الضرب ولا يحصل به نفع كما هو مشاهد من كثير من الصغار والكبار، بل لا يزيده التأديب إلا شر فتنة[(١)].وهكذا فالسنوسي يمنع الضرب، لأنه لا جدوى منه إذ لا يؤدي إلى التأديب، ولا يجيزه إلا في حدود خاصة، هي ما إذا رأى من الصبيان ما يستحقون عليه من الأدب ويعلم أن الضرب يفيد، فإنه يضربهم ضرباً معتاداً على قدر ما يقع به الأدب. وأما إذا ظن أنه لا يفيد حرم عله ضربهم أصلاً، لأن الضرب هنا لشفاء الغيظ، وهو حرام بإجماع[(٢)].

والنتيجة مما سبق أن العليم يقوم على الإقتناع العقلي لا على الضرب والإرهاب و السنوسي متأثر في هذا بعلم العقيدة الذي يقرر فيه أن الإيمان يجب أن يكون مبنياً على الإقتناع العقلي، ومن هذا المنطلق، فإن المعلم يجوز له أن يلقي إلى المتعلم أو التأنيب بصوت مرتفع ، وإظهار نوع من القوة أمام التلميذ الذي يعرض عما يلقى إليه عن علم، أو يشتغل بغيره، وقد يضرب ضرباً خفيفاً.

والسنوسي استنبط هذا من حديث النبي ﷺ الذي رواه البخاري، وهو أن الحارث ابن هشام ﷺ سأل رسول الله عن كيفية نزول الوحي عليه، فقال ﷺ "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفهم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة ضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد، وإن جبينه ليتفصد عرقاً.[(٣)]

(١) المواهب القدسية نفسه ورقة ١١٥/أ.

(٢) المصدر نفسه ورقة ١١٥/أ.

(٣) رواه البخاري.

وهنا نصل إلى سؤال هو :

من هو المعلم المفيد ؟ والجواب أنه الذي لا يضرب تلاميذه، ويقف عند أوامر الله ونواهيه، فهذا المعلم ينفع الله به التلاميذ، ويبارك فيمن يقرأ عليه، لأنه لا يرى النفع والضر إلا من الله، ولا يتوكل إلا عليه، وقد قال الله تعالى. "ومن يتوكل على الله فهو حسبه "[1] أما المعلم الفظ الغليظ الجاهل المجنون، فلا ينفع الله به أحداً وهكذا استطاع السنوسي أن يستنبط منهجاً عظيماً في التعليم من الإسلام ومن ظروف عصره.

٢- مواد التعليم:

السنوسي يقسم العلم إلى قسمين:

أ- **علم ضار**: وهو كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم وحسن الظن بالله وطلب الحلال وضبط الجوارح، وأداء الأمانة، ومخالفة النفس و مباينة الشهوات، وهذا هو العلم الذي استعاذ منه النبيﷺ ، فيجب البعد عنه، وأصحابه "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، ، وهم عن الأخرة هم غافلون"[2]

ب- **علم نافع**: وهو الذي يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة، ورعاية البر، ومراقبة الظاهر، والخوف من الله والإعراض عن الدنيا ومطالبها والتقلل منها ومجانبة أبواب أربابها..... والنصيحة للخلق وحسن الخلق، ومجالسة الفقراء.

---

(١) الطلاق / ٣

(٢) الروم ٧

وأصحابه يصدق عليهم " إنما يخشى الله من عباده العلماء"[١] ومنفعة هذا العلم أنه يقرب العبد من ربه ويبعده من رؤية نفسه[٢].

وليس ثم علم يورث صاحبه المعرفة " بالله والخشية منه و المراقبة له إلا علم التوحيد، فهو العلم الذي تدار على أساسه كل العلوم. وبه يفتح الله في فهم سائر العلوم، وعلى قدر معرفته به يزداد خوفه من المولى تبارك وتعالى وقربه منه. وذلك لأن علم التوحيد يبحث في ذات الله التي لا مثيل لها، وما يجب لها من الكمال والجلال، وما يجوز وما يستحيل .... فيكون علم التوحيد أشرف علم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وعلم التوحيد الذي هو علم من علوم الظاهر هو علم الباطن كذلك لأنه علم معرفة الله عز وجل، وعلم الهدى والتقوى والمشاهدات، وهذا يؤدي إلى علم اليقين الذي يزيد الإيمان والزهد[٣] وعلم التوحيد أهم العلوم لأن أهم مرض أصاب الأمة الإسلامية هو اضطراب عقيدتها بما أصابها من ويلات الطرق الصوفية المنحرفة التي جعلت الإسلام دروشة، وعلماء الدنيا الذين باعوا دينهم بها طلباً للجاه والشهرة، وويلات الحكام الذين حطموا نظام الشورى وجعلوا نظام الحكم الإسلامي ملكاً عضوضاً يعملون شتى الوسائل لإلهاء الناس عن السياسة ولا شيء يلهيهم كالدروشة، وويلات الفرق الضالة وأهل الأهواء كاليهود والنصارى وغيرهم وما هوا به من هجومات فكرية شرسة على العقيدة الإسلامية، فأدى كل هذا إلى تشويش العقيدة الإسلامية في نفوس العامة حتى أنكر بعضهم البعث، وسيطرت على الأكثرية روح التقليد في الإيمان وتعطل الأمر

(١) فاطر آيه / ٢٨
(٢) الملالي ،المواهب القدسية ورقة ٥٥/ب
(٣) المصدر نفسه ورقة ٥٢/ب ٥٧/أ

بالمعروف والنهي عن المنكر[1] وبالغ الخاصة في حب الدنيا فضاعوا وضيعوا حتى أصبح المرء لا يعرف العقلاء من كثرة الحمقى، ناهيك عن الكتب الفلسفية التي قرأها هؤلاء دون فهم، فزادتهم عمى على عمى فأصبح علم التوحيد مهجوراً يخوض فيه من لا يعرفه.[2] وإذا كانت العقيدة في الإسلام هي جوهره، فإن المحافظة عليها تؤدي إلى المحافظة عليه وهذا ما جعل السنوسي يهتم بها كل هذا الإهتمام ويتعبرها المنطلق الذي ينطلق منه في كل شيء وعليها تدار جميع العلوم والتي يجب أن تكون خادمة لها وإذا كان للعقيدة كل هذه الأهمية فيكف ندرسها ونوصلها إلى أذهان المسلمين؟:-

١- لا بد من إتباع الطرق التربوية التي ذكرناها من قبل كدراسة نفسية المتعلم، واختيار الوقت الذي يناسب المادة والهيئة الحسنة للمعلم وغير ذلك .

٢- تدرس العقيدة في مختصرات مضبوطة، دقيقة التعبير، قليلة الكلام سلسلة الألفاظ ، تبين للناس فيها أهم مسائل التوحيد مستخدمين براهين دقيقة فيحفظها الإنسان أو يدرسها عدة مرات فتنظف ذهنه مما أصابه من خرافات، وتصبح عقيدة الإسلام واضحة في ذهنه مقتنعاً بها فترسخ الأفكار الأساسية وبراهينها في ذهنه وهذا ما يجعل مختصراته تخالف مختصرات عصره المعقدة. وبعد أن يتقن الطالب أو الإنسان العامي فهم تلك المختصرات المبرهنة نرتقي به إلى شرح لتلك الأفكار يكون موسعاً حسب ما يحتمله عقله، وفي هذا الشرح نناقش المعارضين والملاحدة والزنادقة فنبطل آراءهم، ونخلص العقيدة الإسلامية مما أصابها من دروشة ولا مبالاة. لأننا نجعل علم التوحيد

(١) المغيلي مصباح الأرواح في أصول الفلاح ص ٧١(رسالة السنوسي إلى المغيلي)

(٢) جمال الدين بوقلي حسن الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ٩٤

عملياً لا نظرياً فقط، بحيث نربط الجانب النظري بالعملي، وهذا هو السر – في نظرنا– الذي جعل السنوسي يؤلف الكبرى والوسطى والصغرى وغيرها ثم يشرحها كلها.

ولا يجوز أن نعتقد بأن غايته من الشرح هي توضيح أفكار المتن فقط، إن الشرح عنده يعني التوضيح والإثراء والإتيان بأفكار جديدة، وتوسيع آفاق المسلم بحيث لا يبقى ذهنه محصوراً في وريقات المتن مما يكسب المتعلم علماً كثيراً بحيث يطلع بعد أن يحكم عقيدته على جزء من فلسفات اليونان وأباطيل النصارى واليهود، وتحريف المتصوفة المشعوذين، كما أنه دعوة للمسلم إلى عدم التقيد بحفظ الملخصات التي كانت طاغية دون مناقشة، وذلك لأن ملخصات السنوسي في العقيدة تختلف عن غيرها من الملخصات التي كانت طاغية دون مناقشة، وذلك لأن ملخصات السنوسي في العقيدة تختلف عن غيرها من الملخصات كما قلنا باحتوائها على براهين قوية تكفي صاحبها لتكوين عقيدة صحيحة . وشروحه دعوة للمسلم إلى استخدام عقله، وإلى الإستنتاج والتحليل والتعليل وعدم الجمود الذي تسبب فيه المتصوفة وغيرهم، وهذا إيماناً من السنوسي بأن أي تقدم للمسلم لا يتم انطلاقا من عقيدته مما جعل المسلمين يحتضنون إنتاجه إلى الآن .وهكذا فقد امتاز السنوسي عن غيره من العلماء بكثرة التأليفات في العقيدة وشرحها بحيث تناسب أفكاره جميع المستويات، مما جعل الناس يتقبلونها ويعتنون بها شرقاً وغرباً باختلاف مستوياتهم وهو ما يميزه عن غيره، فالجويني مثلاً تعد كتبه من أعظم الكتب في العقيدة ، ولكنها صعبة متعمقة تخاطب الخاصة دون غيرهم. أما السنوسي فإن متونه سهلة مبرهنة، ثم شروحها متعمقة، وهذه ميزه خاصة به أدت إلى ارتفاع المستوى العقلي وتحرره.

فالعقل المسلم إذن يجب أن يتحرر من الجمود والضياع الفكري، لا يقوم بهذه المهمة سوى علم التوحيد ومن العلوم التي تساعد هذا العلم، علم المنطق، وهنا ندرك أهمية علم النطق في منهج السنوسي، يمكننا أن نرتب العلوم في الدراسة عنده كما يأتي :-

١. علم التوحيد: فلا بد أن نلقن المسلم المسائل الأساسية فيه مبرهناً عليها ببراهين دقيقة .

٢. علم المنطق، وذلك لأنه آله العقل، والسنوسي لا يقصد جميع أبواب المنطق، بل يقتصر على أربعة أبواب فقط هي التعريفات ومبادئها والحجج ومبادئها، ففيهم هذه المطالب الأربعة ويعرض عن غيرها.[1]

" وليشتغل بعد أن يحكم آلة العقل بالعلوم الشرعية استفادة وإفادة ، علماً وعملاً بنية خالصة للدار الآخرة، والفوز برضوان المولى تبارك وتعالى"[2] ويجب أن نبين بأنه ليس كل كتاب منطقي صالح لأن نأخذ منه هذه المبادئ الأربعة، وإنما نأخذها من كتابه الذي نظفه من ميتافيزيقا اليونان أو من كتب المسلمين الآخرين الذين أتت كتبهم خالية من ميتافيزيقا اليونان كمختصر ابن عرفة وجمل الخونجي ومع هذه الحيطة فإن تعلم المنطق ليس عاما لكل أحد، بل صاحب الطبع الذكي في غنى عن تعلم قواعده لأن معناه مرتسم في ذهنه.

لكن عصر السنوسي عصر الخرافات كما بينا، ولا بد من دراسة المنطق لنرتقي العقل إلى مستوى أعلى ونستخدم قواعده كمنهج، وهنا يكون المنطق خادماً لعلم العقيدة.

---

(١) وسنبين لماذا اقتصر السنوسي على هذه المبادئ الأربعة فقط في دراستنا لشرحه لمختصره المنطق .

(٢) السنوسي، شرحه لمختصره في المنطق مخ المكتبة الوطنية الجزائر رقم ١٣٨٢، ورقة ٢٢٧/ ب.

٣- العلوم الأخرى المختلفة وهذا بعد إحكام آله العقل. وعلم التوحيد يجب أن، يتم تلقين مبادئه الأساسية قبل جمع العلوم، لأنه لا بد من ترسيخ عقيدة صحيحة في ذهن المتعلم، ولأنه هو الأصل، وجميع العلوم خادمة له.وهذا ما يجعلنا نلاحظ هذا العلم في كل مؤلفات السنوسي كالمنطق والتفسير والحديث وغيرها من العلوم، والسنوسي لم يشر إلى العلوم الأخرى مكتفياً بعلم العقيدة والمنطق وهذا يدل على أنه يهتم أكثر بالعوم العقلية.

٣- منهجه في الوعظ : -

يقول الملالي عن مواعظه " كان يقرع الأسماع بمواعظ تقشعر منها الجلود، وتلين لها القلوب، كل من حضر مجلسه يقول:- هو معي يتكلم، وإياي يخاطب، كانت جل مواعظه في الخوف والمراقبة وذكر الموت، وأهوال الآخرة من الحشر والنشر والصراط والميزان والوقوف بين يدي المولى تبارك وتعالى، وذكر النار وصفاتها وما أعد الله لأهلها من السلاسل والأغلال، والزبانية الغلاظ الشداد، ومقاطع الحديد، وثياب القطران، ومقطعات النيران....

وكان يتكلم من صميم قلبه الذي امتلأ بتعظيم جلال الله تعالى وتعظيم أوامره ونواهيه، والصدق في العمل بمقتضاها، صار يؤثر في قلب كل من سمعه بخلاف مواعظ غيره من الناس"[1] فإذا أمرك بامتثال أوامر الله ونهاك عن اقتحام نواهيه، تجد لأمره ونهيه حلاوة قلبك لا تجدها في أحد من أهل زمانه من الواعظين...... لجلوس بعض الناس بين يديه والشيخ يقبل عليه بحسن كلامه، ولذيذ خطابه ورفق أوامره ونهيه، ولاسيما إن لم يكن معهما أحد، أحسن وألذ

(١) الملالي، المواهب القدسية ورقة ٧٦/أ

وأشهى عنده من الدنيا بأجمعها، فكلما أقبل الشيخ عليه بلذيذ الخطاب ازداد محبة فيه وتعظيماً لجانبه"[١] ويمكن أن نلخص منهجه في الوعظ بما يأتي: -

١. مراعاة القدرة العقلية للناس وطاقاتهم الاستيعابية فلا يتجاوزها كما بينا في منهجه في التعليم. وهذه مهمة جداً، لأن الكلام الذي يقال للعامي ليس هو الذي يقال للمتعلم والمتعلمون أنواع، فيوعظ كل طرف وفقاً لقدرته العقلية.

٢. مراعاة أحوال الناس وظروفهم: فيقدم لكل إنسان من المواعظ ما يعالج ما بنفسه، فالحريص على حب الدنيا يوعظ بالتزهيد فيها، وهو قوله ﷺ " الدنيا جيفة قذرة"[٢] ويقال له سيموت الإنسان ويترك كل شيء وراءه، فكيف يغتر الإنسان بشيء عارض يزول عما قريب، ويتعلق قلبه بهذا الشيء الخسيس ويترك التعلق بالشيء النفيس[٣]..... إلخ والمتكبر على الخلق يوعظ بالنظر إلى أصله، وهو كونه نطفة قذرة خسيسة، وإلى ما يؤول إليه أمره من الموت، وكيف ترجع ذاته التي كانت تتنعم في الدنيا، وطال ما أكلت وشربت فصارت بعد الموت أقبح من قبيح، مملؤة دوداً وتراباً.

والمتعبد يوعظ بعدم اتكاله على عبادته، ويحذر من الإغترار بها كأن تجعله يشعر بأفضليته على غيره أو يظهرها للناس اغترارا، وبأن لا يجوز له أن يعتبر نفسه أحسن من العباد إلا إذا توفرت فيه شروط ثلاثة :-

١. أن يكون هم الخادم حقيقة، أي هو الفاعل والمخترع لها.

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٧٦ / ب .

(٢) قال الصنعاني موضوع وقال صاحب كشف الخفا أقول : وأن كان معناه صحيحاً لكنه ليس بحديث. والملالي أورده على أنه حديث .

(٣) الملالي المواهب القدسية ورقة ٧٩/أ .

٢. أن يوصل لمخدومة نفعاً من خدمته.

٣. أن يكون حراً لا مملوكاً .

ولا يوجد أي إنسان تتوفر فيه هذه الشروط، لأن الله هو الخالق لكل شيء، وهو الغني عن أي شيء، وكلنا عبيد له عز وجل، فإذا عرف هذا المتعبد نفسه عرف ربه.[١]

٤. استخدام القصص واستنباط المواعظ منه ومن ذلك قصة العالم الذي تحاور مع أحد الملوك وأخبره أن زهد الملوك أكبر من زهد العلماء، لأن العلماء يزهدون في الدنيا والملوك يزهدون في الآخرة، والسنوسي يستنبط من هذه القصة أن هذا العالم (الْمَولِّي) وعظ الملك بأن نسب إليه الحمق والسفه على وجه لا عتاب فيه ولا غلظ عبارة، لأن الملك زهد في الآخرة وهي دائمة وهذا حمق وسفه.

٥. أن يقوم الوعظ على اللطافه في التعبير ، والرفق بالخلق، وهو ما يتوافق مع منهج القرآن الكريم الذي يقرر " فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك"[٢].

٦. ستر الموعظين وعدم كشفهم وهو ما يتوافق مع منهج النبوة. لأن رسول

الله ﷺ لم يكن يفضح الخلق، وكان يقول :- " ما بال رجال" ، ولم يقل ما بال فلان، أو ما بالك يا فلان.

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٨٠/ أ/ب

(٢) آل عمران / ١٥٩.

٧. التركيز على تربية النفس وتوبيخها وتهذيبها وهو يتبنى منهج الغزالي في توبيخ النفس ومعاتبتها.[١]

٨. السماع لكل الأسئلة التي تطرح من طرف العوام حتى ولو كانت تافهة ثم الجواب عليها[٢]. والملالي يلخص لنا أسلوب أستاذه في الوعظ بأنه " كان يسوق الناس إلى الله بسياسة ولطافة ولين، ويعبر بعبارة سهلة يفهمها الخاص والعام، ولا يتقعر في كلامه ويتشدق كما يفعله أهل الرياء والسمعة والأشجاع، بل تجده يتكلم بكلام سهل لين، ولا يواجه أحد بسوء ويعنيه بالخصوص بل يعظ الناس على الجملة، فيسمع كل واحد من أهل مجلسه دواء علته ويعرفها، ويعرف أنه ليس بشيء،ويستحقر نفسه ولا يرى لها قيمة بوجه من الوجوه، حتى يقول كل واحد ممن في مجلس الشيخ، معي يتكلم، وإياي هو يخاطب، وكل يعظه بما يليق به.[٣]

٤- موقفه من العلماء المعارضين لمنهجه في الوعظ:-

السنوسي يرى بأن هناك نوعاً من أصحاب العلم اللساني نجدهم في وعظهم يعبرون بعبارات غليظة، مظهرين صولة وقهراً على الناس، إذا أمروهم أمروهم بعنف، وإذا نهوهم نهوهم بعنف، بل ربما يفضحون بعض الناس في محفل من الناس، مظهرين الشماتة بهم ، هؤلاء في نظره هم علماء السوء أعداء الله وجدير

---

(١) أنظر الغزالي أحياء علوم الدين ط ١ دار الفكر بيروت، ١٩٧٥، م ٦ ج ١٥ ص ٤٥ وما بعدها. الملالي، المواهب القدسية ورقة ١٠٤/ب .

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٢٤/ أ

(٣) المصدر نفسه ورقة ٨٠/أ التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٣٢٦، ابن مريم البستان، ص ٢٤٠، أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ص ١٨٢.

أن تكسر أفواههم بالحجارة لكثرة جفائهم وغلظ عباراتهم وإظهار الشماتة بإخوانهم[1].

وهو يعبر هنا عن الوضعية المزرية التي آل إليها أمر المسلمين، ولا عجب إذا فسدت العامة بعد فساد العلماء، وهذا ما جعله يبذل كل ما يستطيع من جهد لإرجاع الناس إلى حضيرة النبوة، وهذا ما رأيناه في منهجه في الوعظ.

وهنا نتوصل إلى سؤال نعتبره نتيجة لمنهجه التربوي وهو

كيف نغير المجتمع؟

والجواب أننا نغيره بالتربية، وتربيته تتم بما يأتي:-

١- التعليم: وذلك بأن تتبع فيه الطرق السابقة وترتيب المواد الذي ذكرناه، فنقضي على الجهل وتنظيف العقول فترسخ العقيدة الصحية في النفوس.

٢- الوعظ والإرشاد: وذلك بإتباع الطرق السليمة فيه وهي التي كان الرسولﷺ يتبعها .

٣- تطهير ذهنيات الناس من خرافات الأدعياء من المتصوفة، وتربية النفوس بالتصوف السني، ونتيجة لأهمية التصوف، ولكثرة ما وجه للسنوسي من اتهامات حتى اعتبره البعض درويشاً فقد أفردنا للتصوف عند السنوسي فصلاً خاصاً به حتى تظهر من خلاله حقيقة السنوسي ثم نحكم له أو عليه.

والخلاصة أننا بإتباع الطرق السابقة السليمة نستطيع أن نطهر ذهنيات الناس مما أصابها من خرافات وانحرافات، فيرجع الناس إلى ربهم.

---

(١) اللآلي المواهب القدسية ورقة ٨٠/أ.

وإذا تطهرت أذهانهم تطهر سلوكهم، لأن تصحيح العقيدة سيؤدي حتماً إلى تصحيح السلوك، وتصحيح السلوك سيؤدي إلى تكوين المجتمع الذي بعث الله الرسل لتكوينه، وبذلك يحقق الإنسان سعادته فيسعد ويسعد المجتمع معه.

الفصل السادس

السنوسي والتصوف

مقدمة عن التصوف:

لا نريد أن نحدد المعنى اللغوي للتصوف، ولا بحثه من جميع الجوانب، لأن هذا يجب أن يفرد له بحث خاص به . ونحن لا نبحث منه إلا ما له علاقة بالسنوسي حتى يتسنى لنا فهم شخصيته أكثر .

ويجب أن نشير إلى أن هناك اتجاهين أساسيين في التصوف، أحدهما ينحو نحو وحدة الوجود وهو تصوف فلسفي يجعل صاحبه ينقطع عن الحياة العملية[1] . وثانيهما تربوي، يقوم على تربية النفس وتهذيبها وتقوية صلتها بربها، ويمثله الغزالي وابن عطاء الله وغيرهما وقد تفرع عن كل منهما اتجاهات .

والذي يهمنا، هو الإتجاه الذي يمثله الغزالي وابن عطاء الله وهو التصوف السني، وقد ساد في عصر السنوسي، لكن ليس بكيفيته السنية، بل أصبح عبارة عن شطحات ورقصات وبخور وتمائم، وكرامات و مزامير وقد سيطر على عقول العامة والخاصة كما بينا في الحياة الإجتماعية في الفصل الأول من الباب الأول.

وحل مصطلح الولي محل مصطلح النبي فكثرت الطرق الصوفية الضالة في وسط مجتمع جاهل يصدق كل ناعقة إلى أن أصبح الناس لا يتكلمون إلا بكرامات الأولياء.

---

(١) عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف ص ٥٥ .

وكتاب البستان لابن مريم مشحون بتلك الكرامات، وهو تعبير صادق عما ساد في ذلك العصر حتى أصبحت الكرامة هي الأصل وعدمها استثنائي، وقد أثر ذلك في عقائد الناس فأصبح الإسلام عندهم محصوراً في الكرامات و المكاشفات، وأضحى كثير من المتصوفة يشرعون للناس طرقاً للعبادة ما أنزل الله بها من سلطان.

ونحن لو قبلنا بوجود الكرامة، فلا يمكن أن نصدق وجودها بتلك الكثرة، إذ ما نسب إلى الإولياء من كرامات أكثر مما نسب إلى الأنبياء من معجزات، وهي كرامات غريبة، إذ كيف يصدق العقل أن إنساناً يدخل مسجد تلمسان يوم الجمعة، ويبقى فيه إلى أن يدخل الإمام ليخطب الجمعة فيغادر المسجد دون أن يشعر به أحد ليصلي الجمعة في مكان آخر قد يكون بيت المقدس.(1) ونحن نعلم أن الظهر في بيت المقدس يسبق الظهر هنا بسبب دوران الأرض حول نفسها !؟ وكيف نصدق أن إنساناً يصلى الفجر في بغداد ثم يذهب إلى مكة فيجدهم لم يصلوا فيعيد الفجر معهم، ثم يصلى الظهر في مكة ويذهب إلى بيت المقدس في وقت الظهر، ثم يأتي إلى تلمسان ليأخذ فتوى هل يعيد صلاة الظهر في بيت المقدس أم لا.(2) ؟

وكيف نصدق أن إنساناً – عندما تحدث مجاعة- يذهب إلى المسجد وينام فيه لمدة قد تكون شهوراً ولا يفيق من نومه إلا بعد انتهاء المجاعة؟ وكيف ينسى المسلمون المساجد بسبب المجاعة فلا يصلون فيها.(3) وكيف نصدق أنهم يذهبون من تلمسان إلى الأندلس للجهاد ويعودون مجروحين من الحرب، لو كان هذا صحيحاً لماذا جرحوا ولماذا لم ينتصروا – هذا لم يقع للصحابة فكيف يقع لهم ؟!

(١) ابن مريم البستان ص ٣٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٣
(٣) المصدر نفسه ص ٣٢ .

وكيف نصدق أن ما كان معجزةً لنبي تصبح كرامة لولي؟، ألا يمكن إذا صدقنا بهذا أن يأتينا مدّعي للولاية قائلاً: نزل عليّ قرءان كالذي نزل على محمد(ﷺ)

إننا لو صدقنا بوقوع كل تلك الكرامات لأصبح المجتمع الإنساني مجتمع غير بشري، بل من جنس آخر، ويسير بكيفية أخرى ولتعطلت كل القوانين الطبيعية التي خلقها الله لتنظيم المجتمع، ولأصبح الإسلام كهنوتاً يتحكم فيه شيوخ طرق يشرعون للناس ما يعجبهم .

هذا المجتمع الذي استخوذ عليه ما سبق هو مجتمع السنوسي، وقد كان أهلاً بسبب هذا الإنحطاط العقلي والديني أن ينال منه أعداؤه، وقد نالوا فأخذ النصارى الأندلس وغيرها من أراضي المسلمين. والسنوسي وجد في المجتمع هذا الذي ساد فيه هذا النوع من التصوف الذي طغى على عقول الناس، ترى هل يستطيع أن يخرج من قيد هذا المجتمع الفكري ويعطي التصوف مفهوماً صحيحاً يتوافق مع الإسلام، أم ينحرف كما انحرف غيره فينغمس في الكرامات ويقضي على العقل بالقول بالذوق بدله، ويزيد المجتمع من حقن التخدير.؟!

لكي نجيب على هذه الإشكالية يتحتم علينا أن ننظر:

هل أخذ طريقة صوفية من غيره؟. وإذا أخذها هل تمسك بها أم خالفها؟.

وبعد ذلك نبين كيف يجب أن يكون التصوف في نظره لنجيب على السؤال الذي طرحناه وهو:

هل يستطيع أن يخرج من قيد مجتمعه الفكري ويعطي التصوف مفهوماً صحيحاً .

المبحث الأول: مسايرة السنوسي لعصره في أخذ الطريقة:

- **أخذه الطريقة وكيفيتها:**

الجواب على سؤال هل أخذ طريقة يكون بنعم، وقد أعطاها له أستاذه إبراهيم التازي، بوهران عندما قدم إليه مع أخيه علي التالوتي من الجزائر العاصمة بعد تلمذتهما على الشيخ الثعالبي، وقد تم إعطاؤه الطريقة بهذه الكيفية.

١- إلباسه الخرقة (الشريفة) : وقد حدثه عن شيخه الذي ألبسها له بالحرم الشريف وأخبره بسند اللبس من شيخ لشيخ إلى علي بن أبي طالب ﷺ الذي ألبسه إياها النبي ﷺ.[١]

٢- الضيافة على التمر والماء وذلك أن الشيخ التازي أضافه تمراً وماء وأخبره بسند الضيافة على التمر والماء، من شيخه إلى النبي ﷺ، وكلها على تمر وماء.[٢]

٣- المصافحة وقد صافح إبراهيم التازي السنوسي وشد على يده، و قال له: المراد بهذا الشد الإشتداد في تأكيد الصحبة ، وقد أخره بسند المصافحة، وبهذه الكيفية إلى النبي ﷺ [٣].

٤- المشابكة: وشابكه قائلاً له " شابكني ، فمن شابكني دخل الجنة "[٤] وقد ذكر الملالي سند هذه المشابكه حتى وصل إلى الشيخ أبي الحسن علي الباغوزاوي

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ٢٦ / أ

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٦/ب .

(٣) المصدر نفسه ورقة ٢٧/أ

(٤) المصدر نفسه ورقة ٢٧/أ

الذي قال : رأيت رسول الله ﷺ في النوم فشبك أصابعه بأصابعي وقال يا علي شابكني فمن شابكني دخل الجنة ومن شابك منا شابكني دخل الجنة، وما زال يعد متى وصل إلى سبعة ثم استيقظت وأصابعي في أصابع رسول الله كما قال سيدنا رسول الله للباغوزاوي حين شابكه[١].

٥- السبحة فأمره بالسبحة وبين له أنها من صفات الشيوخ الأولياء، وقد أورد لمريده السنوسي سند الذين رؤيت في أيديهم وأقروا بأهميتها، منه إلى الحسن البصري[٢] الذي قال عندما سئل عنها هذا شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات، إنما أحب أن أذكر الله بقلبي ويدي ولساني " ويستنتج الشيخ التازي من هذا أن السبحة كانت موجودة في عهد الصحابة رضي الله عنهم لأن بداية الحسن البصري كانت في عهدهم.[٣]

٦- **تلقين الذكر** : وقد لقنه الذكر، وبين له سند ذلك إلى النبي ﷺ وأوصاه بتقوى الله العظيم، ولزوم طاعته، وأن يعرف حق الخرقة الشريفة وينزهها عن الإمتهان وأن يواظب على ذكر الله تعالى في كل حين، وأفضل ذكر الله هو " لا إله إلا الله " فتجلى على القلب ما غشاه من الران، وأوصاه باحترام المشايخ وخدمة الإخوان والتواضع للفقراء والرأفة بالمؤمنين، والشفقة على خلق الله أجمعين، وأن يذكر صبيحة كل يوم سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، استغفر الله مائة مرة ، ولا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة، وقال له فان ذلك غناء فقرنا، وتيسير أمرنا، وأن يقرأ كل يوم وكل ليلة أبع

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٧ /أ، ب .

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن يسار تربى في كنف علي بن أبي طالب كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه توفى سنة١١٠هـ ٧٢٨م (الزركلي ، الأعلام ج ٢ ،ص ٢٤٢)

(٣) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ٢٧/ ب، ٢٨ / أ

سور من القرآن الكريم : هي سورة إقرأ والقدر والزلزلة وقريش ، فإن قراءة هذا السور تدفع شر الظاهر والباطن.وقد جرب ذلك ونص عليه في فتح الغيب الشيخ عبد القادر(١) وقال له شيخه إقطع اليأس مما في أيدي الناس تعش عزيزاً والله سبحانه ولي ووليكم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.(٢)

٧- تلقين حديث الرحمة(٣) وذلك أن الشيخ التازي لقن السنوسي أول حديث من أحاديث الرسولﷺ ، قرأه بلفظه عليه، ثم أعاد السنوسي قراءته على شيخه، وحدثه بسند هذه العملية من الشيخ التازى إلى الرسولﷺ شيخاً عن شيخ، ونص الحديث " الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.(٤)

- **تقييمها:**

هذه الأمور السبعة هي التي جعلت السنوسي متصوفاً منتمياً إلى الشيخ التازي.

وقبل أن نقيم هذه الأمور السبعة يجب أن نبين بأن الشيخ التازي الذي ساهم في حركة التصوف بلسانه وقلمه وزاويته.(٥) كان تصوفه سلبيا، ويظهر هذا جلياً في قصيدتهاالنمراديّة ومطلعها :

---

(١) ترجمة الشيخ عبد القادر صاحب فتح الغيب ص ٩١ .

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ٢٨ / أ، ب.

(٣) يذكر الكتاني أن السنوسي له ثبت صغير ذكر فيه هذه الأمور (الكتاني فهرس الفهاري ج ٢ ص ٣٤٣)

(٤) رواه الترميذي وقال حديث حسن صحيح

(٥) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج١ ص ٩٢.

مـرادي مـن المـولى وغايـة آمـالي *** دوام الرضـا عـن ذوي الخلـق العـال

وتنـوير قلـبي بانسـلال سـخيمة *** بـه أخلـدتني والعفـو عـن سـوء أعمـالي

وإسـقاط تـدبير وحـولي وقـوّتي *** وصـدقي في الأحـوال والفعـل والقـال

إنه يطلب من الله أن يسقط عنه التدبير والتكليف والمسؤولية، إنه لا يهمه أي شيء في المجتمع،ولا يشعر بما تعاني أمته[1] من محن وما يحيط بها من مكروه، وما يدبر لها من مكائد. إنه لا تهمه إلا نفسه، فينزوي بها ويبتعد عن المجتمع، وقد ساد هذا المبدأ عند كثير من متصوفة ذلك الزمن وهو فهم خاطئ للإسلام لأن الإسلام لا يتحقق بالعبادات وحدها كالصلاة والصيام والتهجد والذكر، إن هذه الأمور الضرورية، ولكن أين المعاملات؟ وأين السياسية الإسلامية؟ وأين تغير المجتمع؟! إن رسول الله ﷺ كان يتعبد في غار حراء.ولكن عندما نزل عليه الوحي ذهب إلى مكة، وانخرط في المجتمع وبدأ يعمل على تغييره، فالإنزواء إذن قضية خطيرة تمثل في نظرنا بعداً عن الإسلام، لأن مهمة العالم أن يربي الأمة لا أن يفر منها.

و نحن لا نتهم الشيخ التازي ببعده عن الكتاب والسنة، ولكنه كان بعيداً – في اعتقادنا– عن الفهم الشمولي للإسلام، وربما هذا ما جعل من السنوسي لا يشرح قصيدته " المرادية " مع أنه شرح قصائد غيرها في التصوف كما هو مبين في مؤلفاته.

وإذا كان الإنعزال عن المجتمع فيه بعد عن الإسلام، فهل الطريقة التي أخذ السنوسي بها المشيخه شرعيه أم فيها بعد عن الإسلام كذلك؟

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

لكي نجيب على هذا لا بد أن نقيم كـل الأمـور السـبعة السـابقة الـتي أخـذ السنوسي بها الطريقة وهي كما يأتي :-

١- بالنسبة للبس الخرقة فإن سـندها إلى الـنبي ﷺ غـير صـحيح ولا أصـل لهـا في الشرع ولا يخضع سندها لمقاييس علم مصـطلح الحـديث، ولم نجـد في حـديث صحيح لبس الخرقة للنبي ولا لبسها أحد من الصحابة.

وهنا يجب أن ننبه إلى قضـية مهمـة ، وهـي أن المتصـوفة في هـذا متـأثرون بالشيعة، ذلك أن أهل التصوف يقولـون بوجـود القطـب أو الغـوث، ومعنـاه رأس العارفين[١] ولا يمكن أن يسـاويه أحـد في المعرفـة حتـى يمـوت، فيـورث مقامه لآخر من أهل العرفان، لأن جناب الحق جل أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد، وهذا ما يقوله الشيعة في أئمـتهم الاثـني عشر[٢].

وقد قال المتصوفة بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء.

والمتصوفة لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخليهم كما يقول ابن خلدون[٣]

رفعوه إلى علي بن أبي طالب ﷺ، والملالي زاد القضية توضيحاً بذكره سـند لبس الخرقة، فبين أن على الرضي (المتوفى سنة ٢٠٢هـ) لبسها من يد موسى

(١) ابن خلدون، المقدمة د ط دار العودة ، بيروت د ت ، ص ٣٧٥ .

(٢) هذه فرقة من فرق الشيعة ، وهم مسلمون بإتفاق علماء أهل السنة، ويعتبرون مع الزيدية من أعدل فرق الشيعة .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ص ٣٧٥ .

الكاظم، وموسى الكاظم (المتوفى سنة ١٨٣هـ) لبسها من يد جعفر الصادق، وجعفر الصادق (المتوفى ١٤٨هـ) لبسها من يد محمد الباقر، ومحمد الباقر (المتوفى سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م) لبسها من يد علي زين العابدين، وزين العابدين (المتوفى سنة ٩٤هـ) لبسها من يد الحسين، والحسين ﷺ (المتوفي سنة ٦١هـ) لبسها من يد أبيه الإمام علي ﷺ، ومن جده المصطفي ﷺ .

وهؤلاء السبعة هم السبعة الأوائل من أئمة الشيعة النقباء، ومعنى هذا أنهم لا يرجعون لبس الخرقة إلى الإمام علي ﷺ فقط، بل إلى الأئمة الشيعة، ولذلك فإن اسنادهم لبس الخرقة للإمام علي هو من تأثرهم الشديد بالشعية " و إلا فإن علياً ﷺ لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة لباس ولا حال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة، ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص، بل كان الصحابة رضي الله عنهم كلهم أسوة في الدين والزهد

والمجاهدة.[1] وحتى لو فرضنا أن علياً ألبس الخرقة، فإن أبا بكر كان أحسن الصحابة، وقد وردت أحاديث صحيحة في ذلك.

فكان على المتوصوفة أن يرجعوا إليه أولي، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن لبس الخرقة من خرافاتهم وهي من البدع المستحدثة التي يجب تركها.

٢ – وأما الضيافة على التمر والماء فلم ترد في حديث صحيح كذلك، والذي ورد أن الرسول ﷺ كان يمكث مدة طويلة على التمر والماء، وذلك بسبب الضيق الإقتصادي لا غير كما ورد في صحيح البخاري.

---

(١) الملالي ،المواهب القدسية ورقة٢٦/أ .

٣-أما المصافحة فقد حث عليها النبيﷺ " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا"[١]. ولكن ليس المقصود بها إعطاء الطريقة، وإنما هي عامة لجميع المسلمين، وهي سنة من سنن الإسلام ، و المراد بها تلطيف القلوب وإزالة الأحقاد وتكوين الألفة والمحبة والإنسجام بين المسلمين

٣. وأما المشابكة فهي من أغرب ما أدخل على الإسلام، ذلك أن الرسولﷺ كمل عليه نزول الإسلام قبل أن يموت " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا"[٢] ولا تشريع في رؤيا لغير النبي وإلا أصبح الإسلام دروشة ولم يعد محفوظاً من عند الله الذي يقول ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٣] وأن الرسول لم يتم الرسالة ، هذا خطر كبير فالمشابكة إذن من البدع السيئة الموجودة عند هؤلاء القوم.

٤. أما السبحة فإن سندها كذلك غير صحيح، ولكن استعمالها لا شيء فيه، والسنوسي كان يستعملها حتى سقطت من يده أثناء وفاته، ولكن اشتراطها بدعة غير مستحسنة.

٥. وأما الذكر الذي ورد فبعضه شرعي بينه الرسول ﷺ و البعض الآخر لا شيء فيه.

٦. وأما تلقين حديث الرحمة فلم يثبت أن أول حديث لقنه الرسول ﷺ لإنسان أو للصحابة هو حديث الرحمة، بل الثابت أن أول ما بدأ الرسول يدعو إليه هو التوحيد ونبذ عبادة غير الله . فالقول بسند تلقين هذا الحديث إلى النبي ﷺ كأول

---

(١) رواه أبو داودو الترمذي.

(٢) المائدة / ٣.

(٣) الحجر / ٩ .

حديث لقن، كذب و بهتان والسؤال الذي نطرحه هو كيف رضي السنوسي بهذا ؟ . وهل تمسك بهذه الطريقة ؟.

نحن لا نعتقد أن السنوسي كان يجهل مالقنه إياه الشيخ التازي، ولكن أخذ الطريقة كان بمثابة شهادة علياً تجعل الناس يعترفون بعلم الشخص ويقدرونه، والسنوسي – على ما يبدو لنا– كان يهدف إلى كسب ثقة الجماهير حتى يتسنى له بعد ذلك أن يؤثر فيهم وتصبح له كلمة مسموعة يستطيع بها تنظيف عقول الناس مما أصابهم .

وقد وصل إلى هذه الدرجة فعلاً بحيث أصبح الناس يثقون فيه ثقة كبيرة ربما جعلهم يستأمنونه على ودائعهم النفيسة.(١) كما يظهر لنا ذلك جلياً في ازدحام الناس على جنازته حتى قال بعض من حضرها " حضرت جنائز العلماء والصالحين مثل الشيخ سيدي الحسن أبركان وغيره، فما رأيت جنازة أعظم من جنازة الشيخ ﷺ لما فيها من كثرة الخلق وازدحام الناس على نعشه، وإقبال القلوب عليه.(٢)

وهناك إحتمال آخر، وهو أن السنوسي مع معرفته بطريقة القوم إلا أنه كان ينقصه النضج العقلي، إذ كان سنه أقل من الثلاثين سنة، وهذا من تاريخ وفاة الشيخ التازي سنة٨٦٦هـ على اعتبار أن ولادة السنوسي كانت بين سنتي ٨٣٧هـ و ٨٣٨هـ كما بينا من قبل.

وعندما نضع فكرة تخلي عن هذا الطريقة تماماً.

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١١٩/ ب.

(٢) المصدر نفسه ورقة ٣٨/ ب.

و الدليل على عدم التزامه بها أنه لم يثبت حضوره لحلقات ذكر الإخوان، ولم يلبس الخرقة كما سنبين، ولم يلقن الطريقة لأحد مع أن شيخه بين له سند الطريقة إلى النبي ﷺ

ولو أعطى الطريقة لأحد لأعطاها لتلميذه الملالي المخلص الذي لازمه طول حياته، ولو أعطاها له لذكرها الملالي، إذ يستحيل أن يخفي حدثاً كهذا وفي ذلك العصر.

وهكذا لم يتبع السنوسي منهج شيخه في الإنزواء والبعد عن الحياة الإجتماعية وقد درسنا حياته من المواهب القدسية، فما وجدنا شيئا يدل على هذا رغم أن تلميذه الملالي كان غارقاً في التصوف ولكنه مع ذلك سجل لنا ما يناقض ما عليه القوم مما يجعلنا نعتقد صدق الملالي أكثر.

وإذا كان السنوسي لم يلتزم بطريقة شيخه التازي فهل اتخذ طريقاً خاصاً به في التصوف ؟.

هذا السؤال يقودنا إلى : -

المبحث الثاني: مفهوم التصوف عند السنوسي:

ولكي نحدد مفهومه عنده يجب أن نبين بدقة مفهوم الولي عنده، وموقفه من اللباس والخلوة واتخاذ شيخ واسطة، وموقفه من العقل والذوق، وأخيراً موقفه من الكرامات والمكاشفات .

١- تحديد معنى الولي : يقرر السنوسي متأثراً بابن دهان[1] أن الولي الحقيقي يجب أن تتوفر فيه أربعة شروط هي : -

أ- أن يكون عارفاً بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق، وبين النبي ومدعي النبوة.

ب- أن يكون عالماً بأحكام الشريعة نقلاً وفهماً ليكتفى بنظره عن التقليد في الأحكام الشرعية كما اكتفى ذلك في أصول التوحيد، أي لا بد أن يكون قد وصل إلى مرتبة الاجتهاد، بحيث لو أذهب الله علماء أهل الأرض لوجد عنده ما كان عندهم، ولأقام قواعد الإسلام من أولها إلى آخرها،لأنه لا يفهم من قلونا: وليّ إلا الناصر لدين الله، وذلك ممتنع في حق من لا يحيط علماً بدين الله وقواعده وأصوله وفروعه، ونلاحظ بأن هذا الشرط يحتم على الولي أن يكون منخرطاً في المجتمع ليغيره، ذلك أن الذي يقيم الشرع لا يقيمه لنفسه فقط، وإنما يدعو الناس إليه ويبينه لهم.

---

(١) هو إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان الأوسي، المتوفى بعد سنة ٦١٠هـ كان عالم كلام حافظاً للحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغيرها، له مؤلفات منها " شرح الإرشاد للجويني" " شرح الأسماء الحسنى " كان ذاكراً لكلام أهل التصوف مطرزاً مجالسه بأخبارهم (ابن فرحون الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ط١ مطبعة السعادة مصر ١٣٢٩ هـ ص ٩٠).

ج- التخلق بالخلق المحمود الذي يدل عليه الشرع والعقل فما يدل عليه الشرع عن المحرمات وامتثال المأمورات، وما يدل عليه العقل هو ما يثمره العلم بأصول الدين، وهو أنه إذا علم بأن العالم بأسره حادث لم يتعلق قلبه بشيء منه لا خوفاً ولا طمعاً لعلمه أنه في قبضة الله عز وجل، وإذا علم الوحدانية أخلص لله في سائر أعماله..... إلخ.

د ـ ملازمة الخوف له أبداً سرمداً ولا يجد لطمأنينة النفس سبيلاً، لأنه لا يعرف هل هو من فريق السعادة في الأزل أو الشقاوة، ثم ينظر إلى أسباب الشقاوة وأمارتها فيجدها منحصرةً في المخالفات، فيخاف الوقوع فيها ويتجنبها، وهذا هو الورع، وما حصل له من الموافقة للشرع فيخاف زوالها بأضدادها حتى يخاف أن يبدل علمه وفهمه إلى الشك والجهل، وكذا يخاف أن يطالبه بارئه بالقيام بشكره فيما أنعم عليه فلا يطيق ذلك .

وكذا يخاف أن تخدعه نفسه فيحصل في علمه ما يفسده ويحبطه من الرياء والسمعة وكذا يخاف من ظلمه للناس فتنتقل أعماله إلى صحائفهم.[1]

هذه هي الشروط الأربعة التي يقررها السنوسي، وهي تجعله يرى أن الولي الحقيقي ليس هو الذي ينزوي وينعزل، وإنما هو الذي يقيم قواعد الشرع أصولاً وفروعاً، وهو ما يجعله ينحو منحى آخر غير الذي كان عليه شيخه التازي وكذا كثير من متصوفة عصره المنحرفين.

والسنوسي يقرر متواضعاً أنه لم يصل إلى هذه الدرجة إنه فقط يقف على ساحل التمنى يغرف من بحر التوحيد والعرفان. وتلميذه الملالي يقرر أن هذه

---

(١)أبو اسحاق الأندلسي السرقسطي الهبة والعطا في شرح العقيدة الوسطى د ط المطبعة التونسية تونس ١٣٤٥هـ ص ١٢٠.

الشروط الأربعة متوفرة فيه وزيادة، " ولا خفاء أن الشيخ قد خصه الباري سبحانه بهذه الشروط الأربعة وزاد عليها زيادة لا يمكن وصفها،ومنحه سبحانه معارف ربانية، وعلوم لدينه، وأنوار إلاهية، حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة، فهو بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدي في ليله، وبشموس المعارف يستضيء في نهاره" أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون"[(١)(٢)] والأولياء من هذا النوع يجب الاعتناء بهم، والسنوسي ينبه إلى قضية مهمه وهي أن الإعتناء يجب أن يوجه إلى الأولياء المعاصرين خاصة أهل البلد، أكثر من الأموات، وهو بهذا يخالف ما درج عليه معاصروه من تعظيم الأموات.

وسبب دعوته إلى الإهتمام بالمعاصرين أن المتقدمين بحثوا من طرف من معنى فلا داعي لأن نعيد التعريف بأحوالهم ثم أن نشاط النفوس للخير والإقتداء بذكر محاسن المعاصرين لها أو من قرب منهم أكثر من نشاطها بذكر محاسن من بعد زمانه، لأن منافسة المعاصر لمعاصره في الخير معلومة. [(٣)]

وإضافة إلى هذا فإن النفوس في هذه الإزمنه عندما تمجد الماضين فقط قد تعتقد أن الولاية طوي بساطها فتترك الإجتهاد يائسة وبذا تتخلى عن العمل الصالح ورياضة النفس، أما إذا علمت أن بعض المعاصرين أو من مات قريباً وصل إلى مرتبة الولاية والإجتهاد، فتنشط وتجتهد[(٤)] .

---

(١) المجادلة / ٢٢

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ٤١/ ب .

(٣) ابن مريم البستان ص ٦ .

(٤) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٤٧١، ابن مريم البستان ص ٦

٢- اللباس: يذكر الملالي أن السنوسي كان يلبس اللباس المعتاد بين أهل الحاضرة والمتعارف بينهم، ولم يكن يلبس لباساً مخصوصاً يعرف به كما كان يعرف أهل الطرق الصوفية، كلبس عباءة وكساء من صوف ونحو ذلك بل لا يلبس إلا ما كان متعارفاً بين الناس حتى إذا رآه من لا يعرفه ظن أنه من جملة أهل الحاضرة. وكذا أيضا في مطعمه وفي جميع أموره متوسطاً في جميع ذلك ولا يخالف العرف فيه.[1] ومن هنا فإنه لا أثر للخرقة الشريفة !!! التي ألبسه إياها شيخه التازي، وهذا مما يؤكد لنا أن السنوسي كان ينحو منحى آخر غير الذي كان عليه متصوفة عصره كما سيظهر لنا من بعد .

٣- الخلوة: اختلف مفهومها عند المتصوفة، فبعضهم يعرفها بأنها " محادثة السريع الحق حيث لا ملك ولا أحد سواه[2] وعرفها البعض بأنها " ترك اختلاط الناس وإن كنت بينهم وقيل " الأنس بالذكر، والإشتغال بالفكر" وقيل هي العزلة"[3].

والمقصود بها أن المتصوف يبتعد عن الناس وينعزل عنهم كي يشتغل بالذكر والعبادة، وهنا ينفصل عن الحياة الإجتماعية فلا يعيش مآسيها وما تعانيه الأمة، لا تهمه إلا سلامة نفسه من الذنوب. وهذه عزلة سلبيه رأيناها عند الشيخ التازي.

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٣٥ / ب .

(٢) الجرجاني، التعريفات، ط ٧، الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٧١، ص ١٤٢.

(٣) التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون، د.ط) مطبعة خياط د ت ج ٢، ص٤٥٩ .

والسنوسي كان يحب العزلة بحيث يتمنى في بعض الأحيان أن لا يرى أحدا ولا يراه أحد، وذلك كي يشتغل بالله عز وجل[١].

لكن هذه الخلوة التي يريدها السنوسي ليست سلبية، إنها خلوة لمحاسبة النفس وتقوية الإتصال بالله عز وجل، ومراجعة معارفه وتنقيحها وغربلتها ثم اكتساب معارف جديدة ، وتوسيع المعارف القديمة بالبحث والمطالعة ثم معاودة الرجوع إلى المجتمع؛ لأن استغراق كل الوقت بمخالطة الناس يؤدي إلى قسوة القلب وتردية.[٢]

وبناء على هذا فإن هذه الخلوة نعتبرها ضرورية لكل إنسان يريد أن يرتقى إلى أعلى، وهومما يجعل السنوسي عظيماً في أعيننا .

٤ – اتخاذ شيخ واسطة لتلقين الإسلام : يرى كثير من أهل الطريقة أن الإنسان يجب عليه أن يتخذ شيخاً يلقنه الإسلام أصولاً وفروعاً، ويكون مرجعه في كل شيء، بل لا يحق له أن يستخدم عقله في النصوص، والوساطة ضرورية، وهي موجود في نظرهم حتى في الوحي، فكما أن جبريل عليه السلام كان واسطة بين الله عز وجل ومحمدﷺ فكذلك يجب أن نتخذ شيخاً واسطة بيننا وبين رسول الله، ولا يحق لنا أن نفهم النصوص أو ندرسها " ومن لا شيخ له فالشيطان شيخه".

وهذا ما كان عليه الحال زمن السنوسي، وهو من أسباب تمزيق الأمة بحيث أصبحت كل طائفة تنتمي إلى شيخ معين وكثيراً ما تكون الطرق متعارضة فتتمزق الأمة.وهذا كهنوت مرفوض شرعاً، وقد عاب القرآن الكريم على

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١١٠/ أ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٢٤/ أ

اليهود والنصارى ذلك " واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"[١] وقد بين الرسول ﷺ معنى هذه الآية بأن الأحبار والرهبان شرعوا لليهود والنصارى من دون الله فاتبعوهم، فذلك هو معنى الآية.[٢]

وشيوخ الطرق اتخذوا طرقاً للعبادة خاصة، وأمروا الناس بإتباعها وحرموا عليه استخدام العقل " اعتقد ولا تنتقد"[٣].

والسنوسي لا يقر بهذا، بل ينتقد هؤلاء في ذلك، ويرى أن كثيراً من المتصوفة إذا لاح لهم شيء من روائح المعرفة اغتروا بذلك، وتركوا الإقتداء بالرسول ﷺ، وتبدعوا أمورا بأنفسهم فهلكوا بسبب ذلك، ولذا فعلى العارف أن يقدم في أعماله ﷺ أماماً له ليقتدى بأقوله وأفعاله، ويرتبط له ولا يخالفه بوجه، وعلى العارف أن يحكم العقل أولاً، فإذا حكم العقل ونظر واهتدى بالبرهان القطعي إلى صدق الرسول وعرف شرف رتبته عند الله قدمه وعزل نفسه عن كل نظر وأسلم نفسه إلى الرسول وحكمه في ظاهره وباطنه[٤].

وبهذا يقضى السنوسي على فكرة اتخاذ شيخ واسطة بين الإنسان وربه. والحقيقة أن هذا ما يقرره الشرع، فالله أرحم بنا من أن يقطع صلته بنا إلا

---

(١) التوبة / ٣١

(٢) وقد بين الرسول ﷺ هذا في المحاورة التي دارت بينه وبين عدي بن حاتم الطائي الذي كان متنصراً قبل إسلامه فدخل على النبي ﷺ فوجده يقرأ " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .... قال عدي: فقلت إنهم لم يعبدوهم فقال ﷺ بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلو لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم أياهم رواه أحمد والترمذي وابن جرير

(٣) هذا القول ينسب إلى شعيب بن الحسن أبي مدين الغوث الأندلسي المتوفى سنة ٥٩٤هـ الذي اشتهر بالتصوف ونحن نشك في نسبته إليه .

(٤) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ٢٠٠/ أ .

بواسطة، وكيف وهو يقول " ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"[١]، والإسلام دين البساطة والوضوح يغنينا عن هذا الشيخ المفروض عليه والمحمول على الناس كما حمل على المسيحية رهبان يهبون الغفران[٢]،بل وصل الأمر بكثير من هؤلاء إلى أن أصبح الإنسان يفعل ما يشاء من المعاصي، وعندما يكبر سنه يذهب إلى الشيخ فيفدي نفسه بنصيب من المال، أو يعاهده على التوبة، وبذا تكون ذنوبه قد غفرت.

وهذا بعد كبير عن الإسلام، وذلك أن الله لم يأمر في كتابه الذي هو أصل التشريع أن نطيع أحداً من خلقه، وإنما أمرنا فقط بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر الذين يلتزمون بالكتاب والسنة، بحيث جعل طاعتنا لهم مشروطة بطاعة الله ورسوله : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم"[٣].

ويتبلور هذا في قول أبي بكر ﷺ عندما بويع خليفة للمسلمين" أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"، ومعنى هذا أن طاعة أولى الأمر مقيدة بأن يكونوا من المسلمين عملاً لا نسبة، لتكون طاعتهم لله.[٤]

وهذا ما قرره السنوسي، لا واسطة بين الإنسان وربه، ولكن هذا لا يعني أن نعرف ديننا أصلاً ونطلب العلم دون شيوخ، يجب علينا أن نتعلم من

(١) ق / ١٦ .

(٢) أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، د ،ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١ ، ص ٢٤٨ .

(٣) النساء / ٥٩ .

(٤) أحمد سحنون المصدر السابق بنفسه ص ٢٤٩، ٢٥٠ .

الشيوخ ونستفتيهم فيما نجهل " فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون"[١]. فكل من أعطانا العلم وبين لنا العقيدة الصحيحة وأنقذنا من الإلحاد والحلول، وحال بيننا وبين الزيغ والضلال والإنحراف نحترمه ونقدره[٢]، وهو ما يقرره السنوسي إذ يرى أن احترام هؤلاء العلماء الأولياء من تعظيم حرمات الله، وإكرامهم دليل على تعظيم شعائر الله، ومن جاورهم أو انتمى إليهم كانت له الحرمة على كافة الإمام على ما ثبت من حديث الجار، وقد أكد جبريل الوصية حتى ظن سيدنا محمدﷺ أنه سيورثه[٣]، بل يرى أن زيادة قبورهم والبكاء عندها من احترامهم وتقديرهم[٤]. هذا الموقف مما يجعل السنوسي بعيداً عن انحرافات القوم وهو ما يؤكد فهمه الصحيح للإسلام .

٥- العقل والذوق ومكانة العقل عنده: العقل هو تلك الملكة الفطرية في الإنسان التي يستطيع بها أن يرتب محصول الحواس، وأن يدرك ما وراءها من المعاني المجردة، وأن يميز بطرق ومناهج معينة بين ما هو حق وما هو باطل، وأن يستنبط المصالح والأغراض، والعقل هو أساس التكليف، فمن لا عقل راشد له ليس مخاطباً بالدين أصولاً وفروعاً[٥].

أما الذوق فيعرفه التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ ١٧٤٥م) بأنه " أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي

---

(١) الانبياء / ٧

(٢) أحمد سحنون المصدر السبق نفسه ص ٢٤٨ .

(٣) و نص الحديث " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" متفق عليه .

(٤) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٠ / ب .

(٥) عبد المجيد النجار، العقل والسلوك في البنية الإسلامية ، د ط مطبعة الجنوب، مدنين تونس ١٩٨٠، ص ٨٩ .

البرقـي"[١]. وهـو عنـد ابـن عربـي (ت ٦٣٨هـ ١٢٤٠م) " أول مبـادئ التجليات الإلهية"[٢]. وهو " نور عرفـاني يقذفـه الله بتجليـه في قلـوب أوليائـه يفرقون بن بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره"[٣].

ومن هنا فان أغلب المتصوفة اتخذوا منهجاً مخالفاً لمنهج العقـل، وقـد سمـوا مـنهجهم في البدايـة بالإستنباط القرآنـي، وذلـك بـأن يـردد الصـوفي القـرآن مستغرقاً فيه حتى تنفتح له المعاني الإلهية، ثم ينتقل إلى معاناة العبـادة والخلـوة والتردد بين المقامات الصوفية والأحوال حتـى تنقـدح المعرفـة الإلهيـة فيـه، أو تلقي فيه فيتذوقها.[٤]، وقد انتهوا إلى القول بالذوق أو الحدس، أي أن معرفـة الله لا تتم باستخدام المنهج العقلي أو الحسي، وإما بمنهج خاص هو الـذوق، وهكذا فإنهم رفضوا العقل وأداته وآلته أي المنطق[٥]، وسبب ذلك في نظـرهم أن المنهج العقلي يؤدي إلى نتائج متعارضـة، لا يـزعم أصـحابه أنهـم اتصـلوا بالله، أما طريق الذوق أو الإرتياض فإنه يؤدي إلى نتائج متعارضـة، ولا يـزعم أصحابه أنهم اتصلوا بالله، أما طريق الذوق أو الإرتياض فإنه يؤدي إلى نتيجة متحدة، والمعروف عن رجاله أنهم يتصلن بالله سبحانه[٦].

---

(١) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج ٢ ص ٥١٤.

(٢) الجرجاني، التعريفات ، ص ١٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٧ .

(٤) علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي ط ٤ دار المعارف مصر ، ١٩٧٨، ص ٢٣١ .

(٥) المصدر نفسه ص ٢٣٥ .

(٦) عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام د ط دار الكتاب للبناني، بيروت، ١٩٨٢ ص ٢٤٠، ٢٤١ .

ومن أدلة أصحاب منهج الذوق على صحة منهجهم أن استخدام العقل في مجال الغيب مخاطرة، والمسلمون الأوائل استسلموا للنص المقدس دون جدل أو مناقشة، ودون محاولة عقلية لإدراك الماورائيات، لأن استخدام العقل يعني إقامة مصدر آخر لمعرفة الغيب غير النبوة، ومن هنا فان البصيرة وحدها هي التي ينكشف لها الغيب فتدركه[(١)] ولذا يرى عبد الحليم محمود أن أول انحراف عن مبدأ البصيرة أو الذوق لمعرفة الغيب بما فيه الله عز وجل هو طريق المعتزلة ومدرستهم.[(٢)]

وبناء على هذا يمكننا أن نصنف إيمان الناس إلى ثلاثة أصناف، عوام، إيمانهم إيمان التقليد المحض، ومتكلمون، وإيمانهم قريب من درجة إيمان العوام، وعارفون، إيمانهم هوالمشاهد بنور اليقين، وإيمان هؤلاء يقين مطلق، لأنهم يشاهدون الغيب بنور اليقين، لا بإدراك العقل ولا الحس، وسبيلهم تزكية النفس،وهو طريق صعب المرتقى، ولذا لا يكون سلوكه إلا لطائفة قليلة من الناس[(٣)].

والحقيقة أننا نرفض هذا المنهج بهذه الكيفية لأسباب كثيرة منها: -

- أن الذوق ذاته غامض وغير منضبط، وخاص، ومعرفة الله لا بد لها من منهج دقيق محدد واضح يتبعه كل من يريد هذه المعرفة. لأن الشرع أتى لجميع الناس لا لفئة خاصة.

---

(١) عبد الحليم محمود، أبحاث التصوف(مطبوع مع المنقذ من الضلال) د ط مطبعة حسان القاهرة، د ت ص ٣٣٦ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٢، ٣٧٢.

- القرآن الكريم لا يمكن فهمه إلا بالعقل، ويستحيل أن يفتح على الإنسان بأفهام جديدة في القرآن بمجرد تكرار قراءته دون تدبر، والقرآن الكريم يأمرنا بتدبر معانية حتى نفهمها " أفلا يتدبرون القرآن[(١)]"، بل يبين أن أصحاب النار يوم القيامة يعيبون على أنفسهم تركهم استخدام العقل " وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير[(٢)]" والصوفي الذي يردد القرآن لا يمكنه أن يكتشف معانيه إلا باستخدام عقله، وذلك لأن كل معرفة تنطبع في النفس لا بد فيها من وجود الإدراك العقلي، وإلا ما وجد وعي وشعور بها.

- القول بأن الصحابة كانوا يستسلمون للنص المقدس دون استخدام العقل ليس صحيحاً لأنهم ما آمنوا بالقرآن إلا بعد أن اقتنعوا عقلياً بأنه من عند الله. ثم أن هذا القول فيه خلط بين الخضوع لأحكام الشرع، وبين أساس الإيمان وكيف يتم. والنبوة ذاتها مبنية على العقل إذ أن صاحبها كان مقتنعاً بأنه نبي .

- القول بتقسيم الناس على عامة وخاصة، وإن الذوق هو منهج الخاص، لا نوافق عليه، لأن " الحكم الشرعي الذي هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين[(٣)]......" يخاطب كل من له عقل، وخطاب القرآن لجيمع البشر﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً[(٤)]" وليس فيه خطاب لفئة دون أخرى.

- القول بمنهج الذوق بدل العقل يؤدي إلى تحطيم العقل الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات، كما يؤدي الكهنوت، وهو ما وقع في هذه الطرق، إذ

(١) النساء / ٨٢ ، محمد / ٢٤ .

(٢) الملك / ١٠ .

(٣) السوسي ، شرح المقدمات ورقة ١٩٢ / ب .

(٤) الأعراف / ١٥٨ .

أصبح القطب أو شيخ الطريقة يشرع للناس من عند ياته طرقاً للعبادة ما أنزل الله بها من سلطان، ويحرم على إتباعه استخدام العقل، وقد أصيب المسلمون بنكبة كبرى من هذا مما أدى إلى تأخرهم الحضاري ذلك أن إنساناً يكلف من طرق شيخه أن يذكر " يالطيف " عشرة آلاف مرة بعد نهاية أوراده يومياً، سيصبح مخدراً عاجزاً عن أي تفكير مثمر[1].وهذا ما جعل كثيراً من رجال الطرق أميين أو شبه أميين ولكنهم كان لهم أتباع كثر، ولو سمحوا باستخدام العقل ما تبعهم أحد، اللهم إلا إذا كان من ذوي الأغراض الخسيسة.

وقضية رفض العقل سهلت للكثير من المشعوذين أدعياء الولاية " اتخاذ تلاميذ من النساء والرجال ونصبوا أنفسهم لإعطاء العهد وتلقين الذكر، وكانوا يخالطون الظلمة والمفسدين، ويدخلون على النساء في بيوتهن[2]"، والأمثلة كثيرة لا تحصى، ولتكتفي بمثالين لهذا النوع من أدعياء التصوف المنحرفين أحدهما : قاسم بن أم هانئ النقاوسي، وقد اتخذ طريق الشعوذة بادئاً إياها بالإكثار من الصيام والصلاة و أكل الشعير ولبس الخرقة، وكان يكثر الإتصال بأهل البوادي خاصة قبيلته، وكان أتباعه يشيعون عنه الخوارق، وعندما نجح في دعوته التي لم يكن يهدف منها سوى جمع المال اتخذ الأتباع والحضرة، وأصبح يضرب خيمة إزاء القبائل في البوادي وينادي أحد أتباعه بأن الشيخ يبرئ من العاهات، ثم يعلن شيخ القبيلة أن الشيخ يطلب كذا وكذا من الأموال، فإما أن تعطوه إياها وإما أن القبيلة لا تفلح، وإذا رأى فرساً

---

(١) محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية د ط دار المبعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر ، ١٤٠٢ ، ص ٥٨

(٢) أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ص ١١٤.

جميلة أخذها من صاحبها مجاناً أو بثمن بخس، وان أبى صاحبها هدد بالنكبات[١].

وثانيهما الشيخ بوكلب القسنطيني، قد تعلق بامرأة وتعلقت به حتى أنها كانت تنام عنده فزنا بها وحملت منه، وعندما سئلت عن ذلك أجابت بأن الأولياء هم الذين أعطوها هذا[٢].

والحقيقة أن ما لم يسجل أكبر بكثير مما سجل، ونحن لا نتهم المتصوفة السنيين بهذا، ولكن عدم إفساح المجال للعقل والتستر وراء الذوق هو لذي جعل الناس تعتقد ولا تنتقد. وهو الذي أدى إلى تلك الكوارث.

والخلاصة مما سبق: أن القول بالذوق وحدة تعطيل للمعرفة العقلية، وتعطيل للمعرفة الحسية، وهنا يفقد الإنسان في نظرنا أهم خواصه كإنسان، ولم تعد هناك حاجة لأن يبعث الله رسلاً لهداية البشر، إذا أن الذوق يكفي، وهذا مخالف لتاريخ الرسالات.

والسنوسي يرفض أن يكون الذوق هو مصدر المعرفة الأساسي، ويظهر لنا هذا جلياً في ثلاث نقاط أساسية هي :-

الأولى: اهتمامه بالمنطق ودعوته إلى استخدامه كمنهج وكثرة تأليفاته فيه، والسنوسي يقرر هذا صراحة، " فالعلوم كلها متيسرة طوع اليد لمن حقق المهم من هذا الفن، إن يسر ذلك المولى تبارك وتعالى بفضله[٣]" وهو في نظره " يسهل للعقل وعر الانظار ويتسع به مجال الفكر مع الراحة والأمن من الخطأ في

(١) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٤٨٩، .

(٢) أبو القاسم سعد الله شيخ الإسلام عبد الكريم الفكوني ص ١٤٤ .

(٣) السنوسي، شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٧/ ب .

سلوك مفاوز الاعتبار"[١] وبعد أن يتقنه الإنسان فليشتغل بالعلوم الشرعية" وليشتغل بعد أن يحكم آلة العقل بالعلوم الشرعية استفادة وإفادة علماً وعملاً بينة خالصة للدار الآخرة....[٢]" والسنوسي استخدم المنطق كمنهج في علم العقيدة، وكتابة المقدمات بدأه بتعريف الحكم تعريفاً منطقيا.

فالسنوسي إذن دعا إلى تعلم النطق وجعله منهجاً يعتمد عليه، وشرحه لمختصره في المنطق مملوء بالبراهين على وجود الله ، وحدوث العالم كما سيظهر لنا في تحليلنا لشرحه لمختصره في المنطق وقد عاب على الذين لا يستخدمونه.

وهو من هذه الحيثية يتناقض مع الذين يقولون بالذوق، لأن منهجه يستند على العقل وهم يرفضون العقل وأسسه رفضاً تاماً كما يقول النشار[٣].

الثانية : اشتراطه الاقتناع العقلي في صحة الإيمان وجعله البحث العقلي في ذلك واجباً، حتى يكون إيماننا صحيحاً، ووصل به الأمر إلى أن جعل المعرفة واجبة، والنظر الموصل إليها واجب[٤]، ويرد على الذين يرون غير ذلك " فإن بعض أصحابنا يقول : أن من اعتقد في ربه الحق وتعلق به اعتقاده على الوجه الصحيح فإنه مؤمن موحد، ولكن هذا لا يصح في الأغلب لناظر ولو حصل لغيرنا ناظر لم تأمن أن يتخلخل اعتقاده فلا بد عندنا من أن يعلم كل مسألة

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧ / أ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٢٨/أ .

(٣) على سامي النشار مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص ٢٣١.

(٤) السنوسي، أم البراهين د ط دار الفكر د ت ، ص ٦١ .

من مسائل الإعتقاد بدليل واحد، ولا ينفعه اعتقاده إلا أن يصدر عن دليل علمه بذلك"(١).

ويتوصل إلى أن القول بوجوب الإيمان قبل المعرفة ضعيف، لأن التزام التصديق بما لا تعلم صحته يؤدي إلى التسوية بين النبي ومدعى النبوة(٢).

الثالثة : تقريره الصريح بتبعية الذوق للعقل: السنوسي لا ينكر الذوق ، ولكنّه يأتي في نظره بعد اقتناع العقل، فالذوق إذن يجب أن يكون تابعاً للعقل وغير متعارض معه ، فإذا تعارضا حكم العقل على الذوق لا العكس ومن هنا فإن مكانة العقل أعلى من الذوق، رغم أن الذوق آخر مقام السالكين، وهو بهذا مخالف للمتصوفة الذين يرفضون العقل كما بينا من قبل.

وقد بين السنوسي هذه الحقيقة في شرحه لأبيات أحد المتصوفة، ومطلعها: -

رأيت ربي بعين قلبي فقلت لا شك أنت أنت

ونص كلامه:

" رأيت ربي بعين قلبي يعني عرفت وجوده و ما يجب له وما يستحيل وما يجوز، ببصيرة قلبي التي هي عين القلب، وهو الجزء منه الذي يقوم به العلم والفكرة الصحيحة المصيبة، وقوله: فقلت لا شك أنت أنت يعني فقلت بقلبي لما عرفته بالبرهان، وتميز لي عن كل ما سواه لاشك ولا ريب أنت مولاي هو

(١) المصدر نفسه ص ٦١.
(٢) المصدر نفسه ص ٦٣ .

الموصوف بهذه المحاسن التي أبصرها بالبرهان عين قلبي[(١)]" ويزيد القضية أكثر تحديداً بقوله :

" ويحتمل أن يكون المراد برؤية عين القلب المعرفة الذوقية التي هي آخر مقام السالكين، ويكون حينئذ معنى أنت أنت : أنت الآن بحسب المعرفة الذوقية هو أنت أولاً بحسب المعرفة الرسمية التي أنتجتها البراهين العقلية، إذ علاقة صحة الذوق أن يجيء على وفق الرسمية[(٢)]".

ومعنى هذا أن العقل هو المحك، وأن الذوق تابع له، وبذلك تصبح مهمة الذوق التعاطف والتفاعل والهيام في جناب الله عز وجل الذي اقتنعنا بوجوده عقلياً.

وبهذا نجد السنوسي قد شق طريقاً يخالف ما كان عليه معاصروه مخالفة كبيرة، والحقيقة أن الغزالي ذاته الذي تأثر به السنوسي في تربية النفس، وتأثر به الكثير من المتصوفة لم يقل بالذوق وحده بل بين صراحة كيفية اكتساب إيمانه اليقيني الذي أصبح يملأ نفسه " وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها، والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية إيمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر[(٣)]". والنتيجة التي نتوصل إليها أنه لا بد من العقل في المعرفة، فلا تتم معرفة بدون عقل، وبعد الاقتناع العقلي يأتي دور الذوق الذي تكمن مهمته في تقوية الإتصال بالله الذي

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ٢٠٢ / ب .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٠٢/ب .

(٣) الغزالي المنقذ من الضلال مع أبحاث في التصوف للدكتور عبد الحليم محمود د ط مطبعة حسان القاهرة د ت ص ١٤١ .

اقتنعنا بوجوده عقلياً، وإذا حصل تعارض بين العقل والذوق فإن الحاكم هو العقل، وذلك حتى يكون إيماننا صحيحاً.

و مادام السنوسي قد سخر كل حياته لعلم التوحيد فإن التصوف عنده يجب أن يكون مربوطاً بحقائق التوحيد، ومن هنا فإن الحقيقة التي يتكلم بها المتصوفة ويسمون أنفسهم بأنهم أهلها ليست ما يقصدون وإنما هي في نظره حقائق التوحيد[١] وعلى هذا الأساس فإن علم الباطن هو علم التوحيد الذي هو أفضل العلوم[٢]، ولذلك يكون علم التوحيد جامعاً بين علم الظاهر والباطن.

وهذا مفهوم جديد في نظرنا يختلف فيه السنوسي مع المتصوفة الذي تحدثنا عنهم ويجعله مربوطاً بالكتاب والسنة بعيداً عن الدروشة.

٤- **موقفه من الكرامات والمكاشفات** : يبين الملالى أن الكرامة شيء خارق للعادة يقع لولي من أولياء الله، وهي قسمان حسية كطي الأرض والمشي على الماء إلخ، ومعنوية ، وهي أفضل من الأولى مثل المعرفة بالله والخشية منه ودوام المراقبة له إلخ.

وقد وقعت للصحابة رضي الله عنهم كقول عمر ﷺ وهو على المنبر يخطب " يا سارية الجبل الجبل[٣] " وسمعه سارية فانحاز للجبل ونجا الجيش من المباغتة.

ومن هنا فإن الولي في نظر القوم يمكن أن يطلع على بعض المغيبات، ويستدلون على هذا بقول تعالى " عالم الغيب والشهادة، فلا يظهر على غيبه أحداً

(١) الملالي المواهب القدسية، ص ٢٠٠/ أ/ ب .
(٢) المصدر نفسه ورقة ٤٥/ أ .
(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣٢/ أ ..... ٣٣ / أ .

إلا من ارتضى من رسول[١]" والملالي يحتال في الإستدلال بهذه الآية مستنداً على رأي الغزالي الذي يرى بأن هنا حذف يدل على صحة تقديره الشرع الصادق، والمشاهدة الضرورية فيصبح معنى الآية: إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بإخلاص واستقامة، أو عمل بما جاء به الرسول، لأنه ﷺ قال: _ " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"[٢] وهل تتقى إلا في علم ما غاب عنه أن ينكشف له[٣]. والملالي يورد كثيراً من الكرامات التي يزعم أنها وقعت لشيخه فعلاً ونحن نرى أن السنوسي لا يريد أن تنسب إليه مثل هذه الأشياء، وخاصة أن منها ما يعارض القرآن وصراحة، ومثلا ذلك ما يذكر الملالي " أن بعض الأولياء وقف على الشيخ فأخبره أنه لقي بعض المؤمنين من الجان وقال له قل للشيخ سيدي محمد السنوسي : مهما أكل طعاماً قال الحمد لله رب العالمين ، الشكر لله رب العالمين ثلاثمائة ألف مرة من غير فتور كان له ثواب عظيم[٤] ولا يوجد عاقل يقبل هذه إلا أنه يخالف القرآن الكريم الذي يقرر أن الإنس لا يرون الجن في الدنيا " إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا يرونهم[٥]" و لأن الجن لا تشرع للإنس بل الرسولﷺ .وهو الذي بعث الجن وليس العكس ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما فضى ولوا إلى قومهم منذرين، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، يا قوم أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم

---

(١) الجن / ٦٢ ، ٢٧ .

(٢) رواه الطبراني والبزار وأبو نعيم بسند حسن، إلا أن صاحب الكشف الخفا قال بأن طرق الحديث كلها ضعيفة وبعضها متماسك .

(٣) الملالي المصدر السابق نفسه ورقة ٣٣/أ ،ب

(٤) المصدر نفسه ورقق ٣٦ /ب .

(٥) الأعراف/ ٢٧ .

ويجركم من عذاب أليم، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين[(١)].

وإذا كان السنوسي لا يريد أن، تنسب إليه تلك الكرامات فإنه كان يؤمن بوقوعها، وقد ذكر بعضها في ختام شرحه لكلمتي الشهادة[(٢)] لكنه يشترط في الذي تقع له أن لا يقصد بطاعته وقوعها له " وإلا دخل عليه الشرك الخفي ومكر به ، إذ هي مجملة ما يجب أن يصفى منها قلبه عند ذكر ربه، فليقطع تتمثل " في إجابة دعائه لا في غيره[(٣)]" وموقفنا نحن من الكرامة الحسية : أن وقوعها كشيء استثنائي دون قصد الولي ذلك، ودون التفات إليها ليس مستحيلاً، لأن الله قادر على إكرام بعض عباده بذلك لكن يجب أن لا تصبح هذه الكرامة التي وقعت ميزه لذلك الإنسان عن غيره، ولا نجبر الناس على التصديق بها ولا الدعوة إليها، وهي خاصة نادرة الوقوع، التصديق بها وعدمه سيان.

أما أن يصبح المجتمع مجموعة من الأولياء، وكل ولي مميز بكرامات، فهذا لا نقبله على الإطلاق ربما هو الذي جعل السنوسي يقرر أن الكرامة الحقيقية ليست سوى إجابة الدعاء لا غير.

أما المكاشفات : فهي اطلاع الولي على فعل غيره دون أن يرى ذلك الفعل أو يخبره به أحد، أو يعرف ما قد يقع لأنسان في المستقبل، وهي نوع من الغيب يرى بعض المتصوفة أن الله يكرمهم بها، وقد أفاض الملالي في الحديث عن مكاشفات السنوسي.

---

(١) الأحقاف / ٢٩ .... ٣٣ .

(٢) السنوسي شرح أم البراهين ص ٢٣٦ .

(٣) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ٣٩ / أ .

لكن السنوسي يقرر موقفاً صارماً منها هو أنه:-

" ليست المكاشفة بأن يقول المكاشف لغيره فعلت كذا وكذا ويطلع على ما عنده، لأن هذا اشتغال بغير الله تعالى، وليس لها كبير موقع، وإنما المكاشفة الحقيقية أن يكاشف عن الله ورسوله بأن يفهم كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ويفهم ما تضمن كل منهما من الأسرار العقلية، والأنوار التوحيدية، ويفتح له في علوم غامضة، وأفهام دقيقة وحقائق ربانية، وكلما كرر كلام الله تعالى وكلام رسول اللهﷺ تجددت له أفهام وأسرار، وحكم وإشارات غير ما فهم أولاً، وهكذا لو بقي يتلى أبد الآباد، فهذه هي المكاشفة الحقيقية التي يزداد الإنسان بها معرفة ومحبة وقرباً من الله سبحانة، وهذه المكاشفة لا يعطيها الله تبارك وتعالى إلا لخاصية أوليائه وأصفيائه[(١)]".

والآن بعد أن عرفنا أن الولي الحقيقي في نظره هو الذي تتوفر فيه تلك الشروط الأربعة القاسية وأنه لم يكن يلبس لباساً خاصاً به، وأن الخلوة عنده بمثابة فترة تربص يقضيها ليحاسب نفسه ويقوي اتصاله بالله ويصفي نفسه ويكونها علمياً، وأن القدوة هو الرسول ﷺ ، وأن الذوق محكوم بالعقل، وأن الكرامة الحقة هي استجابة الدعاء، والمكاشفة ليست معرفة الغيب، وإنما هي الفهم المتجدد للقرآن والسنة.

نستطيع أن نجيب على السؤال الذي طرحناه في البداية، وهو أن السنوسي استطاع أن يخرج من قيد مجتمعه الفكري ويعطي التصوف مفهوماً صحيحاً يتوافق مع الإسلام، ، وهو ما بيناه من قبل.

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٤٣ / ب والنحر للسنوسي .

وهكذا فإن السنوسي كان يعمل بكل ما يملك من طاقة ذهنية على تصحيح عقيدة الأمة، ومن أهم ما أصاب الأمة في عقيدتها كثرة الطرق الصوفية الضالة، ومن هذا الباب فإن السنوسي وقف من التصوف الموقف الذي بيناه، وأوضح أن التصوف السني ليس هو ما يدعيه المتصوفة من كرامات ومكاشفات وتشريع للناس طرقاً للعبادة لم يأت بها الشرع و تحطيم العقل الذي هو أهم خاصية ميز بها الإنسان من غيره من الكائنات، الذي هو مناط التكليف وإحلال الذوق محله.

وإنما التصوف الحقيقي أن نعتقد كما كان الصحابة رضي الله عنهم يعتقدون، فنتبع هدى صاحب النبوة لا نخالفه في كل صغيرة وكبيرة، ويجب أن يكون هو أمامنا، وأن يكون هوانا تبعاً لما جاء به ﷺ " اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء[١]" "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً[٢] " ، "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[٣] "

ومن هنا فلا بد من تحكيم العقل واخضاع الذوق له بسبب غموضه وعدم انضباطه، لأن الشرع لم يأمرنا باستخدامه كأساس للإيمان، بل الذي أمر به هو العقل، وهنا تصبح مهمة الذوق منحصره في التفاعل والحب والهيام في جناب الله عز وجل ولذا فإن الذوق لا يعد مصدراً أساسياً مستقلاً في المعرفة.

وهنا نتوصل إلى أن السنوسي كان يهدف إلى تنظيف عقول الناس مما أصابهم وإعادتهم إلى العقيدة الصحيحة لأن فساد الأمة في نظره نابع من فساد عقيدتها ومن فساد العقيدة ترك الناس الله والرسول واتباع شيخ ما.

---

(١) الأعراف/ ٣.
(٢) النسا / ٨٠ .
(٣) الحشر / ٧ .

وهو بهذا يمثل مدرسة جديدة تعمل على تجديد الإسلام، وليس بإدخال عناصر جديدة إليه ، بل بتنظيفه مما أصابه والرجوع به إلى مصادره الأساسية الكتاب والسنة.

ولكي نرجع الناس إلى ذلك فلا بد من تلقينهم العقيدة الصحيحة المبينة على النظر والبرهان وتربية نفوسهم بإتباع الأخلاق التي أتى بها الإسلام، وهذا يقودنا إلى الحديث عن الأخلاق عنده .

الأخـــــلاق :

لكي نرجع الناس إلى العقيدة الصحيحة لا بد أن نربي نفوسهم ونهذب طباعهم، وذلك بقطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة[1] .

والسنوسي أدرك أهمية الأخلاق في بناء النفس وحتميتها لإقامة المجتمع، فكان يتحلى بصفات خلقية متعددة، ويدعو إليها، لأنها في نظره عملية أساسية في تطهير النفس والقلب والرجس وتنظيفها من كل ما يؤدي إلى الهلاك والوقوع في عذاب الله يوم القيامة ومن هذه الصفات : -

- الزهد في الدنيا: أساسه الزهد والرياسة والإجتماع مع أهلها، وقد كان السنوسي زاهداً فيها فعلاً، ولا أدل على ذلك كراهيته لحكام عصره، وكراهيته الإجتماع بهم[2] كما هو واضح في موقفه منهم. والمؤمن في نظره يجب أن يزهد في الحرام، ولا يأخذ من الحلال إلا ما يقويه على العبادة، فيقتصر على

(١) الغزالي، المنقذ من الضلال ص ١٣٩ .

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ٦٧ / أ ، ب .

الضروري، ويجب أن يطغى عليه حب الله ولا يشغله سواه، ويبدو في هذا تأثره بأستاذه الثعالبي الذي كان يهيب بالمسلمين أن يستيقظوا من غفلتهم الدنيوية ويطهروا أنفسهم من أدران الكماليات والترف(١). ولأن كل العلل من كبر وحسد وبغض ورياء وسمعة وحمد، وجاه وعلو منزلة، وحرص وطمع وقسوة ومداهنه وعداوة وحب بقاء إلى غير ذلك من علل القلب تأتي من مصدر واحد هو حب الدنيا، والورع و القناعةوالزهد والصبر، والرجاء والمحبة، والتوكل والخشية إلى غير ذلك من الصفات الحميدة، وبهذا تصير القلوب ينابيع الحكمة وخزائن للقدرة وتوابيت للعظمة(٢).

- الورع : الورع أول الزهد، وهو باب من أبواب الآخرة ، وضده الطمع الذي هو أول الرغبة، وهو باب من أبواب الدنيا واستشعاره يعتبر من حب الدنيا الذي هو أصل كل خطيئة. والسنوسي كان ورعاً. ويتمثل ورعه في عزوفه عن الإجتماع مع أبناء الدنيا وأقارب السلطان من الوزراء والقواد ونحوهم، وكان يرفض هدايا هؤلاء ويود أن لا يعطيه أحد شيئاً لا منهم ولا من غيرهم، ولم يطمع في شيء مما سوى الله تعالى ولا يميل إليه إطلاقاً، وذلك لأن صلاح الدين الورع وفساده الطمع(٣). ويبدو أنه متأثر كذلك باستاذه الثعالبي الذي يقرر أن أساس الورع الزهد في الدنيا وفيما عند الناس وترك ما لا يعنى وإصلاح القلب(٤).

---

(١) عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والصوف ص ٧٤ .
(٢) الملالي، المواهب القدسية ورقة ٧٢ / ب
(٣) المصدر نفسه ورقة ١٠٥ / ب .
(٤) عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف صفحة ٧٢ .

- رفع الهمة: ويتمثل في موقفه من الحكام وعدم التذلل والخضوع لهم، ولم يكن يخشى في الله لومة لائم[١].
- الحلم ويتمثل في ترك الإنتقام للنفس والإنتصار لها، فكان يعفو عمن ظلمه، ولا يقابل السيئة بالسيئة ، ويتلمس الأعذار للناس، ويعامل المتجاسرين عليه بلطف ولم يكن يغيب إلا إذا مس الشرع[٢] ومن الأدلة على هذا موقفه من العلماء الذين هاجموه كما هو مبين في موقفه من علماء عصره.
- الشفقة : وهي قسمان شفقة على الخلق في الدنيا كعطفه على الفقراء وجبه لهم ونقده لمعلمي عصره في ضرب الصبيان، وشفقته على تلك المرأة التي رفض أن يسلمها للسلطان. وشفقة على الخلق في الآخرة، وذلك أنه كان يريد إنقاذ الناس من جهنم إلى الجنة برجوعهم إلى الصراط السوي، وهذه قمة الشفقة[٣]. ولم تكن شفقته مقتصرة على الإنسان، بل تعدت إلى الحيوان[٤] وهو ما يتوافق مع ما يقرره الإسلام الذي أوجب الشفقة على كافة المخلوقات .
- الصبر: ويتمثل في جوانب كثيرة منها صبره على ما يقوله خصومه فيه، وعلى ما يكلف من مشاق عظيمة كقضاء حوائج الناس من الأمراء وغيرهم، حتى كتب يوماً ثلاثين رسالة في ذلك، وصبره في حضور مجالس الخصام ليخلص بين الناس وكان هذا من أعظم ما يثقل قلبه، ولكنه يتحمل – وهذا يدل على أنه لم يكن منزوي في خلوة بل كان يعيش خضم الحياة الإجتماعية بآلامها وآمالها–

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٠٩ / أ، ب .
(٢) المصدر نفسه ورقة ١١٣/أ .
(٣) المصدر نفسه ورقة ١١٧/ ب .
(٤) التنبكتي ، نيل الإبتهاج ص ٣٢٧ ابن مريم البستان ص ٢٤٢ .

وكان منطلقه في الصبر قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[1][2]

الاتعاظ بآثار السابقين:كان كثيراً ما يخرج إلى آثار السابقين، خاصة المنصورة فيتعين فيها كثيراً، ويقول " أين سكان هذه المدينة ؟ وكيف كانوا فيها يتنعمون ويأكلون ويشربون وينكحون..... إلخ ويتمعن في المباني وما فيها[3] وهذا انطلاقاً من قوله تعالى ؟﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[4]"

التواضع من غير مذلة والكبر : السنوسي يتبنى في التواضع رأي الفضيل ابن عياض[5] الذي يقول: من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب، والمتواضع في نظر السنوسي هو الذي يخضع للحق وينقاد له ويقلبه ممن قاله[6] أما المتكبر فلا يدخل الجنة بنص الحديث .

ومفهوم التواضع والكبر يضبطه حديث النبيﷺ " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْرٍ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقال رجل يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، فقال إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس[7] "ومن هنا فالكبر أصل خبيث في النفس تنشأ عنه خبائث كثيرة من جملتها الغضب، ونتائجه من سفك الدماء والحسد

(١) السجدة / ٢٤ .

(٢) الملالي، المواهب القدسية، ورقة ١٢٢/ب، ١٢٣/١٢٨أ/ب .

(٣) المصدر نفسه ورقة ١٣٠/ب .

(٤) يوسف / ١١١ .

(٥) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ولد بسمر قند. كان من أئمة السنة، توفى بمكة سنة ١٨٧هـ (ابن قنفذ القسنطيني ، كتاب الوفيات ص ١٤٦).

(٦) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ٨١/أ .

(٧) رواه مسلم

والغيبة، والرياء والسمعة وحب الجاه والمنزلة والتعنيف عند الموعظة، وإظهار الشماتة، والفضيحة في قالب النصيحة، وعدم الإنصاف من النفس، وثقل المؤونه على كل من لقيه وجالسه واحتاج إليه.... إلخ. " فما أثقل على النفوس من المتكبر ولا أمقت منه ولا أحقر ولا أذل في قلوب الخلق(١) ".

وللكبر في نظر السنوسي ثلاثة أدوية دواء عادي، وآخر شرعي ، وثالث عقلي فالدواء العادي أن يعرف الإنسان مبدأه وهو من نطفة قذره. والدواء الشرعي ذكر عقوبة الله للمتكبر ومقته له، وحرمانه من كل خير دنيا وأخرى والدواء العقلي هو علم المتكبر بأن الممكنات كلها على حد سواء، ما يقبله أدناها من الأعراض يقبله أعلاها، لا فضل لشيء منها على غيره بحسب ذاته، والله عز وجل هو الذي فضل ما شاء بما شاء من غير استحقاق، ثم إن الله قادر أن ينقل الأدنى إلى منزلة الأعلى وينزل الأعلى إلى منزلة الأدني كما هو واقع بالمشاهدة(٢).

كثرة الصيام والصلاة:

فبالنسبة للصيام كان يصوم يوماً ويفطر آخر، وإفطاره على شيء يسير، و إذا لم يكن صائماً لا يبحث عن الطعام، وإذا أكل، يأكل ما خف، ولا يشبع إمتثالاً لآداب الإسلام في الأكل.

أما صلاته فكان خاشعاً فيها، يطيل الركوع والسجود طولاً معتدلاً، وكان دائم التهجد يسمع له أنين فيه، ويغيب في حضرة الجلال الإلهي(٣).

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ٨١/ ب .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٨٢/ب .

(٣) المصدر نفسه ورقة ١٣٥/ ب ، ١٣٦/ أ .

التقوى: وهي نتيجة للصفات السابقة، فمن الطبع إذن أن يكون السنوسي تقياً. فكان كثير الخوف من الله، متطاول الأحزان، يسمع لصدره أنين ودوي من كثرة الخوف، وخاصة إذا كان وحده، وعندما يستغرق في الذكر كان يغيب عن حسه ولا يشعر بمن معه،وهو في هذا مقتدى بالمصطفى الذي كان متطاول الأحزان، وذلك لأن القلب إذا لم يكن فيه حزن وخوف من الله خرب فالحزن هو زكاة القلب[١].

والنفس لا تصل إلى هذه الدرجة من التقوى إلا إذا وبخناها على مفاسدها كالتسويف والركون إلى الدنيا ، والسنوسي يتبنى في هذا منهج الغزالي الذي أورده في توبيخ النفس في الإحياء[٢] .

والنتيجة التي نستخلصها: أن السنوسي ركز على كل ما أمر به الإسلام من صفات خلقية ومنها الصفات التي ذكرنا، وهي تجعل الإنسان المسلم عبداً لله، وحقيقة العبودية في نظرة هي :" امتثال الأوامر، واجتناب المناهي مع كمال الذل والخضوع[٣] " ومعنى هذا أن التصوف الحقيقي في نظره هو الذي يجعل الإنسان يشعر بعبوديته لله وهو تحقيق للآية الكريمة " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون[٤]". ويجب أن نبين أن هذه العبودية كانت خوفاً من النار وطمعاً في الجنة

(١) المصدر نفسه ورقة ٦٢ / أ،ب .

(٢) الغزالي إحياء علوم الدين م ٦ ج ٢ ص ٤٥ وما بعدها.

(٣) الملالي ،المواهب القدسية ورقة ١٠٢ / أ .

(٤) الذاريات / ٥٦ .

ولأن الله يستحق العبادة إذ آخر ما قاله السنوسي لابنته التي أخذت في البكاء عليه حالة وفاته " الجنة تجمعنا عن قريب إن شاء الله[(١)] ".

لكن حبه لله عز وجل كان ينسيه الخوف من النار والطمع بالجنة[(٢)].

ومن هنا فإن السنوسي يتوصل إلى أن المتصوفة الحقيقيين مذهبهم مذهب أهل القرآن و الحديث وعلومهم مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله ﷺ ليكملها " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[(٣)] " ولا يشتغلون بالفروع إلا قدر ما يحتاجونه منها[(٤)]" وذلك لأن مهمتهم العبادة بمفهومها الكلي.

الحكم على تصوف السنوسي: هذا هو مفهوم التصوف عند السنوسي، وهو تصوف سني في شكله ومضمونه يهدف إلى تربية النفس وتهذيبها والرجوع بها إلى الصراط المستقيم، وهو ضرب للمشعوذين من أدعياء التصوف الذين خربوا الأمة وخدروها ، وهذا ما جعل لتصوف السنوسي الإستمرارية والخلود ، كما سنعرف في تأثيره في غيره.

وهو متصوف نقرر من خلاله أن ما نسب إلى السنوسي من دروشة وخرافات هو بريء منها وبكلمة واحدة فان السنوسي عمل كل ما في وسعه لإعادة الأمة إلى ربها الذي أوشكت أن تنسى لماذا أوجدها، مما جعل تأثيره يستمر على مر العصور في مختلف المجالات التي كانت الأمة في حاجة إليها.

---

(١) الملالي المواهب القدسية ورقة ١١٢/ أ التنبكتي نيل الإبتهاج ص ٣٢٨ ابن مريم البستان ص ٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه ورقة ٥٩ / ب .

(٣) رواه مالك في الموطأ. وقال ابن عبد البر الحديث متصل من وجوه صحيحة / كشف الخفا ص ٢٤٤ .

(٤) الملالي المواهب القدسية ورقة ٧ / ب .

الفصل السابع

مكانة السنوسي بين مناطقة المسلمين[(١)]

قبل أن نبين مكانة السنوسي بين مناطقة المسلمين والإتجاه الذي أخذ به من المنطق، يجب أن نبين بإيجاز كيف دخل المنطق اليوناني إلى العالم الإسلامي، ومواقف المسلمين منه. وذلك كي يتأتى لنا وضع السنوسي في مكانه الصحيح.

المبحث الأول : دخول المنطق اليوناني إلى العالم الإسلامي :

لقد دخل المنطق اليوناني إلى العالم الإسلامي بطرق عدة هي : -

١. الترجمة التي اهتم بها العباسيون كثيراً،وكان المنطق من أول ما ترجم إلى اللغة العربية.

٢. الفتوحات الإسلامية التي جعلت المسلمين يحتكون بغيرهم فعرفوا ما لديهم من علوم ومنها المنطق.

٣. طبيعة الإسلام الذي يدعو إلى الحرية الفكرية مما جعل الأمم المفتوحة تجهر بفكرها.

٤. احتكار المسلمين بآباء الكنيسة العرب[(٢)].

٥. حب المسلمين لأن يعرفوا ما عند الآخرين من علوم.

---

(١) من بداية هذا الفصل إلى نهاية موقف الغزالي من المنطق أوردناه في بحثنا لنيل دبلوم الدراسات المعمقة (عبد الرحمن الأخضري وكتابة السلم المرونق) وقد أعدناه هنا مع بعض الإضافات البسيطة لأن الضرورة اقتضت ذلك .

(٢) علي سامي النشار مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص ١٩ – ٢٠ .

٦. الترف الفكري والدعة اللذان وصل إليهما المسلمون بعد اتساع دولتهم[١].

وكان المنطق أول ما ترجم إلى اللغة العربية ويذكر المؤرخون أن أقدم تراجم الكتب اليونانية ترجمة. كتب أرسطو المنطقية الثلاثية في صورة المنطق

(فاطيغورياس، باري أرمنياس أنالوطيقا الأولى) ثم نعوص لفرفريوس الصوري[٢] والذي قام بهذه الترجمة عبد الله بن المقفع[٣] (المتوفى سنة ١٥٨هـ / ٧٩٥م) على أرجح الأقوال، وذلك بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[٤]

(المتوفى سنة ١٥٨هـ ٧٧٥ م) . ثم ترجم أبو نوح، ثم سلم (صاحب بيت الحكمة) كتب أرسطو المنطقية إلى آخر الأشكال الحلمية ثم أتي حنين بن اسحاق.

(المتوفى سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧ م) ومدرسته فنقلوا الاورغانون إلى العربية ثم أتي يحي بن عدي (المتوفى سنة ٢٦٤هـ) فترجم المنطق واختصر بعض كتبه، وقد ساهم في هذه الترجمة كذلك إسحاق بن حنين النصراني الذي أسلم على يد المكتفي، وأبو بشر بن يونس(المتوفى سنة ٣٢٨هـ ٩٤٠ م) وغيرهما[٥]. وبالإضافة إلى ترجمة كتب أرسطو المنطقية، فقد ترجمت كتب شراحه مثل الإسكندر الافرودويسي (المتوفى في بداية ق ٣م) الذي هاجم الواقية مما جعل العرب يطلعون على بعض خصائص المنطق الرواقي.

---

(١) محمد عبد الستار أحمد نصار، المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام ص ١١٨ .

(٢) على سامي النشار مناهج البحث عند مفكري الأسلام ص ٢٠

(٣) ابن النديم، الفهرست دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٨ وص ٣٣٧، عبد الحليم محمود التفكير الفلسفي في الإسلام ص٢٨٠.

(٤) محمد عبد الستار أحمد نصار، المدرسة السلفية ص ١٢٨ ويذكر على سامي النشار أن بن المقفع قام بتلخيص تلك الكتب لا بترجمتها على سامي النشار مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص ٢٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٢ – ٢٣ .

وهكذا فقد وصل المنطق الأرسطي إلى العالم الإسلامي من مصادر متعددة، ممتزجاً بأبحاث أخرى غير أرسطية أضافها الشراح اليونانيون من المشائين من بعده، بالإضافة إلى عناصر هامة من المنطق الرواقي[١].

ولكن المسلمين وقفوا منها مواقف مختلفة هي : -

١) قسم منهم قبله كوحدة فكرية كاملة ، واعتبروه قانون العقل الذي لا يتزعزع ومن بينهم الكندي (المتوفى سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٤م) والفارابي (المتوفى سنة ٣٣٩) وابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ١٠٣٧ م) وذلك لأنهم قبلوا الميتافيزيقا اليونانية ومنطق أرسطو هو منطق ميتافيزيقي، إذا هو آله لهذه الميتافيزيقا وجزء منها في آن واحد كما سنبين من بعد.

٢) وقسم أخر من الأصوليين والمتكلمين الذين اعتبروا الفلاسفة جسماً غريباً في قلب الأمة الإسلامية رفضوه رفضاً مطلقاً. وحاولوا إقامة منطق جديد هو المنطق الإسلامي أو منطق الأصوليين[٢] ومن بين أصحاب هذا الإتجاه ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ / ١١٩١م) وقد اعتنق هذا الرأي كذلك قسم من الفقهاء وعلماء الحديث ومنهم ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ/ ١٠٤٥م، والسيوطي (المتوفى سنة٩١١هـ) وذلك بحجة فساده وعدم احتياجنا إليه[٣] ومع ذلك فقد حاول إخضاعه للتصوف.

---

(١) محمد عبد الستار أحمد نصار المدرسة السلفية ص ١٣٥.

(٢) علي سامي النشار مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص ٢٧ .

(٣) سنبين موقف هؤلاء في تحليلنا لشرح السنوسي لمختصره في المنطق اثناء الحديث عن حكم تعلم المنطق .

٣) وقسم آخر من الأصوليين والمتكلمين أخذوا بالمنطق اليوناني مع محاولة تنقيته من ميتافيزيقا اليونان وملئه بمادة جديدة[١] كما هو الحال عند الغزالي، وقد تبعه السنوسي في هذا، وهو ما يجعلنا لا نتعرض للقسمين الأول والثاني، ونكتفي بالتعرض لموقف الغزالي من المنطق، ومزجه له بعلوم المسلمين، ثم نبين العلاقة بينه وبين السنوسي، مبرزين الجديد الذي أتى به كل منهما وهو ما يجعلنا نحدد مكانة السنوسي بين مناطقة المسلمين ومنهجه المنطقي.

موقف الغزالي من المنطق الأرسطي ومزجه بعلوم المسلمين :

لقد لفت الغزالي أنظار المسلمين إلى أهمية المنطق وإلى أهمية دراسته، وتتمثل فائدته في التخلص من حاكم الحس والهوى والتمسك بحاكم العقل والتوصل إلى درجات السعادة.

وقد ألف كثيراً من الكتب في المنطق منها (معيار العلم) و (محك النظر) و(القسطاس المستقيم) و (مقدمة المستصفي) وقسم كبير من (مقاصد الفلاسفة) وقد بين أهمية المنطق في هذا الأخير بقوله " وأما المنطقيات فأكثرها على منهج الصواب والخطأ نادر فيها وإنما يخالفون أهل الحق فيها بالإصطلاحات والإيرادات دون المعاني والمقاصد، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات وذلك مما يشرك فيه النظار[٢] وهكذا نجد الغزالي يتخلص من المنطق الإسلامي الذي اتبعه الفقهاء والأصوليون من قبل الغزالي.

ومن هنا فقد تبنى المفهوم الأرسطي للحد الذي يعني ما هية الشيء أو ذاتيته بدلا من التعريف الأصولي للحد الذي يعني تفسير الشيء لتمييزه عن غيره دون

(١) المصدر نفسه ص ٢٨ .

(٢) أبو حامد الغزالي مقاصد الفلاسفة، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ط ٢ دار المعارف مصر ص ٣٢ .

البحث عن الحقيقة أو الماهية. لأن الماهية يصعب التوصل إلى معرفتها[١] ويبدأ عملية المزج بين علوم الإسلام وبين المنطق الأرسطي، ويظهر هذا المزج واضحاً في كتابة (المستصفي) الذي يعد أول محاولة لإقامة أصول الفقه على أسس المنطق الأرسطي وقد دعاه إلى هذا المزج اعتقاده بيقينية المنطق، وبأنه قانون عام يشترك فيه النظار[٢].لكن الغزالي يعلن هذا محاولة منه في جعل المنطق اليوناني وعاء يصب فيه مادة جديدة تختلف عن المادة اليونانية التي كانت منصبه فيه.ذلك أنه كان يعتقد أن القوالب المنطقية صحيحة، ولكن المادة المنصبة فيها غير صحيح أغلبها. والدليل على هذا هو الأمثلة الفقهية التي كان يكثر من إيرادها في قوالب منطقية ومنها ما أورده في قياس الخلف بعد أن بين صورته إذ يقول " كل ما هو فرض فلا يؤدي على الراحلة والوتر فرض، فإذاً لا يؤدي على الراحلة[٣] "

ومن هنا نستنتج بأن الغزالي لم يكن متعصباً للمنطق اليوناني وهو على حالته وإنما أراد أن يجعله قوالب يونانية فيها مادة إسلامية وذلك بعد أن خلصه من الميتافيزيقا اليونانية تقريباً (وهذا مما تأثر به السنوسي كما سنبين) .

و يؤكد الغزالي أهمية المنطق في العلوم النظرية سواء كانت عقلية أو فقهية، أي أن العقليات والفقهيات تتفقان في الصورة وتختلفان في المادة، ولذا فإن فائدته عامة لجميع هذه العلوم، و من هنا فقد تحمس له ورأى أن جميع المناهج الأخرى لا توصل إلى اليقين" فكل نظر لا يتزن بهذا الميزان، ولا يعاير بهذا المعيار، فاعلم أنه

---

(١) مهدي فضل الله آراء نقدية في مشكلات الدين والفلسفة والمنطق ط ١ دار الأندلس بيروت ١٩٨١م ص ٢٠٤ .

(٢) علي سامي النشار (مناهج البحث عند مفكري الإسلام) ص ١٣٣ .

(٣) الغزالي (معيار العلم) ط ٣ دار الأندلس ، بيروت ١٩٨١، ص ١١٤ .

فاسد العيار، غير مأمول الغوائل والأغوار[١]" وهذا ما جعل كثيراً من الفقهاء والمفكرين يثورون عليه وينكرون انحرافه عن العادات في تفهيم العقليات القطعية بالأمثلة الفقهية الظنية.ولكن الغزالي يسخر منهم ويتهمهم بالجهل بصناعة التمثيل. وأن صناعة التمثيل لم توضع إلا لتفهم الأمر الخفي بما هو الأعرف عند المخاطب المسترشد[٢] " ليقيس مجهوله إلى ما هو معلوم عنده فيستقر المجهول في نفسه، فإذا كان الخطاب مع نجار لا يحسن إلا النجر وكيفية استعمال آلاته وجب على مرشده أن لا يضرب له المثل إلا من صناعة النجارة ليكون ذلك أسبق إلى فهمه وأقرب إلى مناسبة عقله[٣]".

ونجد الغزالي لا يقتصر على إيراد الأمثلة الفقهية، بل يحلل الإستقراء الناقص والقياس التمثيلي على أنهما طريقتان من طرق الفقه التي توصلنا للظن. وهذا هو المطلوب في الفقه، وظنية الاستقراء راجعة إلى اقتصاره على بعض الجزئيات، غير أن الإستقراء الفقهي يمتاز عن الأرسطي بكوننا نستطيع أن نرجع في سلسلة من الجزئيات على سلسلة أخرى لنتوصل إلى حكم كلي.

أما ظنية القياس التمثيلي فسببها كون المقدمة الكبرى فيه ظنية، وهو يختلف أيضاً مع القياس التمثيلي الأرسطي إذ هو " إنتقال الذهن من حكم أحد الشيئين إلى الحكم الآخر لجهة مشتركة بينهما[٤]".

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٧.

(٢) علي سامي النشار مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص ١٣٤ .

(٣) الغزالي (معيار العلم) ص ٢٧ .

(٤) محمد رضا المظفر، المنطق ط ٣ دار التعارف بيروت. ١٩٨٠، ص ٢٦٨ .

ما هو الجديد عند الغزالي ؟

لقد رأينا تحمس الغزالي للمنطق الأرسطي، وهو ما جعله يبالغ في تمجيده والدعوة إليه و لكن رأى كثيراً من مصطلحاته لا تتناسب مع اللغة العربية ومع الحضارة الإسلامية ، فوضع له كثيراً من الإصطلاحات الجديدة، نلاحظها مبثوثة في مختلف كتبه المنطقية ك (معيار العلم) و (محك النظر) و (القسطاس المستقيم) هذه المصطلحات بعضها مأخوذ من عند النحويين ككلمية (معرفة)و

(علم) اللذين وضعهما مكان كلمتي (التصور والتصديق)[1] كما نجده يسمي القضايا الكلية المجردة (بالوجوه أو (الأحكام) وهما تعبيران كلاميان، وتعصبه للمنطق جعله يبتعد عن إضافة أشياء جديدة إليه ذلك أنه كان يرى بأن المنطق يجب أن يتحد فيه المسلمون مع اليونان اللهم إلا في الإصطلاحات والمحتوى.

ومن هنا فاته صب في المنطق أمثلة فقهية وشرح فيه أبحاث أصولية، كما حاول أن يرد بعض الحجج الدينية إلى صورة منطقية معتبراً بأنها يقينية[2]، وبعبارة أخرى فإنه أستطاع أن يطبق قواعد المنطق بعمق على نواحي تفكيره المختلفة من كلام وأصول وفقه، كما وائم في أحيان كثيرة بين اصطلاحات المنطق وغيرها من اصطلاحات العلوم الإسلامية[3] فالمنطق في نظرة إذن ميزان صحيح يجب استعماله في مختلف العلوم ولكي يقضي المسلمون على ما بينهم من اختلافات لا بد أن يستخدموا الموازين الخمسة المسماة بالقسطاس المستقيم لأنها مدارك اليقين قطعاً، وهي في نظره مستمدة من القرآن ومن السنة، وهي منهج الأنبياء عليهم الصلاة

---

(١) علي سامي النشار مناهج البحث عن مفكري الإسلام ص ١٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٥ـ ١٣٧ .

(٣) محمد عبد الستار أحمد نصار المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام ص ١٨٨.

والسلام "فاعلم أن موازين القرآن في الأصل ثلاثة:ميزان التعادل، وميزان التلازم، وميزان التعاند، ولكن ميزان التعادل ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأكبر والأوسط والأصغر فيصير المجموع خمسة[1] هذه الموازين أنزلها الله في كتابه وعلم الوزن بها أنبياءه[2].

ولكن هذه الموازين لا تخرج عن المنطق اليوناني، إذ نجد الميزان يتكون من عنصرين هما عنصرا القياس وهما الصفة و الصورة والمادة أو المقدمات فالصورة تختلف بإختلاف شكل تأليف الميزان وهي الأشكال الخمسة السابقة. أما مادة الموازين في المقدمات أو الأصول، وتنتج نتائج ظنية إذا كانت ظنية، ويقينية علمية إذا كانت ضرورية. والشيء الذي ينبغي ملاحظته أن هذه الموازين الخمسة التي يسميها القسطاس المستقيم أو الموازين، ليست شيئاً جديداً أتى به الغزالي، وإنما هي القياس الأرسطي بعينه، إذ نجد الأنواع الثلاثة، وميزان التعادل هي على الترتيب متناسبة مع أشكال القياس الاقتراني الثلاثة، وميزان التلازم والتعاند يناسبان القياس الشرطي المتصل والمنفصل، ولكن أهمل كلمة (قياس) لأنها لم تعد ذات مدلول علمي لكثرة استعمال المغالطات فيها من طرف أصحاب الجدل السفسطائي، فأراد أن يعيد الإعتبار للقياس من جديد تحت اسم آخر هو الميزان الذي يعني القياس العلمي أو البرهان المفيد للمعرفة الضرورية.

ويمكننا أن نقول بناء على ما سبق أن الغزالي لم يضف شيئاً جديداً إلى صورية المنطق، بل كان منطقه من حيثيتها يونانياً محضاً بلغ به التعصب إلى حد

(١) الغزالي القسطاس المستقيم تحقيق فيكتور شلحت ط ٢ دار المشرق بيروت ١٩٨٣، ص ٤٦.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٣ .

إعتباره يقينياً مطلقاً، يجب تطبيقه في جميع المعارف الدينية والهندسية، ومن لا يحيط به فلا ثقة بعلومه أصلاً[١].

نسبية المنطق عنده:

إذا كان الغزالي قد لفت انظار المسلمين إلى أهمية المنطق وإلى أهمية دراسته لأنه في نظره مفيد في العلوم النظرية، وفائدته تتمثل في التخلص من حاكم الحس والهوى بحاكم العقل.

إلا أن هذا المنطق لم يصبح عنده في النهاية إلا آلة ذات استعمال محدود، وقد تبين هذا الموقف بكل جلا في كتابه (المنقذ من الضلال) حيث يرى أنه ميزان توزن به أشياء معينة دون غيرها.فهو مثلاً مفيد في العلوم التي تحتوي على كليات عامة متفق على صحتها من قبل الناظرين، إذ يمكنهم بواسطة المنطق استخراج الجزئيات منها، وهنا يخالف موقفه السابق، ويختلف كذلك مع الفلاسفة الذين يثقون بالمنطق ثقة مطلقة كالفارابي وابن سينا وغيرهم من الذين يرون أن استعماله واجب في جميع المجالات، ويمكن تلخيص انتقاداته للمنطق فيما يأتي:

١. قصور البرهان المنطقي عن التوصل إلى اليقين في القضايا الإلهية والروحية لأنها خارجة عن نطاقة[٢]، حيث أن العقل لا يمكنه إدراكها بمفرده، فالأقيسة العقلية إذن ليست صالحة لذلك ولذا يجب أن نقيم إيماننا الديني على أساس ما جاء به الوحي وكلما ابتعد الإيمان عن أقيسة المنطق وبراهينه كان أقوى في النفس وأقرب إلى الصواب. أن العقل المنطقي أقل مرتبة من الكشف الصوفي وأعلى من الحس لأن المعرفة الحسية معرضة للخطأ ومعلوم أن الذي كذب

(١) الغزالي المستصفي ط ١ المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٩٣٧ ، ص ٧ .

(٢) علي سامي النجار مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

الحس هو العقل ونحن لا نستطيع أن نضمن بأن معرفة العقل صحيحة ، بل يمكن أن يخطئ، إذ ما المانع من وجود شيء آخر أسمى من العقل يكذب العقل كما كذب العقل الحس[١] ومن هنا أثبت الغزالي بأن هناك إدراكاً آخر وراء العقل أسمى منه يتمثل في وحي الأنبياء وكشف المتصوفة ، هذا الإدراك يجب أن تقوم عليه العقائد الدينية، ومن هنا نلاحظ أن الغزالي نقد مبدأ العقلانية حيث يرى بأن العقل قاصر لا يمكنه أن يدرك كل شيء، وهنا تشابه مع كانظ الذي له نفس الرأي تقريباً[٢].

وبالإضافة إلى نقده لمبدأ العقلانية نجده ينقد كذلك مبدأ السببية (يتشابه مع هيوم) حيث يرى بأننا نشاهد تعاقب الحوادث مرة بعد أخرى فنسمي الأولى سبباً والثانية نتيجة، هذا في نظره ليس راجعاً إلى تأثير الأولى في الثانية، ولكنه راجع إلى العادة فقط حيث اعتدنا رؤيتهما متعاقبين، ولا ضمان لنا بأن ما حدث سيحدث كما حدث، وكل ما حدث من تعاقب إنما حدث بأمر الله فإذا شاء الله تعطيله تعطل[٣] ومعلوم أن مبدأ السببية والعقلانية من أهم المبادئ التي يقوم عليها المنطق الأرسطي.

٢. اتصال المنطق بالميتافيريقا اليونانية لأنها كانت تمثل محتواه، وهي تخالف في جوهرها روح الحضارة الإسلامية، وقد حاول الغزالي تنقيته منها كما رأينا من قبل، وذلك بمائة بمادة جديدة إلا أن طغيان النزعة الصوفية عليه جعلته يقلل من ثقته بالعقل خاصة فيما يتعلق بقضايا الدين.

---

(١) الغزالي المنقذ من الضلال ص ٩١ـ ٩٢ .

(٢) على الوردي منطق (ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته الشركة التونسية للتوزيع تونس، ١٩٧٧ ص ٢١ .

(٣) الغزالي تهافت الفلاسفة ص ١٩٥ـ ١٩٦ .

٣. خوفه من اغترار الناس بوضوح قواعد المنطق مما يجعلهم يعتقدون أن معتقدات اليونان الفاسدة صحيحة لأنها تعتمد على هذا المنهاج الواضح، فيزيغون قبل معرفة الحق[(١)] هذه الانتقادات جعلت الغزالي يقلل ثقته في المنطق ويتوصل إلى أن الكشف الصوفي في الطريق السليم لمعرفة الحق وهذا لا يعني أنه رفض المنطق رفضاً مطلقاً ، إن المنطق كمنهج بحث مقبول لكن في غير العلوم الدينية " وأما المنطقيات فلا يتعلق شيء منها بالدين نفياً أو إثباتاً ، بل هو النظر في طريق الأدلة والمقاييس ، وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها[(٢)] "ويبين الغزالي أن أخطاء المفكرين ليس سببها استخدامهم المنهج المنطقي في البحث وإنما سببها خروجهم عن ذلك المنهج في نهاية البرهان أي احتيالهم عليه و هو ما يؤدي إلى الوقوع في الأخطاء " نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم، وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا محالة، لكنهم عند الإنتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط، بل تساهلوا غاية التساهل[(٣)] " .

تأثير السنوسي بهذا الاتجاه:

لقد كانت دعوة الغزالي إلى الأخذ بالمنطق ذات تأثير كبير على المفكرين الإسلاميين عموماً وإذا كان نقده للفلسفة اليونانية جعل المسلمين يهملونها، فإن دعوته الأولى للأخذ بالمنطق جعلتهم يهتمون به اهتماماً كبيراً، وأصبحوا يؤلفون فيه الكتب ويستخدمونه في مباحثهم الكلامية والفقهية، كما أصبحوا يحددون مصطلحاتهم انطلاقاً منه، ورفضوا كثيراً من تعاريف الأصوليين الأوائل وأصبحوا

(١) الغزالي المنقذ من الضلال ص ١١٦ علي سامي النشار مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص ١٣٨.

(٢) الغزالي المنقذ من الضلال ص ١١٦.

(٣)المصدر نفسه ص ١١٦.

يتكلمون عن الظن في القياس التمثيلي، وعن اليقين في القياس المنطقي ويخرجون حججهم في صورة القياس المنطقي، وأصبح قياس الغائب على الشاهد موصلاً للظن فقط، وأصبح كثير من علماء الإسلام ينادون بضرورة تعلم المنطق، وهكذا فقد أثر الغزالي تأثيراً كبيراً في الوطن الإسلامي عامة.

أما تأثيره في المغرب العربي فقد كان بواسطة ابن تومرت (المتوفى سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م) الذي أيد شيخه الغزالي في هذا، وطبق منهجه " ونزعة الغزالي في الأخذ بالمنطق غلبت على الناس في المغرب بعد مجيء ابن تومرت إليها بمنهجه وتأييده لشيخه الغزالي[1]" وذلك أن المنطق قبل عهد الموحدين كان يعتبر من العلوم التي يجب تركها، ولكن عندما رجع المهدي من المشرق بعد دراسته على الغزالي الذي أفتى بأن من لا يعرفه لا يوثق بعلمه، أصبح للغزالي ومؤلفاته مكانة كبيرة في المغرب فبدأ العلماء على اختلاف تخصصاتهم يهتمون بالمنطق حتى الفقهاء، وذلك أن الغزالي طوع المنطق للفقه وضرب الأمثلة والشواهد على مسائل المنطق من مسائل الفقه وألفاضه ليقربه إلى الأذهان، فأزال المهدي ما كان بالنفوس من اشمئزاز من المنطق ونفور منه وحبب كتب الغزالي للناس وعرف الناس أنه يوافق الغزالي، فاهتموا بكتب الغزالي وأعجبوا بها وبما رأو فيها من جودة النظام والترتيب الذي لم يروا مثله في غير كتب الغزالي فأصبح الغزالي محبوباً من طرف أغلبية الناس، ولكن إذا كانت العناية بالمنطق قد بدأت منذ القرون ٦. فإن انتشاره على شكل واسع لم يتم إلا في القرن٧ [2].وبرز فيه الكثير من العلماء وألفوا فيه الكتب وأدخلوه في العلوم منهجاً للفهم والتقرير والبرهان – وهو ما فضله السنوسي– ومن أهم من برز فيه من رجال القرن ٧ محمد بن عبد

(١) فضيلة إستاذنا د / طالبي آراء ابن بكر بن العربي الكلامية ط ١ ، ص ١٥ .

(٢) عبد المجيد النجار المهدي بن تومرت ، ب ٤٧٠، ٤٧١ .

الوهاب بن عبد القادر (توفى سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) الذي قال فيه الغبريني[1]". له علم بأصول الدين وأصول الفقه ومعرفة الحكمة وبراعته في علم المنطق وخصوصاً على طريقة المتأخرين ولم يكن في وقته أعلم منه (بكشف الأسرار) الذي وضعه الخونجي في علم المنطق وهو أعلم به من واضعه " ومنهم أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي (ت سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م) وغيرهم[2] ".

وبهذا الإنتشار لعلم المنطق اختلط بالعلوم الأخرى كالكلام والفقه والأصول وغيرها بحيث أصبحت تعتمد عليه كمنهج في تبويبها والاستدلال على مسائلها، وقد انقرضت نزعة المعارضة له تدريجياً وأصبح يعد علماً من العلوم التي يأخذها كل متعلم كما يأخذ النحو والفقه وغيرهما، واندمج في سائر العلوم واندمجت سائر العلوم به كما هو الحال عند ابن عرفة (توفى سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) في كتابه (الحدود) وفي (مختصره الفقهي) " وكان السبب الأول في تحول أهل المغرب من رفض المنطق إلى قبوله: المنهجية العقلية التي دعا إليها ابن تومرت[3] "والسنوسي من الذين تأثروا بمنهج ابن تومرت مما جعله يشرح عقيدته المرشدة ويشيد بها. ولذلك فقد تأثر بمنهج الغزالي الذي دعا إليه ابن تومرت، وقد ظهر هذا واضحاً في أمور كثيرة بيناها في تحليلنا لشرح السنوسي لمختصره في المنطق. وقبل أن نشير إلى بعضها نبين موقفه من المنطق وأهميته، وفائدته عنده بإيجاز، ثم نعود إلى تأثره بالغزالي، والفرق بينهما، وذلك ليكون منهج السنوسي واضحا.

---

(١) هو العباس أحمد بن أحمد الغبريني نسبة إلى غبرا من قبائل البربر بالمغرب، ولد في بجاية و تولى قضاءها له مؤلفات منها عنوان الدراية في منعرف من العلماء المائة السابقة في بجاية ما تشهيد ببجاية سنة ٧١٤هـ -١٣١٥م الزركلي، الأعلام ؟؟؟؟ص٨٧.

(٢) عبد المجيد النجار المهدي بن تومرت ص ٤٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٧٣.

المبحث الثاني: المنطق عند السنوسي ومدى تجديده فيه: -

يمكننا أن نقول بأن السنوسي امتداد لأبي حامد الغزالي وقد تأثر به في ثلاثة أمور أساسية.

١. العقيدة/ ومما تأثر به فيها تقسيم الناس إلى عوام وخواص وأهل جدل[١].

٢. التصوف / ومن أهم ما تأثر فيه ، تربية النفس وتوبيخها[٢].

٣. المنطق / وسنبين ما تأثر به فيه ومن هنا فإن السنوسي يأخذ بالمنطق الأرسطي ولكنه يرى بأنه لما كان المكتسب من العلوم منحصراً في التصورات والتصديقات نحتاج فقط إلى ما يوصلنا إلى معرفة ما نجهل منهما، ولما كان العقل لا يؤمن عليه من الخطأ إذا سلك هذين الطريقيين لكثرة إلتباس الحق بالباطل فلا بد من استخدام قواعد عقلية قطعية، يعرفها العقل أولاً ويعرف صحتها ضرورة، ثم يطلب بها ما جهله من العلوم التصورية والتصديقية هذه القواعد هي المنطق ونظراً[٣] لما للمنطق من أهمية فإنه يعيب على الذين يرفضونه ويعدهم جهلة به "وربما يصرح بتحريمه من لا معرفة له بحقيقته[٤] ".

فالسنوسي إذن يأخذ بالمنطق ويعيب على الذين يرفضونه وهو متأثر في هذا الأخذ بالغزالي، وبابن عرفه، وقد بين السنوسي بأثره بابن عرفه في هذا الأخذ صراحة[٥].

---

(١) جمال الدين بوقلي حسن الإمام بن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ١١١ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧/ أ .

(٣) السنوسي ، شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٧/ أ.

(٤) الملالي المواهب القدسية ص ١٠٤/ب.

(٥) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧/ ب .

أما فائدة المنطق فنستشفها من تعريفه له ومما قرره صراحة، فيعرفه بأنه" قانون تعصم مراعاته بتوفيق الله تعالى الذهن من الخطأ في فكرة، كما يعصم النحو اللسان من اللحن في قوله[١] " و بالإضافة إلى هذه الفائدة فإنه " يسهل للعقل وعر الأنظار، ويتسع به مجال الفكر مع الراحة والأمن من الخطأ في سلوك مفاوز الاعتبار[٢] " وبالجملة، فالعلوم متيسرة طوع اليد لمن حقق المهم من هذا الفن أن يسر ذلك الله عز وجل[٣].

وما يجب ملاحظته هنا أن تعلم المنطق ليس عاماً لكل أحد فصاحب العقل الذكي والطبع السليم لا يحتاج إلى تعلمه وهنا نميز بين شيئين، معاني قواعد المنطق المركوزة في عقل كل أحد وتعلم اصطلاحاته وضبط قواعده، فمعاني قواعد المنطق فطرية لا يستطيع أي إنسان طلب العلوم المكتسبة بدونها. والسنوسي يحدد العلوم بالمكتسبة تمييزاً لها عن الوحي.

أما ما يستغني عنه الأذكياء فهوتعلم اصطلاحات المنطق وحفظ ضوابطه[٤].

ونحن نجد لأول مرة تمييزاً بين معاني قواعد المنطق الفطرية واصطلاحات المنطق وقواعده المكتسبة بعد تعرضنا لأهمية المنطق وتعريفه وفائدته عند السنوسي نعود إلى تأثره بالغزالي والفرق بينهما فالسنوسي يعتبر امتدادا للغزالي، ومما تأثر به تنقيته المنطق من ميتافيزيقا اليونان وملئه بعلم الكلام الإسلامي وقد كان منطق السنوسي أكثر ميتافيزيقا من منطق الغزالي مما جعله يبدأ كتابه " المقدمات " وشرحه له – وهو كتاب في علم الكلام- بدء منطقياً وذلك بتعريف الحكم تعريفاً

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧ / ب .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧/ب.

(٣) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧/ب .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٧/ ب.

منطقياً، ونص ذلك " الحكم إثبات أمر لأمر أو نفيه، يعنى أن من أدرك أمراً من الأمور فإما أن يتصوره معناه فقط ولم يحكم بثبوته ونفيه، فهذا الإدراك سمي في الاصطلاح تصوراً كاد راكناً مثلا أن معنى الحدوث الوجود بعد عدم ولم نثبته لأمر ولا نفيناه عنه وإما أن نتصور مع ذلك ثبوت ذلك المعنى لأمر أو نفيه عنه، فهذا الإدراك يسمى في الإصطلاح تصديقاً"[1] ..... إلخ .

وبالإضافة إلى هذا فإن شرح السنوسي لمختصره في المنطق مليئ بالأمثلة من علم العقيدة كالبراهين على وجود الله وحدوث العالم وغير ذلك وقد توصلنا في دراستنا لمنطقة إلى أنه صب في قواعد المنطق مادة إسلامية، وهو ما فعله الغزالي من قبل.

لكن السؤال الذي نطرحه ونجيب عنه هو: هل استخدم السنوسي المنطق كمنهج في علم الكلام؟ وهنا تثار مشكلة وهي أنه قد يقال بأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين طبيعة الموضوع المعالج وطبيعة المنهج المستخدم، فالموضوع المعالج يتأثر حتماً بالمنهج المعالج، وقد تتغير حقيقة الموضوع عندما يعالج بمنهج غريب عن طبيعته"[2]. وعلى هذا الأساس فإن معالجة موضوعات العقيدة باستخدام منهج الفلسفة الذي هو المنطق غلط جوهري، ونجيب على هذا الإشكال بأن السنوسي استخدم المنهج القرآني في علم الكلام لا منهج الفلسفة، والمنهج القرآني يعتمد على العقل حيث يأمر الإنسان بالبحث في كل ما يوصل إلى معرفة الله واثبات خلقه للحوادث وفنائها وغير ذلك، والقرآن الكريم ذاته يخاطب العقل ويأمر باستخدامه ويعيب على الذين لا يستخدمونه.

---

(١) السنوسي ، شر المقدمات في علم الكلام ورقة ١٩٢/أ .

(٢) مهدي فضل الله آراء نقدية في مشكلات الدين والفلسفة والمنطق ص ٢٠٠ .

والمنطق قوانين تنشط الذهن الإنساني وتمنع تحجره ويضبط به الإنسان منهجه بيحث لا يقع في تناقضات أو يخرج عن الموضوع المعالج إلى غير ذلك من فوائده .

والسنوسي تنبه إلى هذا الإشكال، وظهر لنا هذا في تمييزه بين معاني قواعد المنطق واصطلاحاته وضوابطه.

فمعاني المنطق فطرية ولسيت منهجاً خاصاً بالفلسفة، فكل عاقل يجدها مركوزه في ذهنه دون أن يتعلمها، وعندما نعالج مواضيع علم الكلام تكون إذن معاني تلك القواعد مساعدة لنا في البحث وهنا لا نتأثر بمنهج الفلسفة ولا بوثنية اليونان ولا نكون قد أدخلنا جسماً غريبا إلى الإسلام أما اصطلاحات المنطق وضوابطه فهذه يستطيع كل عاقل الإستغناء عنها ولكنها مع ذلك تفيدنا. لكن الذي يهمنا لأنه يفيدنا هو ما يكتسب به التصورات والتصديقات أما ما يشوش الذهن ويبعدنا عن الهدف فلا نحتاج إليه[1] .

وعلى هذا الأساس فإن استخدام هذا القسم من المنطق هو استخدام للمنهج العقلي. والشريعة لا تقوم إلا على العقل .

والحقيقة أننا عندما ندرس علم الكلام السنوسي نجده متوافقاً مع هذا، إذا لا نجد أثر للوثنية اليونانية ولا لانحرافات المنحرفين من الفلسفة في علم الكلام الذي أبدع فيه أيما إبداع، وهذا ما جعل كتبه تستحوذ على العالم الإسلامي ما يزيد على خمسة قرون. بل يعود الفضل في الحفاظ على العقيدة الإسلامية سليمة في الجزائر خاصة رغم ما تعرضت له من بؤس الإستعمار وحملات التبشير والتنصر وإذا كان السنوسي قد عمل على أسلمة المنطق متأثراً بالغزالي فإنه تأثر كذلك في محاولة

---

(١) السنوسي شرحه لمختصر في المنطق ورقة ٢٢٧/أ .

استنباط أشكال القياس الثلاثة الأولى من القرآن الكريم، وقد استخدم نفس الآيات التي صاغها الغزالي على هيئة أقيسة منطقية وبنفس الكيفية تقريباً[١] ومما تأثر به كذلك موقفه من قانون السببيه وذلك أنه يتفق مع الغزالي في أن السبب الحقيقي هو الله عز وجل، وأما ما نعتقده سبباً فليس راجعاً إلا لتعودنا على رؤية الإقتران وليس دليلاً على وجود سببية بين ما نسميه سبباً وما نسميه مسبباً[٢]. وهذا يعني أن السنوسي لم يكن يثق بالمنطق كمصطلحات وضوابط ثقة مطلقة، وهوما يتناسب مع ما قرره من أن المنطق لا تحتاج إليه إلا فئة معينة بينها بدقة .

وإذا كان السنوسي قد تأثر بالغزالي كل هذا التأثر، فقد خالفه في أشياء كثيرة منها:-

- أن الغزالي أخذ المنطق بجانبيه الصوري والمادي، أما السنوسي فلم يأخذ إلا بالجانب الصوري فقط.
- الغزالي رفض دلالة الإلتزام كما بينّا في تحليلنا لشرح السنوسي لمختصره في المنطق لأنها في نظره لا تضبط ولا تنحصر في حد[٣]، بينما السنوسي أخذ بها وقد بينا أهميتها وفائدتها.
- الغزالي يرى أن أشكال القياس ثلاثة فقط، وأما السنوسي فيرى أنها أربعة وذلك بقبوله الشكل الرابع. والسنوسي تأثر أيضاً بمناطقة آخرين ومنهم ، أفضل الدين الخونجي (ت سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) وقد شرح السنوسي جملة في المنطق، كما أورد في شرحه لمختصره في المنطق بعض أفكاره، وهنا نختلف

(١) أنظر الغزالي الفسطاس المستقيم ص ٤٩، ٥٥، ٥٩ ، السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٧ / أ

(٢) الملالي المواهب القدسية ورقة ١٤٤/ ب .

(٣) الغزالي محك النظر في المنطق دار النهضة الحديثة بيروت ، ١٩٦٦، ص ١٦ .

مع عادل فاخوري الذي يعتبر السنوسي مجرد شارح للخونجي لا أكثر[1]. صحيح أن السنوسي شرح جمل الخونجي، ولكنه كان ناقداً للخونجي كذلك ومن أهم ما نقد السنوسي فيه الخونجي معيار الصدق والكذب في المنحرفات التي من بينها قضاياكم المحمول التي بيناها في تحليل لشرح السنوسي لمختصره في المنطق، وهذا ما غاب عن عادل فاخوري.وكما تأثر السنوسي بالخونجي تأثر كذلك بابن عرفة، وقد شرح مختصر ابن عرفة في المنطق ولكن السنوسي امتاز كذلك بنقده لابن عرفة ومخالفته له في كثير من القضايا، وكان أكثر دقة منه كما هو مبين في تحلينا لشرح السنوسي لمختصره في المنطق.

وإذا كان السنوسي قد تأثر بهؤلاء ، فإنه تأثر بغيرهم من المنطق كابن سينا، والكاتبي (المتوفى سنة ٤٩٣هـ) والقطب الرازي (المتوفى سنة ٧٧٦هـ) وغيرهم ، وقد بينا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً خلال تحليلنا لشرحه لمختصره في المنطق. ولكنه رغم تأثره بهؤلاء فإن شخصيته تبقى بارزة بما اتسم به من روح نقدية وبما أضافه وأعاد ترتيبه.

بعد هذا يمكننا أن نتوصل إلى معرفة منهج السنوسي في المنطق، أنه منهج يجمع بين روح العصر الذي كان يعيش فيه وبين الحداثة، فهو يمثل روح عصره في أنه لم يخرج عن طريقة كتابة المختصرات التي كان المفكرون يتبعونها في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، وذلك بسبب قصور الهمم وعجزها عن فهم المطولات، وعجز المفكرين عن الإبداع الذي كان سمة بارزة لمفكرينا وفلاسفتنا السابقين وذلك حتى يكون المختصر سهلاً للطلاب فيحفظونه ويستوعبون المبادئ الأساسية لذلك العلم

(١) عادل فاخوري منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث ط ١ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٠ ص٨٣.

وهذا يعني أن من أعراض السنوسي في كتابه مختصره في المنطق تعليم الناس هذا الفن من العلوم .

أما الحداثة فتتمثل في شرحه لهذا المختصر الذي رغم أنه هو عادة مفكري عصره الذين لجأوا إلى شرح المختصرات إلا أن فيه إبداعاً من حيث المنهج ومن حيث المحتوى، فمن حيث المنهج اتسم بعمق الفكر وبعد النظر، وعدم التكرار لما سبق فهو نقد للمناطقة المختلفين كالخونجي وابن عرفة وغيرهما نقداً علمياً، وتحليل لأهم الأفكار المنطقية بغية توضيحها وتبيين وجه الصواب والخطأ فيها وقد اتبع فيما بحثه منهجاً استقصائياً بحيث يبحث المشكلة من جميع الجوانب، وهو ما جعله يعيد النظر في كثير مما كتبه المناطقة المختلفون، وقد اقتصر كما قلنا من قبل على الجانب الصوري فقط، وقد قسم هذا الجانب إلى أربعة أقسام هي مبادئ التصورات ومقاصدها، ومبادئ التصديقات ومقاصدها. وقد قدم على هذه الأقسام الأربعة مدخلاً وحديثاً مطولاً في مبحث اللفظ من حيث دلالته على المعنى ومن حيث ذاته، أما من حيث المحتوى فيتمثل فيما توصل إليه من أفكار جديدة وهذا يدفعنا إلى معرفة الجديد عنده.

عندما نتحدث عن الجديد لا نطلب منه أن يغير لنا كل المنطق رأساً على عقب، هذا المنطق الذي ذهب كانظ إلى القول بأنه ولد كاملاً ، ولكن المقصود بالجديد أنه إما الإتيان بأفكار جديدة أو تصحيح لأفكار قديمة، أو تدقيق ما كان غير مدقق. ومن هذه الحيثية فإننا نستطيع القول بأننا اكتشفنا أشياء جديدة. توصل إليها السنوسي. ومنها نظرية كم المحمول ، وهذا يجعلنا نغير الاعتقاد السائد الذي يقوم على أن الفيلسوف الإنجليزي وليام هاملتون (١٧٨٨م ـ ١٨٥٦م) هو الذي إكتشفها، وإذا كان المفكرون المسلمون السابقون عن السنوسي تنبهوا إليها فإن أهمية السنوسي تكمن في تحديدها بدقة وضبط معيار صدقها وكذبها لتكون ذات قيمة وهو في هذا فريد من نوعه : -

- أضافته قضايا جديدة إلى المنحرفات.
- مخالفة لأكبر المناطقة كأرسطو و ابن سينا في ترتيب ضرب الشكل الثالث المنتجة.
- جعل بعض التعارف المنطقية أكثر دقة من غيره كتعريفة للعكس.

وقد بينا كل هذا في تحليلنا لشرحه لمختصره في المنطق كما بينا كل ما اكتشفناه من إبداعه.

وهنا نجد أنفسنا مضطرين لمخالفة عادل فاخوري الذي يرى أن السنوسي ينتمي إلى عصر الشراح الذي يبتدئ من القرن ١٤، وقد ركز أصحابه إما على شروح النظريات المنطقية السابقة أو على شروح شروحها،أو تآليف الكتب المدرسية وهي عامة لا تأتي بشيء جديد إطلاقاً[(١)] .

والحقيقة أن شرح السنوسي لمختصره في المنطق ليس تكراراً لما سبق، وهذا لا يعني أنه لم يتأثر بمن سبقوه، وقد بينا هذا التأثر في تحليلنا لشرحه لمختصره في المنطق – وإنما هو صياغة جديدة، وقد اتسم بإعادة النظر في كثير من القضايا مبينا خطأ المناطقة ووجه الصواب في ذلك، كما خالفهم في ترتيب بعض أبواب المنطق وكان أكثر منهجية، وقد اتبع منهجية وقد اتبع منهجا تحليلياً نقدياً واستقصائياً في الآن ذاته، جعله يتوصل إلى اكتشاف الجديد كما بينا، وهو ما يجعل كتابه الذي جعلناه جديراً بالدراسة والإهتمام.

ويجب أن نبين قضية مهمة، وهي أن هناك فرقاً بين مختصره في علم المنطق وشرحه لذلك المختصر فالمختصر لا يخرج عما اعتاد عليه مفكروا عصره من كتابة

(١) عادل فاخوري ، منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، ص ٣٤.

المختصرات، وهي تتسم بالإختصار الشديد الذي يؤدي إلى غموض المعنى في بعض الأحيان.

أما شرحه لذلك المختصر فهو يختلف عن هذا، وقد خالف السنوسي في شرحه ما مر عليه في الأصل عندما يرى ذلك ضرورة، ومثال ذلك ترتيبه لأضرب الشكل الثالث المنتجة من القياس الاقتراني الجملي فقد وافق المناطقة المختلفين كأرسطو وابن سينا وغيرهما في المختصر، لكنه خالف هؤلاء في الشرح قد بين هذا بنفسه وبين العلة في ذلك[(١)]، وهذا مما يبين أهمية هذا الشرح الذي قسم فيه المنطق إلى أربعة أقسام كما في المختصر وهي التي بيناها من قبل.

وهنا نتوصل إلى سؤال نختم بجوابه هذا الفصل، وهو لمن كتب السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ؟

- لعلماء العقيدة وذلك كي ينشطوا عقولهم ويدرءون به حجج المبطلين الذين قد يعتمدون عليه في نقد الإسلام، وتتكون لديهم ملكة الإستدلال.
- للفقهاء، وذلك كي يعينهم في استنباط الأحكام وتوسيع الأفق فيقلل من تقصيهم للفقه المذهبي وقد كان السنوسي يطبقه في استنباط بعض الأحكام الفقهية[(٢)].
- للطلاب وذلك كي ينشأوا سليمي العقول فيبتعدون عن شعوذة أدعياء الولاية.

---

(١) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٨٢/ ب .

(٢) الملالي ، المواهب القدسية ورقة ٥٠/ ب.

- للمثقفين عامة وذلك كي يعيد للعقل اعتباره، وهذا العقل الذي أوشكت الطرق الصوفية الضالة أن تقضي عليه نهائياً، وقد استطاع أن يؤثر في عصره فعلا ويعيد للعقل اعتباره.

الفصل الثامن

تأثـــــيره

ستتحدث هنا على شيئين أساسيين هما : -

١. تلاميذه / وذلك لأنهم هم الذين بلغوا علمه وأخلاقه إلى الأجيال اللاحقة .

٢. مجالات تأثره / وسنقتصر على أربع مجالات مهمة هي:-

أ . التوحيد .

ب . المنطق.

ج . التصوف.

ك . علم الحديث.

١ - تــلاميذه [1] :

لقد ترك السنوسي كثيراً من التلاميذ المخلصين نشروا أفكاره بعد موته نـذكر مهم على سبيل المثال: -

١) محمد بن عمر ابن إبراهيم الملالي التلمساني/ هو التلميذ الـوفي الـذي سـجل حياة أستاذه بتفاصيلها وجزئياتها في الكتاب الـذي خصصه لـذلك وهـو (المواهب القدسية في المناقب السنوسي) وقد انتهى من تأليفه في أوائل جمادة الأخيرة عام ٨٩٧هـ وقد شرح مـن مؤلفـات أستاذه ((الصـغرى)) وتمكـن

(١) أورد محمد بن محمد مخلوف أن محمد ابن عبد الكريم المغيلي تتلمذ على السنوسي (محمد بن مخلوف شجرة النور الزكية ط ١ ص ٢٧٤) ولم نجد هذا عند غيره

أهمية الملالي في أنه نقل لنا حياة السنوسي الذي لازمه ما لا يقل عن ٣٥ سنة بتفاصيلها، ولولاه لجهلنا الكثير من حياة السنوسي، ولا أدل على ذلك من أن كل المصادرالأساسية التي تعرضت لحياة السنوسي بالتفصيل، كنيل الابتهاج لتنبكتي، والبستان لابن مريم وتعريف الخلف برجال السلف للحفناوي نقلت من المواهب القدسية ويبدو أن الملالي عاش مدة في القرن العاشر، وذلك لأن ابن مريم ألف البستان سنة ١٠١٤هـ وقد تتلمذ على الملالي مما يدل على أنه كان حيا في هذا القرن.

٢) أحمد زروق البرنسي الفاسي/ المولود سنة ٨٤٦هـ بفاس، والمتوفى سنة ٨٩٩هـ بطرابلس[١] ويعبر رسول السنوسي في التصوف السني (وسنعود إليه أثناء حديثنا عن تأثير السنوسي في التصوف) .

٣) محمد بن صعد التلمساني/ المتوفى بمصر سنة ٩٠١هـ وهو صاحب (النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر ومناقب) و (روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين) وهم إبراهيم التازي، محمد الهواري، الحسن أبركان، أحمد بن حسن الغماري، وقد كان بن صعد جامعاً بين الشريعة والحقيقة[٢].

٤) محمد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني / المتوفى سنة ٩١٠هـ [٣] ، وهو صاحب (واسطة السلوك) المشهورة التي شرحها أستاذه السنوسي[٤] كما بينا في مؤلفاته، وهو الذي رثاه بهائيته الرائعة.

---

(١) ابن مريم ، البستان ص ٤٥، ٤٧ .

(٢) ابن مريم البستان ص ٢٥١، ٢٥٢، أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٦٤.

(٣) ابن مريم البستان ص ٢٥٢.

(٤) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٩١ .

٥) أحمد بن الحاج المتوفى حوالي سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٣ م وتكمن أهميته في نظم عقائد السنوسي في قصائد رائعة[١].

٦) محمد بن يحي بن موسى المغراوي وقد أخذ عن السنوسي التوحيد والفقه والأصول والبيان والمنطق والحساب والفرائض والنحو[٢].

٧) أبو السادات يحيى بن محمد المديوني وهو فقيه ورع قرأ على السنوسي الفقه والأصول والبيان والمنطق، وقد صاحب السنوسي لسنين عديدة، وعندما توفي لازم قبره لسنين حتى باع جميع ما عنده، وقد نقل علم السنوسي وتوحيده، إلى بني راشد مع محمد بن يحيى المغراوي وعمر العطافى[٣][٤] .

٢- مجـالات تـــأثيره:

١) التوحيـــد:

استطاع السنوسي أن يحيى علم التوحيد الذي أوشك على الضياع، ولا أدل على ذلك مما ذكره الورتيلاني(المتوفى سنة ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م) أن علماء الخنقة تركوا تعلم علم الكلام لأنه لا يحتاج إلى دليل في نظرهم، وكان بعض العلماء يتهرب من التعمق فيه خوفاً من الكفر في نظرهم، بل يرون أن الخلافات المذهبية

---

(١) جمال الدين بوقلي حسن الإمام ابن يوسف السنوسي ، علم التوحيد، ص ٨٨.

(٢) ابن مريم البستان ص ٢٧٦،٢٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٠٦ ولم نعثر على وفاة هؤلاء الثلاثة .

(٤) أوردت دائرة المعارف الإسلامية أن ابن عباس الصغير من تلاميذ السنوسي، والحقيقة وأن ابن العباس توفى سنة ١٠١١هـ كما أورد ابن مريم في البستان ص ٢٦٣ وعلى هذا فلا يمكن أن يكون تلميذا مباشراً للسنوسي لأنه توفى بعد وفاة السنوسي ب ١١٦ سكنه(فنسنك وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت القدري م ١٢ ، ٢٩٠) .

والفلسفية هي نتيجة لدراسة علم الكلام والتعمق فيه والتمادي في الاستنباط والبحث عن الأدلة[١].

وقد استطاع الورتيلاني اقناعهم بفساد نظرتهم وأدخل لهم عقائد السنوسي، ويمكننا أن نقول بأن عقائد السنوسي سيطرت على جزائر خلال العهد العثماني سيطرة تامة على الدارسين، وقد تعدى ذلك إلى خارج الجزائر كما سنعرف.

وأهم مؤلفاته التي سيطرت تلك السيطرة : الصغرى (أم البراهين) ثم الوسطى ثم الكبرى ثم شرحه لامية الجزائري ثم شرحه على نظم الحوضي، وقد أصبحت هذه المؤلفات تشكل ظاهرة في حد ذاتها نتيجة اهتمام العلماء بها[٢]، وكأن الفكر الفلسفي والديني تجمد عندها فلم يعد قادراً على الخوض في مسائل التوحيد إلا من خلال عمل السنوسي. وقد انتشرت تلك المؤلفات في تلمسان من خلال صاحبها، ثم تلاميذه من بعده، كالملالي الذي شرح الصغرى، والعلماء الآخرين كابن مريم الذي كتب شرحاً على الصغرى للنساء والعوام، كما شرح الكبرى وسمى شرحه عليها" كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد[٣]" وقد نقل عقائد السنوسي إلى بني راشد كل من أبي السادات يحيى المديوني،ومحمد بن يحيى المغراوي، وعمر العطافي.أما قسنطينة فقد قام الشيخ عمر الوزان[٤] بشرح الصغرى، ثم محمد النوزيدي وهو أحد علماء قسنطينة في القرن ١١هـ/ ١٧م[٥]

---

(١) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج ٢، ص ٩٧

(٢) المصدر نفسه ص ٩٨ .

(٣) ابن مريم البستان ص ٣١٤ .

(٤) هو أبو حفص عمر بن محمد الكماد المزان القسنطيني فقيه ومتكلم بارع، له تآليف في علم الكلام منها " شرح صغرى السنوسي" و " البضاعة المزجاه" وتآليف أخرى في الفقه توفى سنة ٩٦٠هـ (محمد بن مخلوف شجرة النور ج ١ ص ٢٨٣) .

(٥) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ٢ ص ٩٧ .

الذي كان يدرس عقائد السنوسي، وكان يرفض إيمان المقلد متأثراً بالسنوسي أما عنابة فقد نظم فيها أحمد زروق العنابي(ت ١١٣٩هـ) عقائد السنوسي الخمسة. وفي الصحراء فقد شرح الصغرى عبد الرحمن الأخضري البنطيوسي(ت ٩٥٣هـ) وذلك في القرن العاشر الهجري. أما العاصمة فمن الذين كتبوا فيها على العقيدة الصغرى وتناولوها بالتدريس والتطبيق سعيد قدورة (ت ١٠٦٦هـ) والذي كان من مشاهير المدرسين[١] وقد درسها لطلابه متناً وشرحاً ، ثم أضاف إليها فوائد وتقييدات من عنده، وأخرج كل ذلك في كتاب قيم، أما الخنقة فقد ادخلت إليها مؤلفات السنوسي في العقيدة من طرف الشيخ الوريثلاني الذي ناظر أهلها وأقنعهم بأهمية علم التوحيد.

ونذكر بأنه من بين الذين شرحوا مؤلفات السنوسي السابقة ودرسوها العالم الورع مصطفى الرماص الذي شرح الصغرى بناء على طلب بعض ؟ و انتهى من شرحها سنة ١١٠٥هـ، وهي في ٣٠٠ص [٢]كما شرح ابن حمادوش[٣] الكبرى وسمى شرحه " مباحث الذكرى في شرح العقيدة الكبرى" أما خارج الجزائر، فقد نشر عقائد السنوسي رجال عظماء عن طريق الرحلات غرباً وشرقاً، ففي الغرب (المغرب) نشرها مجموعة من العلماء أمثال محمد بن يجباش، وعبد الله الورياجلي[٤] (ت سنة ٨٩٤هـ) كما شرح المراكشي السكتاني (ت ١٠٦٢هـ)

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠١.

(٣) هو عبد الرزاق بن حمادوش الجزائر ولد في مدينة الجزائر سنة ١١٠٧ تعلم بمدينة الجزائر كما تعلم عن طريق الرحلات غرباً وشرقاً ، أهتم بالمنطق والطب والصيدلة والكيمياء وعلم البحار إلخ، له مؤلفات منها " الجوهر المكنون من بحر القانون في الطب" توفى بين سنة ١١٩٧، ١٢٠٠هـ بعد ان تجاوز التسعين المصدر نفسه ص ٣٨ ....٤٤٢) .

(٤) جمال الدين بوقلي حسن ، الإمام يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص ٨٨.

الصغرى. أما تونس فقد وصلت إليها عقائد السنوسي وأصبحت مقررة ضمن برامج التعليم خاصة في جامع الزيتونة، ومن الشروح التي كانت تدرس على عقائد السنوسي شرح أبي إسحاق السرقسطي الأندلسي المسمى " الهمة والعطى في شرح العقيدة الوسطى" حيث قررت النظارة العلمية تدريسه بالجامع الأعظم بالزيتونة.وفي المشرق نشرها كل من أحمد المقري التلمساني (المتوفى سنة ١٠٤٠هـ) الذي درسها[١] في مصر و يحيى الشاوي الذي قدم مصر سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م فشرح هناك العقائد وشروحها ثم الشيخ الوتيلاني الذي درس الكبرى في الأزهر بطلب من علمائها،ووضع حاشية على حاشية المراكشي على الصغرى، وقد أعجب الشيخ الحطاب (ت سنة ٩٥٤هـ ١٥٤٧م) بعمل الورتيلاني، كما كان الشيخ علي الصعيدي (ت ١١٨٩هـ) يدرس الصغرى بالأزهر وكان الفقيه المفسر المحدث المنطقي المنور التلمساني(ت ١١٧٢هـ) تلميذ أحمد الحبيب الفيلالي يدرس الكبرى في رواق المغاربة بالأزهر وكان يجتمع عليه خلق كثير[٢].

وقد شرحها علماء مصر، ومنهم الملوى[٣] الذي كتب حاشية على حاشية المراكشي على الصغرى كما شرح الجوهري الصغرى شرحاً مختصراً[٤].

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) الحسين بن محمد الوريتلاني نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار ص ٢٨٥ .

(٣) هو شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح الملوي الشافعي الأزهري مؤلفاتهما شرح على من السلم للأخضري توفي سنة ١١٨١ه(يوسف إليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ج ٢ ص ١٧٩٦، ١٧٩٧. .

(٤) الحسين بن محمد الورتيلاني نزهة الأنظار ص ٣٠٤.

ونعتقد أنها انتقلت كذلك إلى الدول الإفريقية كالسودان وغيرها، وذلك بسبب العلاقات التجارية والثقافية التي كانت قائمة مع بلادان المغرب الإسلامي عن طريق مصر ولأن القوافل التجارية من افريقيا نحو تلمسان كانت سنة مألوفه[1] كما أن انتشار الطرق الصوفية من الجزائر إلى تلك الدول يجعلنا نعتقد أن مؤلفات السنوسي انتقلت إلى هناك.

وقد انتقلت مؤلفات السنوسي في العقيدة إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي، ومنها سوريا التي وجدنا بها شرح السنوسي على مقدماته، والهند وغيرها، وقد بقيت تدرس في مختلف أماكن العالم الإسلامي في المساجد والمدارس والبيوت إلى وسط هذا القرن، بل مازالت في بعض الأماكن إلى يومنا هذا.

٢) المنطـــــق:

المنطق علم مهم وهو منهج استخدامه السنوسي في علم الكلام بالمفهوم الذي بيناه، ومن هنا فإن انتشاره أمر طبيعي بسبب انتشار عقائد السنوسي، وإن لم يكن بمثل تلك الكثرة بسبب صعوبته.

وقد انتشر منطق السنوسي على أيدي تلاميذه كمحمد بن يحيى المغراوي وأبو السادات يحيى المديوني، وقد تأثر بشرح السنوسي لمختصره في المنطق العلماء الذي أتو بعد ذلك ومنهم الأخضري الذي كان شرح السنوسي لمختصره في المنطق من المصادر التي أخذ منها كما بينا في دراستنا عن الأخضرى[2] وقد شرح سعيد قدروه سلم الأخضري فكان شرح السنوسي لمختصره في المنطق من المصادر التي اعتمد عليها.

---

(١) جمال الدين بوكلي حسن، الإمام يوسف السنوسي وعلم التوحيد ص، ٨٩.

(٢) دراستنا عن الأخضري ص ٣٣ .

وبعد قرن من وفاة قدوره شرح عبد الرزاق بن حماديش مختصر السنوسي في حوالي ٧٩ورقة، وسمى شرحه(الدرر على المختصر)) و قد أشاد به ابن حماد وش واعتبره من أهم تآليفه وكان ابن حماد وش قد درس مختصر السنوسي في المغرب مما يدل على انتقال هذا الكتاب للمغرب واعتناء العلماء له وتأثيره هناك، وقد شرحه كثير من علماء المغرب ومنهم عمر بن عبد الله ابن يوسف (ت ١١٨٨هـ) .

وقد درس ابن حماد وش كتاب السنوسي في المنطق على الشيخ أحمد بن المبارك وأجازه به وقد صححه ابن حماد وش في الجزائر على العالم المغربي أحمد الورززي عند زيارته للجزائر عام ١١٥٩هـ وأعطاه الورززي شهادة بذلك تدل على براعة ابن حماد وش في فهمه للمنطق وقد شهد لابن حمادوش ببراعته في المنطق نخبة من علماء الجزائر كعبد الرحمن الشارف وأحمد ابن عمار المعروف بمرؤته وعلمه، وقد قام بتقريظ كتاب ابن حمادوش (الدرر) وقال بأنه صغير الحجم كثير الفائدة وأجاز قراءته وشجعه عليه ، ومما قال فيه هنيئا هنيئا أيا مختصر بشرح بديع جموع أغر .

وقد سجل ابن حمادوش هذا في رحلته[1].

وقد انتقل مختصر السنوسي وشرحه له إلى المشرق، وأصبح من الكتب الأساسية التي تدرس في الأزهر وقد وضعت عليه الشروح والحواشي، ومن علماء الأزهر الذين شرحوه إبراهيم الباجوري (المتوفى سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م) وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٢هـ، ١٣٢١هـ .

وقد انتقل كذلك إلى تونس كما انتقل إلى مختلف مناطق العالم الإسلامي كسوريا التي وجدنا بها نسخة مخطوطة منه، وغيرها من مختلف أقطار العالم

---

(١) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ٢ ص ١٦١، ١٦٢.

الإسلامي وهكذا فإن كثرة الإهتمام بهذا الكتاب طبيعية بسبب أهميته، وهو ما جعلنا نهتم بتحقيقه ودراسته، وقد بينا قيمته في تلك الدراسة.

٣) التصـــوف:

لقد تبين لنا أن تصوف السنوسي تصوف سني محض وهو ضرب للتصوف المنحرف الذي كان مستحوذاً على عقول الناس، ومن الطبيعي أن ينتشر مفهوم التصوف الصحيح الذي دعا إليه كما انتشرت عقائده ومنطقه.

والذين نشروا التصوف الحقيقي هم تلاميذه ونعتقد أن أهمهم في هذا تلميذ أحمد زروق البرنسي الفاسي (المتوفى سنة ٨٩٩هـ) الذي يعتبر رسول السنوسي وامتداده في التصوف ذلك أن السنوسي بين التصوف الحقيقي بدقة، ونظفه مما لحق به من بدع وانحرافات كما بينا في مفهوم التصوف عنده، فأخذ عنه تلميذه زروق التصوف السني وشن حرباً على المبتدعين من المتصوفة وألف كثير من الكتب في ذلك منها (كتاب البدع) (كتاب عدة المريد الصديق من أسباب المقت في بيان الطريق) (كتاب القواعد في التصوف) (ذكر حوادث الوقت) وهذا الأخير يحتوي على١٠٠ فصل بين فيه بدع المتصوفة[1] وقد أثر كثيراً في علماء زمانه وفي الذين اتو بعدهم .

---

(١) ابن مريم البستان ص ٤٧ .

ومن الذين تأثروا به محمد الصغير والد عبد الرحمن الأخضري البنطيوسي(١)، فقد تتلمذ محمد الصغير على الشيخ زروق(٢)، فتأثرت أسرته بمنهج زروق في التصوف، فألف محمد الصغير كتاباً في التصوف هاجم فيه أصحاب الطرق الصوفية الذين كان يسميهم (الدجاجلة) واعتبرهم منحرفين عن الإسلام(٣)، وقد تأثر به ابنه عبد الرحمن الذي ولد بعد ٢٥ سنة من وفاة السنوسي كما تأثر بأستاذ أبيه زروق، فهاجم الأخضري المبتدعة من المتصوفة وألف قدسيته الشهيرة في ٣٤٨بيتاً، بين فيها التصوف الحقيقي وهو المعتمد على الكتاب والسنة، وهاجم فيها متصوفة عصره المخالفين لذلك هجوماً حاداً(٤)، ويجب أن نشير هنا بأن التصوف الذي دعا إليه الأخضري لا يخرج في مضمونه عن مفهوم التصوف عند السنوسي، والأخضري يشيد يشيد صراحة بتأثره بالشيخ زروق تلميذ السنوسي رغم عدم دراسته عليه وذلك في قدسيته: -

من يرد معرفة البدع ... وماأثبتنا عليه أصل المدع

ففي كتاب شيخنا زروق ... فوائد بديعة الفتوق(٥)

---

(١) ولد سنة ٢٩٠هـ/ ١٥١٤م ببنطيوس وهي قرية تقع جنوب غربي بسكرة بحوالي ٣٠ كلم نشأ في أسرة علمية له مؤلفات منها ، السليم المرونق في المنطق، وشرحه عليه ، الدرة البيضاء في الحساب والميراث والوصايا وشرحه عليها القدسية في التصوف ... إلخ

(ت سنة ٩٥٣هـ) ولم يعمر أكثر من ٣٣ سنة (دراستنا عن الاخضري ص ٧٥) .

(٢) المهدي البو عبدلي جانفي ١٩٧٨، ص ٢٥ .

(٣) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ١ ص ٥٠٧ .

(٤) دراستنا عن الأخضري، ص ١١ .

(٥) المهدي البوعبد لي مجلة الأصالة ١٩٧٨، ص ٢٧.

وإذا كان الأخضرى قد عاش أغلب حياته في الصحراء فان تأثيره ومنهجه في التصوف انتقل إلى قسنطينة التي كانت تعيش في نهاية القرن العاشر الهجري على تراثه بالإضافة إلى تراث الوزان، فكان تلاميذ هؤلاء هم الذين يرأسون حلقات الدروس في مساجدها[(١)]" ومن الذين تتلمذوا على تلاميذ الأخضرى وانتهجوا منهجه في التصوف عبد الكريم الفكون الذي ولد بقسنطينة سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م (توفي سنة ١٠٧٣) أي بعد وفاة الأخضري ب ٣٥سنة، وبذا فان الفكون يعتبر امتداداً للأخضرى، وقد تأثر به كثيرا فدرس القدسية التي أعجب بها إعجاباً شديداً إلى درجة أنه أوشك أن يذكرها كاملة في كتابة (منشور الهداية) ، وكان يستشهد بأبياتها فيما يعرض له من أحوال عصره المشابهة لعصر الأخضرى في الشعوذه والبعد عن الكتاب والسنة، وقد بلغ إعجابه بالأخضري إلى شرح كتيب للآخضري في آداب الدين والمعاملات، سماه (الدرر على المختصر) كما أورد رسالة مطولة لأحمد زروق يرد بها على أدعياء الولاية في وقته[(٢)]، وهو ما يبرهن على استمرار خط زروق في التصوف المنحدر من السنوسي. والفكون لا ينكر التصوف، ولكن يرى أن أهل عصره انحدروا به إلى الدرك الأسفل وأساءوا فهمه، وحولوه إلى حضرة فيها الرقص والموسيقى والإنشاد وغيرها من البدع والمنكرات، كما استغلوه في سلب العامة وأموالها وتخدير عقولها، وتعطيل الأعمال التي أمر الله بها، ومن ثمة الوهن الذي أصاب المسلمين[(٣)].والفكون كان يستشهد بآثار المتصوفة الأقدمين الذين كانوا يتبعون التصوف السني ومنهم عبد الرحمن الأخضري.وهكذا ثار الفكون على المنحرفين من المتصوفة الذين نصبوا أنفسهم

---

(١) أبو القاسم سعد الله شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص ١١٠، ١١١ .

(٣) المصدر نفسه ص ١١٣ .

لإعطاء العهد وتلقين الأوراد، وكانوا يخالطون الظلمة والمفسدين ويدخلون على النساء في بيوتهن، واستشهد لذلك بالشيخ بوكلب الذي تعلق بإمرة وتعلقت به حتى أنها كانت تبيت عنده وحملت منه، فقالت أن الأولياء أعطوها له، كما استشهد بالشيخ بالقاسم الحيدوسي الذي كان يجتمع بالنساء غيبة وحضروا[1]»

والحقيقة أن الفكون عندما ثار على المتصوفة إنما ثار على هذا النوع السابق من أدعياء الولاية المشعوذين.

أما التصوف السني فكان هو ذاته متمسكاً به[2] والنتيجة التي نتوصل إليها أن التصوف السني الذي دعا إليه السنوسي انتقل من تلمسان بواسطة زروق إلى الصحراء، ومنها بواسطة الأخضري وتلاميذه، انتقل إلى قسنطينة، وقد تبناه عبد الكريم الفكون (ت ١٠٧٣هـ) ودعا إليه، وحارب به التصوف البدعي الذي عشش في نفوس كثير من المسلمين واستمر هذا التيار السني يؤثر في الأجيال اللاحقة جيلاً بعد جيل.

٤) علم الحديث:

يعتبر السنوسي من العلماء الذين انتقل منهم علم الحديث، كمحمد التسي (المتوفى سنة ٨٩٩هـ) وابن مرزوق الكفيف (المتوفى سنة ٩٠١هـ) إلى علماء العصر العثماني عن طريق تلاميذهم جيلاً بعد جيل[3].

والخلاصة أن السنوسي استطاع أن يؤثر في تاريخ الفكر الإسلامي وأن يشغل منه مكاناً عظيماً، وقد أثر في فكر الأمة ونقل فكره علماء أجلاء، واستطاع

---

(١) المصدر نفسه ص ١١٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(٣) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ط ٢ ص ٣٤.

أن يعيد للأمة الإسلامية فهمها الصحيح لعقيدتها، وأن يحميها من المكائد التي كانت تدبر للإيقاع بها، وقد سار ذلك في ثلاث خطوط رئيسية.

- خط علم العقيدة وقام به تلاميذه ابتداءً من الملالي، ثم مختلف العلماء كالمقري والورتيلاني وغيرهما فنقلوه إلى مختلف مناطق العالم الإسلامي. وقد استطاع أن يؤثر بهذا العلم ما يزيد على خمسة قرون ، وكان له فضل كبير في تنظيف عقيدة الأمة مما أصابها وتلقين العامة مبادئ العقيدة صحيحة لا غبار عليها استطاعت بذلك الصمود في وجه أعداء الإسلام كل تلك القرون.
- خط المنطق الذي نعتبره علماً ضرورياً، وقد قام به تلاميذه من بعده ابتداءً من محمد بن يحيى المغراوي وأبي السادات يحيى المديوني إلى ابن حمادوش ثم مختلف العلماء والمفكرين الذين نقلوه إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي.
- خط التصوف السني وقد قام به تلاميذه كذلك ابتداء من زروق إلى الأخضري إلى الفكون، ويكفيه فخراً بهؤلاء الثلاثة الذين كانوا ثورة مشتعلة على البدع والخرافات وبذلك شق هذا الخط طريقة وسط غابات كثيفة من الشعوذة و الإنحراف التي أدى إليها فساد عقيدة الأمة وضعف تفكيرها وفوضته، و انحراف سلوكها.

وهكذا تصححت العقيدة واستطاع الكثير من المسلمين خاصة الجزائريون الحفاظ على عقيدتهم والصمود في وجه الاستعمار لقرون طويلة بواسطة تلك العقائد، وأعيد للعقل اعتباره فازدهر الاتجاه العقلاني الذي دعا إليه السنوسي مع بعض المفكرين المعاصرين له كالحفاظ التسي وعبد الكريم المغيلي وغيرهم، وأصبح للمنطق مكانته، كما تصحح سلوك كثير من المسلمين ببعدهم عن المنحرفين من المتصوفة وهو ما كان يهدف إليه السنوسي التوحيدي العقلاني والمصلح

الإجتماعي وهنا نكون قد أجبنا على التساؤل الذي تساءلناه في نهاية الفصل الأول من هذا الباب .

الباب الثاني

تحـليل شــرح
السنوسي لمختصره في المنطق

الفصل الأول: المنطق واللغة أو علاقة الفكر باللغة

الفصل الثاني: مبادئ التصورات أو مبادئ التعريفات

الفصل الثالث: مقاصد التصورات

الفصل الرابع: مبادئ التصديقات

الفصل الخامس: مقاصد التصديقات

الفصل السادس: الصناعات الخمس

تحليل شرح السنوسي لمختصره في المنطق

المدخل: معاني العقل:

يبدأ السنوسي شرح مختصره في المنطق بنقد المعتزلة والسفسطائية والسمنية والفلاسفة في قضية العقل وإدراكه للمعقولات .

ويورد للعقل معاني ثلاث، وهي : -

١ – العقل ليس نفس العلوم الضرورية . والله عز وجل هو الذي أوجد العلوم الضرورية والمكتسبة، المحسوسة والمجردة ، ونسبتها إلى العقل خطأ. ولذا فقد أخطأ الفلاسفة والمعتزلة الذين يرون ذلك، لأن الله عز وجل يمكنه أن يخلق العقل ويجعله عاجزاً عن إدراك المعقولات، كما هو حال السفسطائية والسمنية، ولذلك يجوز للإنسان في نظر السنوسي أن ينسب العلوم النظرية إلى عقله بحجة أنها وجدت أثناء التفكير العقلي. وذلك لأن الله عز وجل هو الذي يخلقها في تلك اللحظة .

٢ – العقل هو نفس العلوم الضرورية، وهي العلم بوجوب الواجبات، وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، والسنوسي يتبنى هذا التعريف للعقل، وينسبه لإمام الحرمين وهو في الحقيقة رأي الباقلاني[1] الذي يقول " واستبان أن العقل ، علوم ضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. ولا يتصف

(١) هو أبو بكر محمد الطيب، المعروف بالباقلاني، البصري المتكلم المشهور، أشعري المذهب، له تصانيف كثيرة في علم الكلام وغيره، توفي في بغداد سنة ٤٠٣هـ (ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت د. ت ط ٤ ، ص ٢٦٩ ٢٧٠.

بهذه الفنون إلا عاقل، كما لا يتصف بها من ليس بعاقل"[١] وقد وافقه إمام الحرمين[٢] الذي رأى نفسه الرأي بقوله" ...... ويخرج عن مقتضى السبر أن العقل علوم ضرورية بجواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات[٣]. لكن أمام الحرمين غير رأيه في كتاب البرهان و نقد الباقلاني لأنه في نظره بني كلامه على أن العقل علوم ضرورية إذ لا يتصف بالعقل من كان خالياً من العلوم كلها، وحجة إمام الحرمين في نقده للباقلاني هي : " نرى العاقل يذهل عن الفكر في الجواز والإستحالة وهو عاقل[٤] ".

وإمام الحرمين يتبنى في النهاية رأى الحارث بن أسد المحاسبي الذي يرى أن " العقل غريزة يتأتى بها درك العلوم وليست منها، فالقدر الذي يحتمل هذا المجموع ذكره أنه صفة، إذ أثبتت تأتى بها التوصل إلى العلوم النظرية ومقدماتها من الضروريات التي هي مستند النظريات[٥]".

ويبدو أن السنوسي لم يطلع على هذا الرأي الأخير لإمام الحرمين، ولذا تبنى رأيه السابق.

٣- يقصد بالعقل معنى خاصاً هو العلوم الضرورية فقط، وهذا الرأي ضعيف.

---

(١) الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم الديب، ط ١ ، مطابع الدولة الحديثة قطر، ١٤٠٣هـ ص ١١١.

(٢) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، ولد سنة ٤١٩هـ أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، له مؤلفات منها: " البرهان" و " الكافية في الجدل" و " الشامل في أصل الفقه" توفي بقرية من أعمال نيسابور، ٤٧٨هـ (ابن خلكان وفيات الأعيان ص ٣،ص ١٦٧.

(٣) الجويني الأرشاد ، تحقيق ج د لوسياني، المطبعة الدولية ، باريس ١٩٣٨، ص ٩ .

(٤) أمام الحرمين ، البرهان في أصول الفقه، ص ١١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٤.

علاقة المنطق بالميتافيزيقا:

بعد أن بين السنوسي معاني العقل أنتقل إلى قضية المعجزات وقواطع البرهان الواردة في القرآن والسنة على ما يجب لله عز وجل عن الوحدانية والتنزيه عن كل ما لا يليق بذاته تعالى.

ونلاحظ أن السنوسي يجعل المنطق هنا خادماً لعلم الكلام. بل نجد منطقه يعبر عن ميتافيريقا الإسلام، ذلك أن المعجزات وبراهين وجود الله الواردة في القرآن والسنة من أبواب علم الكلام الأساسية. وورودها هنا ليس عبثاً. وذلك أذا علمنا أن شرح السنوسي لمختصره في المنطق يحتوي على كثير من قضايا التوحيد في قضايا منطقية. وهو هنا متأثر بالغزالي الذي جعل المنطق خادماً للشريعة كما بينا من قبل. والسنوسي كذلك يجعل المنطق خادماً للشريعة، ومنطقه ميتافيزيقي .

وهنا لا بد أن نشير إلى أن المنطق الأرسطي منطق ميتافيزيقي. وميتافيزيقاه تتناقض مع ميتافيزيقا الإسلام. ولذا نجد أرسطو (٣٨٤ق م – ٣٢١ق م) لم ينعت منطقه بأنه آلة. بل كان ينظر إليه على أنه علم نظري، والشراح من بعده الذين نصوه بالآلية وقد استعمل لفظ آلى أمنيوس وسنبلقيوس في القرن الخامس الميلادي. ثم رد هذا القسم الآلي إلى القسم العملي في مقابل النظري، وهو ما تعنيه كلمة أورغانون[1]". وقد تأثر كثير من مناطقة المسلمين بهذا النظر لطبيعة المنطق، وعرفوه بأنه " آله قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر[2]" بل وصل بهم الأمر

(١) عبد الرحمن بدوي، المنطق الصوري و الرياضي، ط ٥ وكالة المطبوعات الكويت، ١٩٨١، ص١٨.

(٢) الجرجاني، التعريفات ، ص ١٢١ .

إلى أن اعتبروه غير ميتافيزيقي مقابلاً للميتافيزيقا. " فهو علم عملي آلي، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي[١]".

ونحن عندما ننظر إلى المنطق نظرة فاحصة نجد أنه ميتافيزيقي فعلاً، وقد حاول هاملان أن ينكر هذا مبرراً موقفه بأن الوجود الذي يبحثه المنطق غير الوجود الذي تبحثه الميتافيزيقا بحيث أن الوجود الميتافيزيقي هو " الجوهر الأول" " أو المعقولات الأولى ، بينما الوجود المنطقي هو المعقولات الكافيه[٢] ".لكن الحقيقة أن المنطق الأرسطي عندما نبحث مبادئه وأقسامه نكتشف ميتافيزيقاه ، فالقوانين التي يقوم عليها مثل قانون الذاتية وعدم التناقض والثالث المرفوع هي مبادئ مجرة قبلية على كل تفكير، إذ هي قوانين وجودية تخضع لها سائر الموجودات، وكذلك التعريف، فهو مبنى على أصل ميتافيزيقي، لأن الغاية منه التوصل إلى الكفه أو الحقيقة الكاملة، ثم أنه يقوم على فكرة المفهوم التي تنتهي إلى تجريد كامل، وكذا البرهان الذي هو بحث في الحق المطلق[٣].ومن ثم فإن هناك علاقة وتأثيراً متبادلاً بين المنطق والميتافيزيقا، هذا التأثير هو الذي نوع الفلسفات ونوع المنطق[٤].

وقد تنبه الفقهاء والمتكلمون إلى هذا " وأنكروا أن تكون غاية أي منطق عقلي التوصل إلى الذهنية الكاملة، لأن ذلك يؤدي إلى محاولة تحديد الذات الإلهية وغيرها

---

(١) المصدر نفسه ، ص ، ١٢١.

(٢) علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ط ٥، دار المعارف مصر، ١٩٧١، ص ٥١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) محمد ثابت الغندي، أصول المنطق الرياضي. (و. ط) دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦، ص٦٥.

من الموجودات التي لا يمكن التوصل إلى كنهها لأن العلم بها توقيفي. كما أنكروا مادة القضايا والقياس البرهاني وهاجموا العلية الأرسطية[١] .

ومن أهم المفكرين المسلمين الذي تنبهوا إلى هذا الغزالي، الذي غير رأيه في المنطق وأصبح يشدد القيود كثيراً على تعلمه. بالإضافة إلى أن البرهان الفلسفي المبنى على المنطق لا يوصل إلى اليقين في الإلهيات ، واتصاله بإلهيات أرسطو واضح[٢]. ثم إن المناطقة الفلاسفة" يجمعون البرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا محالة. لكنهم عند الإنتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط، بل تساهلوا غاية التساهل[٣]".

ثم " ربما ينظر في المنطق من يستحسنه ويراه واضحاً فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين، فاستعجل بالكفر قبل الإنتهاء إلى العلوم الإلهية[٤] .وقد عمل الغزالي ما في وسعه ليغير محتوى المنطق بسبب ميتافيزيقاه الوثنية. كما بينا من قبل ويرجع إلى محمدﷺ بدل أرسطو[٥] .وقد غير محتوى المنطق، وصب فيه مادة إسلامية وأثر في الفكر الإسلامي.

والسنوسي من الذين تأثروا به كما بينا، ويظهر هذا جلياً في كتابة " المقدمات" وشرحه عليه.فمع أن هذا الكتاب في العقيدة إلا انه جعل جزءاً أساسياً فيه منطقياً، إستخدمه في العقائد فبين فيه بين جزئين من المنطق وبين العقائد كحديثه عن الحكم

---

(١) علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة ، ص ٦٧ .

(٢) علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص ١٣٧.

(٣) الغزالي المنتقد من الضلال ، ص ١١٦.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

(٥) الغزالي القسطاس المسقيم ص ٣٣.

وأنواعه. وكان الغزالي قد أورد هذا في كتابه المحك[١] .مما يدل على صحة إدعائنا. ومن هنا فقد ملأ السنوسي القواعد المنطقية بمادة إسلامية في أغلبها، وبعبارة أخرى جعل المنطق ميتافيزيقا، لكن ميتافيزيقاه إسلامية لا أرسطية، وهذا ما يميز بينه وبين كثير من علماء الكلام الذين يرفضون المنطق، إذ نجد السنوسي مع أنه علماء الكلام الذين أثروا بكتبهم الكلامية، وقد أصبحت عقائده كالكبرى والوسطى و أم البراهين وغيرها من أهم الكتب المدرسية إلا أنه خالف علماء الكلام الآخرين مع أنه منهم. فهم يرفضون المنطق لتناقضه مع الإسلام في نظرهم . وهو يصب فيه مادة إسلامية ويقبله. بل يحث على تعلمه ويقوم بعملية مزج بين ما ورد في المنطق وعلم الكلام كما قلنا من قبل. ومع أننا نتحفظ إزاء موقفه هذا إلا أنه يعتبر من أهم الذين حاولوا أسحلة المنطق الأرسطي، وعندما نفحص منطقه لا نجد فيه أي خطر على العقيدة الإسلامية. بل نجد فيه مادة خصبة تساعدنا في درء حجج الملاحدة.

ويجب أن ننبه هنا بأن قضية ربط المنطق بالميتافيزيقا ليست بدعاً عند المسلمين، فهذا ما فعله الفلاسفة في العصور الحديثة، إذ نجد هيجل مثلاً يقيم منطقاً ميتافيزيقا يختلف عن المنطق الأرسطي. " فالمنطق عند هيجل هو علم الفكرة المحضة..... أما ؟ فهو الفكرة المطلقة، وهي التي يتحد فيها كل من الفكرة الذاتية والفكرة الموضوعية[٢] " وهنا يربط هيجل المنطق بفكرة المطلق، وهي ميتافيزيقه الطراز الأول[٣].

---

(١) الغزالي محك النظر في المنطق د ط دار النهضة الحديثة، بيروت د . ت.ص ٣٥.

(٢) محمد على أبو ريان ، علي عبد المعطي محمد . أسس المنطق الصوري ومشكلاته. دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ، مصر، ١٩٧٥، ص ٦٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٠.

نستنتج من أسبق أن أصحاب المذاهب الميتافيزيقيه يجعلون المنطق وسيلة لتحقيق أهدافهم وتثبيت مذاهبهم، وهو ما فعله السنوسي متأثراً بالغزالي، لكن رغم تأثره به فهو يختلف عنه. بحيث لم يتقيد بكل ما أورده الغزالي، فالغزالي يسمى الحد الأوسط مثلاً علة، ويسمى أشكال القياس موازين إلخ وكان هدفه من تلك التسميه إبعاد المصطلحات اليونانيه فهو لم يكتف بتنظيف المنطق من محتواه الوثني بل غير مسميات قوالبه الشكلية.

أما السنوسي فلا ينحو نحوه في ذلك، لأن الخطر لا يكون في تلك القوالب الشكلية، فسواء سميناها أسماء جديدة أو أبقينا على مسمياتها بلاحرج لأن الخطر في المحتوى ، وهذا ما جعله ينحو نحو الغزالي فيه.

فائدة علم المنطق ووجه الحاجة إليه:

يبدأ السنوسي ببيان فائدة المنطق ووجه الحاجة إليه ، فيقرر أننا نحتاجه لتصحيح ما يكتسب به التصورات والتصديقات لأن العلم يختصر فيهما، فالعقل الإنساني إذن مضطر إلى طريقين أحدهما يوصله إلى ما يجهله من التصورات. والثاني يوصله إلى ما يجهله من التصديقات[1]" والعقل الإنساني لا يؤمن عليه من الخطأ في سلوكه لهذين الطريقين وحده لكثرة إلتباس الحق بالباطل، لذا لا بد من المنطق الذي من حقق المهم منه تصبح العلوم كلها طوع يده أن وفقه الله[2] .

و الحقيقة أننا عندما ننظر إلى المنطق كقوانين نجد فيه فائدة فعلاً، فهو كما يقول الفارابي يعلمنا القوانين التي تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو الصواب في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات، وإذا كانت المعقولات قسمين ما لا يمكن

(١) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٦/ أ.

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧/ ب .

الغلط فيه إطلاقاً وهو ما يجد الإنسان نفسه كأنها فطرت على معرفتها واليقين بها، مثل الكل أعظم من جزئه. وما يمكن الغلط فيه، وهو ما يحتاج إدراكه إلى الفكر والتأمل والقياس والإستدلال فإننا محتاجون إلى المنطق في هذه الأخيرة دون الأولى(١).

وهو يفيدنا في تصحيح ما عندنا، وما نلتمس تصحيحه عند غيرنا ، وما يلتمس غيرها تصحيحه عندنا(٢). بحيث يصبح لدينا منهج موضوعي محدد نعرض عليه الأفكار ويكون هو المحك، ولذا فإن علم المنطق يعد « من أعوان الأشياء على تسديد النظر، وتقويم ما أعوج من آراء العقول والمعبره، وبه يتميز ذو السبق من غيره في ميدان مجاري الفكر(٣) ومن هنا فإن " تعلم فن المنطق وحفظ قواعده وفهمها يسهل للعقل وعد الأنظار، ويتسع به مجال الفكر مع الراحة والأمن من الخطأ سلوك مفاوز الإعتبار(٤) ".

وبالجملة : " فالعلوم كلها ميسرة طوع اليد لمن حقق المهم من هذا الفن إن يسر ذلك المولى تبارك وتعالى(٥) ".

---

(١) الفارابي إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين ط ٣ مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨، ص ٦٧،٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٩ .

(٣) السنوسي ، شرح مختصر ابن عرفة في المنطق مخ المكتبة الأحمدية بالجامع الأعظم تونس، رقم ١٦٣٢٧ ورقة ١ / ب.

(٤) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٧/ب.

(٥) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧ / ب .

حكم تعلمه (موقف المسلمين منه ونقد السنوسي لبعضهم):

لقد توصلنا إلى أن المنطق مفيد، وأن فوائده متعددة. لكن هل تعلمه ضروري؟ وهل كل إنسان مضطر لتعلمه ؟

هذه القضية وقع فيها خلاف كبير بين مفكري المسلمين كما ذكرنا من قبل، فهناك من يرى أن الإشتغال به محرم. ومن الممثلين لهذا الإتجاه ابن الصلاح الشهرزودي (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) الذي يرى أنه مدخل للفلسفة ، ومدخل الشرشرة، وذلك فليس الأشتغال بتعلبه وتعلمه مما أباحه الشارع[١]. ومن أشتغل به وجب على السلطان طرده من المدارس ومعاقبته وسجنه، وعلى السلطان أن يعرض عليه السيف و الإسلام[٢]. وكأن المشتغل بالمنطق مرتد في نظره ثم السيوطي (ت ٩١١هـ) الذي اتهم الغزالي بأنه أول من خلط المنطق بعلوم المسلمين.[٣] وهذا خطأ فادح ارتكبه الغزالي في نظره.

وقد أفتى بتحريمه كابن الصلاح وبين أنه حرمه بعد فهمه له[٤].وأكثر أهل العلم في نظره يقولون بتحريمه ، وأئمة أهل الحديث نصوا على عدم قبول رواية المشتغل به[٥] .وقد ذكر في شرح أرجوزته " عقود الحمان في علم المعاني والبيان" ما

---

(١) ابن الصلاح ، فتاوى ابن الصلاح، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي ، ط ١ دار الوعي حلب سوريا ١٩٨٣، ص ٧١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧١، ٧٢ .

(٣) محمد جلال أبو الفتوح أشرف، جلال الدين السيوطي منهجه وآراءه الكلامية (د .ط) دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٨١، ص ٣٣ .

(٤) جلال الدين السيوطي ، صوت المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، تحقيق على سامي النشار، د ط دار الكتب العلمية بيروت

(٥) سعيد قدورة ، شرح علي السلم المرونق مخ مسجد الأبيار، الجزائر العاصمة (دون رقم) ورقة ، ٥٤/ب .

نصه : " إنا معشر أهل السنة لا ننجس قصائصنا بقذر المنطق الذي اتفق أكثر المثقفين خصوصاً المحدثين والفقهاء من كل المذاهب، خصوصاً الشافعية وأهل المغرب على تحريمه والتغليط على المشتغلين به وعقوبتهم[1] ".

وألف كتاباً في ذلك سماه " القول المشرق في تحريم الإشتغال بالمنطق[2] " وعند ما أكمله بعث به إلى العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي(المتوفى سنة ٩٠٩هـ) [3] وقد انتقد المغيلي السيوطي في موقفه هذا من المنطق ورد عليه بأبيات منها

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ... وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة ... وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعنى إلا عبارة ... عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معانيه في كل الكلام فهل ترى ... دليلا صحيحا لا يرد لشكله
أريني هواك الله منه قضية ... على غير هذا تنهسا عن محله
ودع عنك ما أبدى كفور وذمة ... رجال وأن أثبت صحة نقله
خذ الحق حتى من كفور ولا تقم ... دليلا على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاسقين ... به، لا بهم، إذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم ... وكم عالم بالشرع باح بفضله[4]

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٥٤.

(٢) محمد جلال أبو الفتوح أشرف جلال الدين السيوطي، منهجه وآراءه الكلامية، ص ٣٣ .

(٣) سعيد قدورة شرح السلم ورقة ٥٤ / ب .

(٤) ابن مريم البستان، ص ٢٥٦، صعيد قدورة شرح على السلم، ورقة ٥٤/ ب ٥٥/أ.

وموقف السيوطي هذا هو الذي دفع بالمغيلي إلى تأليف كتابه المنطقي" مختصر اللباب في رد الفكر إلى الصواب[١]".

ومن الذين رفضوا المنطق كذلك : تقي الدين بن تيمية[٢].لكن هناك فرقاً بين ابن الصلاح والسيوطي وبين ابن تيمية. إذ اتجه ابن الصلاح السيوطي إلى التحريم في حين إتجه ابن تيمية . إلى محاولة إبطال المنطق وتبين عدم جدواه لا بالفتاوي ولكن بالأدلة العلمية. ويمكننا أن نلخص موقفه فيما يأتي: -

لم يقتصر في نقده للمنطق على مبدأ العقلانية والسببية كالغزالي، ولكنه أراد قلعه من الجذور بنقض الأصل الذي يقوم عليه الاستنباط المنطقي والقياس " فأخذ يشك في صحة الكليات العقلية العامة التي كان المناطقة يجعلونها مقدمات لأقيستهم المنطقة ويعتمدون عليها في براهينهم اعتماداً لا يجوز الجدال فيه[٣] " هذه الكليات في نظره ليست بديهية ولا ضرورية، وليس لها وجود خارجي ولكنها من الأمور النسبية التي يختلف الناس في تقديرها، فما هو بديهي عندك ليس بديهيا عندي والعكس صحيح لأن الناس يتفاوتون في قوى الأذهان أعظم من تفاوتهم في قوى الأبدان[٤] كما يقول ابن تيميه. وهكذا فالكليات العقلية في نظره قد تكون بديهية في العلوم الرياضية أما في غيرها فلا. إن الكليات العقلية موجودة في

---

(١) سعيد قدورة ، شرح السلم ، ورقة ٥٥ / أ .

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم تقي الدين ابن تيمية، ولد في حران ونشأ في دمشق اعتقل عدة مرات بسبب مواقفه وفتاواه، كان كثير البحث في فنون الحكمة، له مؤلفات منها " نقد المنطق" ، " الرد على المنطقيين" مات سجينا بقلعة دمشق، سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨ (الزركلي، الإعلام ، ط ١ ، ص ١٤٠، ١٤١) .

(٣) علي الوردي منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته ، ص ٥٨.

(٤) علي سامي النشار، مناهج البحث عن مفكري الإسلام ، ص ١٦٤، علي الوردي منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ص ٥٨.

الأذهان ولكن ليس لها كيان خارجي مستقل بذاته. والبرهان المنطقي القائم عليها لا يوصل إلى العلم اليقين، وإنما يوصل فقط إلى أمور ظنية مقدرة في الأذهان. فالعلم الحق هو الذي يستمد حقائقه من الأشياء الجزئية المتعينه بأشخاص في الخارج وليس من الكليات المقدرة في الذهن . والطريقة التي يتم التوصل بها إلى العلم الحق هي الإنتقال من الجزئي إلى الجزئي(قياس الغائب على الشاهد) (١) .

و ابن تيميه يرى أن المعرفة البشرية قسمان دينية وطبيعية، فالمعرفة الدينية لا تحتاج فيها إلي المنطق لأنه توجد لها مصادرها الأساسية التي يجب أن نستمدها منها. أما المعرفة الطبيعية فإن المنطق لا يوصلنا إلى علم يقيني فيها كذلك . لأنها في نظره تجريبية أكثر مما هي قياسيه استنباطية. والمعرفة الصحيحة يجب أن نستمد قواعدها من الواقع الجزئي لا أن نحلق في عالم الكليات العقلية العامة. ومن هنا فإن ابن تيمية وضع بذور المنهج الإستقرائي الواقعي الحديث(٢).وفي نفس الوقت رفض المنطق لأعلى أساس الفتوى بتحريمه كما فعل ابن الصلاح السيوطي . بل على أساس اقتناعه العلمي بأنه لا يفرق بين الحق والباطل(٣). وهو ما جعله يرد على الغزالي بسبب موقفه من المنطق " فمن قال إنه فرض كفاية. وأن من ليس له به خبرة، فليس له ثقة به من علومه فهذا القول في غاية الفساد من وجوه كثيرة(٤) ". وإذا كان هؤلاء يرفضون المنطق. فإن هناك من يأخذ به . كالغزالي الذي يعتبره جزءاً من علم الكلام وأنه فرض كفاية، وذلك لكي نتمكن به من الرد على البدع

(١) علي الوردي منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ص ٥٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ٦٠.
(٣) ابن تيميه ، الرد على المنطقيين ، ط٣ إدارة ترجمان السنة، لا هور باكستان ، ١٩٧٧، ص ٤٧١.
(٤) ابن تيمية نقض المنطق تحقيق محمد بن عبد الرزاق حمزة، سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، د . ط مكتبه السنة المحمدية، القاهرة د .ت ص ١٥٥ .

والشبهات التي ظهرت[1].وقد تأثر به جماعة من المعتدلين كالمغيلي والسنوسي الذي سنبين موقفه.

وهؤلاء جميعاً يختلفون عن الفلاسفة المسلمين المتعصبين للمنطق وللفلسفة اليونانية. فإذا كان الغزالي يجعله فرض كفاية بمعنى أن دراسته ليست ملزمة للجميع، فإن الفارابي يرى أنه لازم لكل أحد حتى الأنبياء لأن الفطرة الإنسانية غير كافية مالم يتعلم المنطق ف " من زعم أن المنطق فضل لا يحتاج إليه إذا كان يمكن أن يوجد في وقت ما إنسان كامل القريحة لا يخطئ الحق أصلاً من غير أن يكون قد علم شيئا من قوانين المنطق، كقول من أن النحو فضل، إذ قد يوجد في الناس من لا يلحن أصلاً من غير أن يكون قد علم شيئاً من قوانين النحو. فإن الجواب عن القولين جميعاً جواب واحد[2] "

وهذا يعني أن الذي فطر من عدم الخطأ لا يمكنه الاستغناء عن المنطق أبدا[3]. أي أن الأنبياء داخلون في هذا الإطار. ويكاد ابن العال[4] يذهب إلى نفس الرأي تقريباً فيقرر.

---

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) الفارابي إحصاء العوم ص ٧٤ .

(٣) سعيد الزايد الفارابي ط ٣ دار المعارف، مصر ١٩٨٠، ص ٣٤.

(٤) هو أبو إسحاق بن فخر الدولة أبو الفضل بن العسال، ولد ونشأ في مصر ، ينتهي نسبة إلى رجل قيطي أرثوذكسي، اشتهر ابن العسال عند النصار حفر المجمع الكنسي الذي عقد بالاسكندرية سنة ١٢٣٩م وقد توفى بعد هذا المجمع (يوسف إليان سركيس، هجم المطبوعات العربية، ج ١ ص ١٨٣، ١٨٤) .

" والفطرة الإنسانية في الأكثر غير كافية في التمييز بين هذه الأصناف. ولولا ذلك لما وقع بين العلماء اختلاف، ولا وقع لأحد في رأيه تناقض[١]".

أما ابن سينا فمع أنه يرى مثلهما، فأن الفطرة الإنسانية غير كافيه في ذلك ما لم تكتسب الصناعة: أي تعلم المنطق، إلا أنه يستثني الأنبياء " .... فلا غنى عنها – أي صناعة المنطق – للإنسان المكتسب للعلم بالنظر والرؤية... إلا أن يكون إنساناً مؤيداً من عند الله[٢]" و السنوسي خرج من كل هذه الاختلافات بلباقة عجيبة تدل على عمق نظره،و أصالة تفكيره وابداعه، فهو لا يوجبه ولا يحرمه، ولا يساوي بين جميع الناس في تعلمه، فيرى بأنه هذب قواعده و جعلها سهلة بحذف ما يشوش الفكر، ولا يحتاج إلى استعماله.

واقتصر على ما لا يمكن تركه. وهو التصورات ومبادئها والتصديقات ومبادئها. والعقل الإنساني لا يؤمن عليه من الخطأ إذا سلك طريف المعرفة وحده، لذا لا بد له من والمنطق[٣].

والسنوسي هنا يخالف كلا من ابن الصلاح والسيوطي وابن تيمية ، كما يخالف الغزالي في عدم اعتباره المنطق فرض كفاية. إذ يرى أن " الاضطرار لتعلم اصطلاحاته وحفظ وضوابطه ليس عاماً لكل أحد، إذ الطبع السليم والعقل الذكي لا يحتاج إلى ذلك[٤]". ويخالف الفارابي وابن العسال وابن سينا فيرى: " أن الطبع

(١) ابن العسال مقال في المنطق من كتاب مقالات فلسفية لبعض مشاهير الفلاسفة العرب مسلمين ونصارى مع تعريب إسحاق بن حنين ،ط ٢. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١١، ص ١٣٤ .

(٢) ابن سينا ، الشفاء المنطق المدخل وتحقيق فؤاد الأهواني وآخرين ،ط ١ وزارة المعارف العمومية، القاهرة ١٩٥٢، ص ١٩ ، ٢٠.

(٣) السنوسي ، شرح مختصره في المنطق ورقة ٢٢٧/أ .

(٤) المصدر نفسه ورقة ٢٧.

السليم والعقل الذكي لا يحتاج إلى المنطق كما لا تحتاج إلى تعلم قواعده النحو وضوابطه العربية ، العربي الفصيح[1]". وموقف السنوسي هذا واقعي بخلاف الفارابي الذي يرى أن العربية لا يمكن نطقها سليمة إلا بالتعلم كما مر مسبقاً. لأن تاريخ العرب يبين أنهم كانوا يبعثون بأبنائهم الصغار إلى البوادي لتكون ألسنتهم طليقة.

والسنوسي عالم الكلام المنطقي بدافع عن النبوة بكل قوانين الفكرية. وهذا ما جعله يرد على الفارابي و ابن سينا " بأن الغني عن تعلم المنطق أكثر من الغني عن تعلم النحو لأن علوم المنطق عقلية محضة، فكثير منها مركوز في قلب كل عاقل، و إن لم يعبر عنها باصطلاحات المنطق بخلاف النحو، فأنه نقلى محض، فغير العربي الفصيح لا يصل إلى معانيه وإحكامه إلا بالتعلم[2]".

وهدف السنوسي من هذه إثبات أن الأنبياء لا يحتاجون إلى المنطق لأن عقولهم أنظف العقول، وفطرهم أسلم الفطر. وهذا ما يراه عمر بن سهلان الساوي(المتوفى حوالي سنة ٤٥٠هـ) لأن المعتقدات متعددة ، منها ما هو حق، وما هو باطل، وتصرفات الناس ولها بعض صحيح وبعضها باطل، والإنسان من حيث هو إنسان لا بد له من تمييز الصواب عن الخطأ في العقائد للتوصل إلى السعادة الأبدية، ذلك أن الإنسان لابد له من معرفة الحق لذاته، والخير للعمل به، حتى ينال السعادة الأبدية في جوار رب العالمين. "لكن الرؤية الإنسانية قد يعتريها الزيغ والعدول عن نهج السعادة في السلوك الفكري[3]" فقد تعتقد غير الحق حقاً.

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧/ب.

(٢)المصدر نفسه ورقة ٢٧٧ /ب .

(٣) عمر بن سهلان الساوي. البصائر النصيرية، تحقيق محمد عبده، ط١ مطبعة بولاق الأميرية، مصر، ١٨٩٨ ص ٤.

وما ليس بخير خيراً، ولا تنتبه حتى تزول من الوجود. فيحرم صاحبها السعادة الأبدية في الآخرة، لما فاته من درك الحق والخير والتمييز بينهما وبين الباطل والشر.

والمنطق هو القانون الذي يميز به الإنسان الصواب عن الخطأ. والحق من الباطل والخير من الشر[1]. لكن السنوسي يختلف عنه في جعله الغنى عن تعلم المنطق ليس قاصراً على الأنبياء وحدهم . بل يشمل كل أصحاب الفطر السليمة وهم كثره بينما لا يستثنى الساوي من تعلم المنطق إلا الأنبياء وحدهم، " ولا يشذ عن حكمنا هذا إلا من أيد حدس صائب، وقوة إلهية تريه الأشياء كما هي، وتغنيه عن النظر في الفكر[2]".

ويهدف السنوسي من موقفه هذا أن يدافع عن السلف الصالح من صحابة وتابعين، كي يثبت أنهم لم يكونوا في حاجة إليه بسبب سلامة عقولهم.

لكن السنوسي يميز بين شيئين في المنطق : -

أ- معاني قواعد المنطق.

ب- تعلم اصطلاحاته وحفظ ضوابطه.

فالاضطرار لاستعمال معاني قواعد المنطق في طلب العلوم المكتسبة ثابت محقق لكل أحد[3]. لأن تلك المعاني فطرية لا مكتسبه ولذا فليست خاصة باليونانيين أو تعلم اصطلاحاته وحفظ ضوابطه فليست عاماً لكل أحد. إذ الطبع السليم والعقل الذكي لا يحتاج إلى ذلك كما لا يحتاج إلى تعلم قواعد النحو وضوابطه العربية، العربي الفصيح، بل الغني عن تعلم المنطق أكثر من الغنى عن

---

(١) المصدر نفسه،ص ٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤.

(٣) السنوسي ، شرحه لمختصره في المنطق روقة ٢٢٧ / ب.

تعلم النحو، لأن علوم المنطق عقلية محضة. فكثير منها مركوز في قلب كل عاقل ، وأن لم يعبر عنها باصطلاحات المنطق، بخلاف النحو فإنه نقلي محض فغير العربي الفصيح لا يصل إلى معانيه وأحكامه إلا بالتعلم[1].

وهنا نتوصل إلى نتيجة وهي : أن السنوسي من الذين يأخذون بالمنطق الأرسطي، ويرون ضرورة تعلمه – وهذا بعد أسلمته – لكن ليس لجميع الناس، لفئة من المجتمع، وهي التي لا تتسم بالطبع الذكي.أما معاني قواعد المنطق فمع أنها لا غنى عنها في العلوم المكتسبة لأي أحد إلا إنه لا حاجة لتعلمها للكثيرين بسبب فطرتها – وهنا نلاحظ بأن الفطرة وحدها غير كافيه في تعلم العلوم المكتسبة اللهم إلا الأنبياء لأنهم مؤيدون من عند الله. صحيح أن الإنسان قد يهتدي بفطرته إلى اليقين . إلا أن الفطرة وحدها لا يؤمن غلطها، ولو قلنا بها وحدها لألغينا العلوم والصناعات كلها. بل لو كانت كافيه ما تعددت المذاهب. واختلف الناس فيما بينهم. بل وما نقض الإنسان نفسه[2].

وفكرة التمييز بين معاني قواعد المنطق وتلك القواعد فكرة جديدة أتى بها السنوسي. كما أن قوله بعدم عصمة المنطق الذاتية للفكر، تجعله يختلف عن كل ما عداه لأن المنطق عنده لا يعصم الذهن بمجرد مراعاة قواعده. بل لا بد من العناية الإلهية .

وأخيراً فإن السنوسي أخذ بالمنطق متأثراً بابن عرفه الذي كان يوصي تلاميذه على فن المنطق ويؤكد الوصية عليهم ويقول لهم لا بد أن أموت وترجعوني على

(١) المصدر نفسه ورقة،ص، ٢٢٧ .

(٢) ابن سينا، المدخل. تصدير إبراهيم مدكور ص ١٩.

هذا[١]. وابن عرفة كما هو معلوم من الفقهاء المناطقة. والسنوسي من المتأثرين به . إلى درجة أنه شرح مختصره في المنطق واعتمد عليه كذلك في شرحه لمختصره في المنطق كما ظهر لنا من خلال المقارنة.

تعريف علم المنطق واتجاه السنوسي فيه:

اختلفت وجهات نظر المناطقة حول المنطق، فأدى ذلك إلى اختلاف تعريفاتهم له . فاختلافتهم حول طبيعته هل هو آلة فقط أم آلة وعلم معاً إذن اختلاف قديم، وسببه علاقة المنطق بالفلسفة، هل هو جزء منها أم منفصل عنها؟ ذلك أن أرسطو لم يحتفظ له بمكان في قسمته السداسية لعلوم الفلسفة، وقد اعتبرها الروائيون جزءاً من الفلسفة.

أما الإسكندر الأفروديسي (المتوفى في بداية القرن ٣م) فقد أعتبره منفصلاً عنها ولذلك أطلقت كلمة " إورغانون " اليونانية على المنطق جميعه ، وهو أمر مهد له أرسطو لكن لم يقل به. وأرسطو كان يعد منطقة على أنه منهج عام وثقافة أولية ينبغي تحصيلها قبل البدء في العلوم الأخرى[٢] – هذه الفكرة نجدها بعد ذلك عند السنوسي الذي يرى بأنه "بعد أن يحكم آلة العقل فليشتغل بالعلوم الشرعية استفادة[٣] .....–

ومنذ القرن الثالث ميلادي ومشكلة اعتبار المنطق جزءا من الفلسفة وآلة للعلوم محل خلاف وقد انقسم مفكرو الإسلام حول هذه القضية إلى اتجاهين أساسيين : –

---

(١) السنوسي، شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٧٧/أ.

(٢) ابن سينا الشفاء، المنطق المدخل، تصدير إبراهيم مدكور ص ٥٢.

(٣) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٨/ أ.

١- **الاتجاه الأول** : وهو الذي يعتبر المنطق آلة للعلوم لا جزء من الفلسفة، ولذا فهو لا يطلبه لذاته، بل لما يمكن أن نستفيد منه عملياً عند تطبيق قواعده وشروطه على الأحكام والاستدلالات الموجودة في العلوم. فهو وسيلة توصلنا إلى أغراض عملية في العلوم التي نتدارئها. ويمكن أن نطلق على هذا الإتجاه الإتجاه العلمي[١]. ويمثله بعض المناطقة كالفارابي(ت ٣٣٩هـ / ٩٥٠م) الذي يرى أن المنطق صناعة" تغطي بالجملة القوانين التي شأنها أن تقوم العقل، وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات[٢]". لكن الفارابي يضطرب في هذا، ففي حين أثبت في إحصاء العلوم أن المنطق آلة. نجده يثبت في كتابة : " الجميع بين رأيي الحكيمين " أنه جزء من الفلسفة" .... وذلك أن موضوعات العلوم ومواردها لا تخلو من أن تكون إما إلهية وإما طبيعية. وإما منطقية، وإما رياضية أو سياسية. وصناعة الفلسفة هي المنبسطة لهذه والمخرجة لها. حتى أنه لا يوجد شيء من موجودات العالم إلا وللفلسفة مدخل[٣]".

ثم عمر بن سهلان الساوي الذي يعرفه بأنه " قانون صناعي، عاصم للذهن عن الزلل مميز لصواب الرأي عن الخطأ في العقائد بحيث تتوافق العقول السليمة على صحته[٤]".

---

(١) محمد أبو ريان ، علي عبد المعطي، أسس المنطق الصوري ومشكلاته، ص ٥ .

(٢) الفارابي، إحصاء العلوم ، ص ٦٧.

(٣) الفارابي، كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين . تحقيق البير نصري نادر ، ط ١ المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٦٠ص ٨٠.

(٤) عمر بن سهلان الساوي البصائر النصيرية في علم المنطق ص ٤ .

هذا الاتجاه يأخذ جانباً معيناً نم المنطق، وهو كونه آلة للعلوم، وقد سبق أن بينا بأن المنطق الأرسطي منطق ميتافيزيقي. فهو إذن يستند على الميتافيزيقا من ناحية، ويمبحث المعرفة من ناحية أخرى. والمنطق عند أرسطو عقل ووجودي في آن واحد. والمسلمون الذين ثاروا عليه. إنما كانوا ثورتهم منطلقة من ميتافيزيقاه، واعتبروه كله بحثاً وجودياً للتوصل إلى حقيقة الجوهر، ولذلك رفضوه. وكذلك النصارى في القرون الوسطى، فقد رفضوا جانبه الميتافيريقي وتوقف كثير منهم عند آخر التحليلات الأولى[1].

٢- **الاتجاه الثاني**: وهو الذي يعتبر المنطق آلة للعلوم وجزءاً من الفلسفة في الآن عينه. من الذين يمثلون هذا الإتجاه ابن سينا يبدأ أولاً بتحديد المعنى المراد من الفلسفة وفي ضوء ذلك التحديد يمكن الحكم على المنطق هل هو جزء من الفلسفة أو ليس جزءاً منها. والفلسفة في نظره نظرية وعملية لأنها إما تنصب على الوجود الذهني أو الخارجي، وكل بحث نظري فلسفة، سواء اتصل بأحد الوجود بين السابقين أو بهما معاً أو أعان على فهمهما[2].ونحن نعلم أنه لا فلسفة بدون منطق إذ هو منهجها.وابن سينا يوضح هذا بدقة فيقول : " ... وسلف لك جملة أن المنطق كيف يكون جزءاً للحكمة، وكيف يكون آلة. أنه لا تناقض بين من يجعله جزءاً . فإنه إذا أخذ موضع النطق من حيث هو أحد الموجودات وكانت الفلسفة واقعة على ما هو علم بالموجودات كيف كانت،

(١) علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ص ١٤.
(٢) ابن سينا، الشفاء، المنطق المدخل، مراجعة إبراهيم مدكور، ١٥.

كان المنطق جزءاً من الفلسفة ...... فهو علم ما من العلوم[١]" . وعندما قسم الحكمة إلى أصول وفروع جعل المنطق من أصل الفلسفة[٢].

ولكن لما عرض ثانياً إن كانت هذه المعرفة من أمر هذا الوجود تعين في معرفة أخرى، " فتكون هذه المعرفة التي هي نفسها معرفة ما آلة لمعرفة أخرى[٣]...."

ونلاحظ بأن ابن سينا يعتبر الذين جعلوا المنطق آله فقط نظروا إليه من زاوية، وأهملوا الزاوية الأخرى وهي علاقة بالفلسفة. وهذا يجعلنا نعتقد أن اتجاه ابن سينا هو الصواب، وهو الذي يجعل المنطق نظرياً وعملياً في آن واحد. وذلك لأنه مبنى على أساس منطقي لأن المنطق يقوم على أساس " الكلي " ونظرة الذين يعتبرونه آلة فقط خالفوا هذه ونظروا إليه نظرة جزئية. كما أن هذا الإتجاه الأخير يزيل الهوة بين الأرسطيين الذين يعتبرونه آلة فقط، وبين الرواقيين الذين يثبتون ميتافيزيقية.

والسنوسي يأخذ بهذا الإتجاه الأخير فهو يعتبر المنطق آلة وعلماً في الآن عينه. بل يجعله ميتافيزيقيا حتى من خلال تعريفه له. فيعرفه بأنه : " قانون تعصم مراعاته بتوفيق الله تعالى الذهن من الخطأ في فكره. كما يعصم النحو اللسان من اللحن[٤] في قوله " ونلاحظ بأن هذا التعريف رغم ميتافيريقاه إلا أن صيغته تجعله أقرب الأولين منه إلى الذين يعتبرونه نظرياً وعملياً ، لذلك يسميه علماً صراحة "...." فقد اضطر إذن لمعرفة هذا العلم ليعرف به العقل صحة الطريق الذي

---

(١) ابن سينا ، الشفاء، المنطق القياس، تحقيق سعيد زايد، ط ١، وزارة الثقافة و الارشاد القومي القاهره ، ١٩٦٤، ص ١٠.

(٢) ابن سينا ، منطق المشرقين، ط ١، دار الحداثة ، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٣، ٢٤ .

(٣) ابن سينا ، الشفاء ، المنطق ، القياس، ص ١٠.

(٤) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٢٧ / أ.

يكتسب به ما جهله من التصورات، وصحة الطريق الذي يكتسب به ما جهله من التصديقات"[1]. ومن هنا فإن السنوسي يعتبر المنطق نظرياً وعملياً في آن واحد، لكن الفلسفة التي يعتبر المنطق جزءاً منها، ليست فلسفة اليونان، وإنما هي علم الكلام الإسلامي. وهذا ما يختلف فيه السنوسي عن ابن سينا.

ويلخص نظر السنوسي إلى المنطق بأن له ناحيتين:

١- البحث في الفكر الإنساني بقصد الاهتداء إلى قوانينه ومعرفة الشروط التي يتوقف عليها الصحيح منه، وهو من هذه الناحية علم من العلوم له موضوع خاص، وغرض معين ومنهج محدد.

٢- تطبيق هذه القوانين على أنواع الفكر المختلفة لمعرفة الصواب منها والخطأ. وهو من هذه الناحية صناعية[2] ".

وقد وجه بعض المفكرين نقداً لهذا الإتجاه. إذ يرون بأنه " لا يصح في تصور علم من العلوم أن نجمع بين كونه صناعة، وبين كونه علماً نظرياً في آن واحد. فهذا تناقض[3] ".

لكن الحقيقة أنه لا تناقض بينهما. لأن المنطق علم في ذاته، وسيلة لغيره.

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٢٧/أ.

(٢) محمد أبو ريان، على عبد المعطي، أسس المنطق الصوري ومشكلاته، ص ٤،٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦ .

موضوع علم المنطق :

بعد أن بين السنوسي فائدة المنطق وحكم تعلمه. وعرفه، بين أن تأليفه يعتصر فقط على التعريفات ومبادئها، والحجج ومبادئها. وذلك لأن العلم المكتسب الذي يطلب ينحصر في نوعين هما : التصورات والتصديقات. فالعلم المكتسب إذن نوعان : تصور يراد به إدراك المفرد كتصورنا للإنسان والحساس، وتصديق يراد به إدراك النسبة وذلك بأن يضم تصوران أحدهما للآخر، وتدرك الصلة الموجودة بينهما المحتملة للصدق والكذب. كقولنا الإنسان حساس، وكل تصديق يقتضى تصوراً ولا عكس[(١)].

وبناء على هذا فإن الدعامة الأولى التي تعتمد عليها النظريات المنطقية المختلفة هي التصور والتصديق، والتفرقة بينهما نقطة بدء ثابتة في كتب المنطق العربية على اختلافها، ونراها لأول مرة عند الفارابي، ثم تمتد من بعده إلى السنوسي وغيره من مناطقة المسلمين. وعلى هذه فإن موقف السنوسي الذي يقرر فيه العلم المكتسب محصور فيها لم يبتدعه. لأن كثيراً من المناطقة والمفكرين المسلمين كانوا يرون نفس الرأي، ومنهم فخر الدين الرازي (المتوفى سنة ٦٠٦هـ / ١٢١٠م) . الذي يرى أننا إذا أدركنا حقيقة، فإما أن نعتبرها من حيثن هي من غير حكم عليها لا بالنفي ولا بالإثبات، وهو التصور، أو نحكم عليها بنفي أو إثبات، وهو التصديق[(٢)]. وهما في نظره قد يكونا أوليين أوكسبيين[(٣)].وهو رأي الغزالي الذي يرى أن البحث النظري إما أن يتجه إلى تصور أو إلى تصديق، " والموصل إلى

---

(١) ابن سينا ، الشفاء، المنطق، المدخل، تصدير إبراهيم مدكور، ص ١٧ .

(٢) فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. د ط الكليات الأزهرية مصر د.ت. ص١٦.

(٣) فخر الدين الرازي، أصول الدين، د.ط الكليات الأزهرية. مصر د.ت ، ص ١٩.

التصور يسمى قولاً شارحاً، فمنه حد ومنه رسم، والموصل إلى التصديق يمسى حجة، فمنه قياس ومنه استقرار وغيره[١] ".

وهنا نلاحظ أن الذين يرون انحصار العلم في التصور والتصديق هم المناطقة المسلمون بدون استثناء. وقد انتقل هذا التقسيم من المسلمين إلى ؟؟؟؟ في القرون الوسطى، وكان له أثر كبير في دراستهم للمنطق.

وقد وقع اختلاف شديد حول المصدر الذي أخذ منه المسلمون هذا التقسيم، وقد نسب إلى الرواقيين خطأ لسببين: -

١- المنطق الرواقي حسي لا نعترف إلا بوجود الأشخاص " وهذا هو الإتجاه الأسمى عند الرواقيين، وهو ينكر استناد الماهيات إلى الجنس والفصل، والحد عند الرواقيين هو تحديد الصفات الخاصة بكل موجود فقط، وهذا يخالف نظرية التصور كما يفهمها المشاؤون المسلمون[٢] ".

٢- فكرة تقسيم العلم إلى تصور وتصديق أرسطية بحتة، حيث نجد أرسطو يبدأ الفصل الثالث من المقالة الثالثة من كتاب النفس بقوله: " أن العلم ينقسم إلى تصور وتصديق[٣]" وهذا يبين أن مناطقتنا أخذوا هذه الفكرة عنه لا عن الرواقيين.

ومن هنا نجد المسلمين الذين رفضوا المنطق اليوناني يرفضون هذا التقسيم، ومنهم الإمام الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) الذي لا يرى أن العلم تصور أو تصديق، وإنما العلم عنده علمان: علم عامة معروف لدى جميع الناس مثل

(١) الغزالي، معيار العلم ، ص ٣٩. ٤٠.
(٢) علي سامي النشار، المنطق الصوري، منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة ، ص ٩١، ٩٢.
(٣) المصدر نفسه ص ٩٢.

الصلوات الخمس،متعلق بأركان الدين وأهم مسائله، وقد ورد صراحة في القرآن والسنة، وعلم خاص متعلق بالفروع، ويقوم في عمومه على الإجتهاد[١].

لكن السنوسي يأخذ برأي المناطقة ويبين أننا كبشر محتاجون إلى المنطق لنعرف ما نجهله من التصورات والتصديقات .

ونلاحظ بأن التصورات والتصديقات تصيب وتخطئ ولا بد من ضبطها بوضع قواعد لذلك. وقواعد التصورات نظرية القول الشارح أو التعريف بما فيه من حد ورسم إلخ، وهو يتركب من مبادئ هي الكليات. أما قواعد التصديقات فهي نظرية الحجة بما فيها من قياس وغيره وهي أيضاً تتركب من مبادئ هي القضايا[٢].

" فموضوع المنطق إذن نظريتان أساسيتان، تعريف يوصلنا إلى تصورات صحيحة وإدراك للمعاني على وجهها، وبرهنة ترسم لنا وسائل التصديق وتمييز بين الصواب والخطأ[٣] ".

" وبعد أن يحقق المتعلم ما يحتاج إليه من هذه المطالب الأربعة (التصورات ومبادئها، والتصديقات ومبادئها) فليعرض عملاً لا يحتاج إليه، ولا يتلف فيه جزءاً نفسياً من العمر[٤] ".

---

(١) الإمام الشافعي ، الرسالة ، تحقيق أحمد محمد شاكر. د.ط.د . مكان النشر . د.ت. ص ٣٥٧.
(٢) السنوسي، شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٢٨/أ .
(٣) ابن سينا، الشفاء، المنطق، المدخل ، تصدير إبراهيم مدكور، ص ٥٦.
(٤) السنوسي، شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٢٨/أ.

والسنوسي بهذا الموقف يصنف نفسه مع الذين ينظرون للمنطق على أساس أنه يبحث في قوانين عامة تنطبق على التفكير المجرد في كل زمان ومكان. أما الجانب المادي منه، فالأولى أن يربط بما يسمى الآن فلسفة العلوم.

وقد نقد ابن خلدون (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) فلاسفة الإسلام – منهم السنوسي[1] – الذين يأخذون بهذا الاتجاه أي بصورية المنطق (- المقولات، القضايا التصديقية وأصنافها، العبارة القياس وصورة إنتاجيه على الإطلاق) ويهملون مادته (البرهان، الجدل الخطابة، الشعر، ؟؟؟) بقوله: " ..... ثم تكلموا في القياس من حيث إنتاجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة. وحذفوا النظر فيه بحسب المادة، وهي الكتب الخمسة..... و ربما يلم بعضهم باليسير منها إلماماً، وأغفلوها كأن لم تكن، وهي المهم المعتمد في هذا الفن[2] ".

ورغم تأثر السنوسي بالغزالي وابن عرفة إلا أنه خالفهما في إهماله الناحية المادية في المنطق، كما أنه يختلف مع الفارابى الذي يجعل كل ما يتعلق بالناحية الصورية وسيلة لدراسة الصناعات ومنها البرهان على وجه الخصوص " الجزء الرابع – البرهان– وهو أشدها تقدماً بالشرف والرياسة، والمنطق إنما التمس به على القصد الأول الجزء الرابع، وباقي أجزائه إنما عمل من أجل الرابع فإن الثلاثة التي تتقدمه في ترتيب التعليم هي توطئات ومداخل وطرق إليه، والأربعة الباقية التي تتلوه فلشيئين: أحدهما أن في كل واحدة مهما ارفادا ما ومعونة على أنها كالالآت

---

(١) أي أن نقد ابن خلدون ينطبق على السنوسي رغم وفاة ابن خلدون قبل ولادة السنوسي.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٨٩.

للجزء الرابع،... والثاني على جهة التحريز[١] ". أي حتى لا يخلط الإنسان بين الأشياء الجدلية والخطابة إلخ فتؤدى به إلى الخطأ.

والسنوسي أهمل تلك الصناعات الخمس لأنه له موقف خاص من المنطق يخالف به غيره وهو أنه ينظر إلى المنطق على أنه يبحث في صور الإستدلال الفكرية من حيث هي كما يقول النشار[٢]. وموقف السنوسي هنا يتسم بنوع من القبول – في نظرنا – رغم أهمية الكتب الخمسة التي تمثل مادة المنطق ذلك أن أرسطو طبق قوانين الجانب الصوري من المنطق على الجدل والأغاليط والخطابة والشعر، وبالنسبة لهاتين الأخيرين: فإن شراح مدرسة الأسكندرية و على رأسهم سمبليقيوس (عاش في القرن ٦ م) وأمونيوس هم الذين عدوا الخطابة والشعر جزءاً من المنطق، وقد عارض الإسكندر الأفروديسى ذلك. وموقفه منطقي، لأن الخطابة تختلف عن المنطق عند أرسطو غاية وموضوعاً، حيث تعتمد على احتمالات وأمور شائعة. وتهدف إلى مصلحة اجتماعية، بينما المنطق يبحث عن اليقين ويعتمد عل الحقائق المطلقة الضرورية، فالخطابة والشعر مرتبطان بعلوم اللسان واللغة لا بالمنطق. ولذلك جاءت كتب المسلمين المنطقي المختصرة خالية منها. [٣]

وهكذا فكأن الكتب الخمسة ثقافة عامة تنطبق عليها قواعد المنطق ولا تمثل جزءاً منه ونضيف إلى هذا أن تلك الكتب الخمسة تظهر فيها ميتافيزيقا اليونان أكبر ظهور. لكن مع هذا فإنها مهمة. لأنه ليس شرطاً أن نبقى على وثنية اليونان المبثوثة فيها، بل نضع فيها مادة إسلامية كما فعل الغزالي. ونلاحظ بأن إهمال

---

(١) الفارابي، إحصاء العلوم ، ص ١٩،٢٠.

(٢) علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ص ١٨.

(٣) ابن سينا الشفاء، المنطق، المدخل، ص ٤٦، ٤٧ .

الجانب المادي في المنطق خطر على تكوين العلم الطبيعي لأنه يهتم فقط بالناحية الكيفية، والعلم الحديث في جوهره كمي ورياضي[١].وقد تنبه أرسطو إلى أهمية الجانب المادي في المنطق، ولذلك فإن منطقه يشمل الجانب الصوري متمثلاً في الإستدلال. والجانب المادي في الاستقراء،نظرية ارسطو إذن كانت مزدوجة بين الجانب الصوري والمادي في المنطق مثل نظريته في الميتافيزيقا التي فرق فيها كذلك بين المادة التي هي المضمون، والصورة التي هي الهيئة الخالصة، الخالية من المضمون، وهذا بتأثير المنطق عليه[٢].

لكن السنوسي يبقى فقط على الجانب الصوري، وهو الذي يكون العلم الذي ينقسم إلى تصور وتصديق، وهنا لا بد أن نشير إلى أن التصور هنا هو أساس الحكم والاستدلال، وأن العلم يقوم على الكلي. وهذا لا يصلح في العلم التجريبي الحديث. لأن الذي يوجد وجوداً حقيقياً ويدخل في العلاقات المتبادلة المنطقية يكون الاستدلال ليس هو " التصور الكلي"، ولكن " صور جزئية، هي تعبيرات مباشرة للحقيقة الفردية[٣] ".

وقد نبه ابن تيمية إلى هذا، فبين بأن العلم يجب أن يكون مبنياً على الجزئيات لا على الكليات لأن الجزئي هو الذي يصدق في الواقع، ويمكن البرهنة عليه[٤].ويبدو أن ابن تيمية متأثر بالرواقيين لأنهم هم الذين هاجموا المنطق الأرسطي لاحتواء القضية العملية على الحدود الكلية. لأنهم لا يعترفون

---

(١) علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة ص ٢٥.

(٢) أليس أبروز، موريس لا زيروقيتش، أوليات المنطق الرمزي، ترجمة عبد الفتاح الديدى د.ط المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٣،ص١٥،١٤ .

(٣) علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة ، ص ٣٠.

(٤) علي الوردي ، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ص ٦٨.

بالكليات، حيث أن مصدر المعرفة عندهم الواقع الخارجي المحسوس الذي لا يتحقق فيه إلا الجزئي[١] فالمعرفة ككل إذن تتألف من الصورة الآتية:-

من الخارج ثم من القول المعبر عنها، والذي هو تعبير عنها بكل ما فيها من جزئي وشخصي[٢].

ومن هنا فان اعتبار العلم منحصراً في التصورات والتصديقات خطأه العلم الحديث فالطريق الوحيد الموصل للعلم عند المحدثين، وعلى رأسهم جون استيوارت مل (١٨٠٦- ١٨٧٣م) هو الإستقراء . وقد وجد الاستقراء عند أرسطو بنوعيه الناقص والكامل، غير أنه لم يفهمه كما فهمه المحدثون، فالاستقراء الكامل عنده إحصاء كلى للجزئيات، وهو المؤدي وحده إلى اليقين. إما الناقص فلا يؤدي إلى يقين ما. ولذا لم يعتبره من الوسائل المؤدية إلى العلم

الصحيح[٣].وهذا ينسجم مع فلسفته التي تقوم على الكلي. والإستقراء الحديث يفيد العلم بأن ينتقل من الجزئي إلى الكلي مستنداً على التجربة، أي يضع الحكم على أساس أن يصل إلى الروابط الضرورية بين الجزئيات، وهذه الروابط تنتهي إلى أن تكون قوانين كلية، أو أحكاماً كلية، " تصدق في كل الأحوال ".

---

(١) ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة التحليل المعاصر، د.ط. دار النهضة العربية بيروت. ١٩٨٥، ص ٤٨.

(٢) ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم، المنطق الرياضي،د ،ط دار النهضة العربية بيروت،١٩٨٥ص ١٩. ماهر عبد القادر محمد علي فلسفة التحليل المطهر ص ٤٨. (مما يثير الغرابة أن ماهر عبد القادر أورد في كتابه فلسفة العلوم، المنطق الرياضي من ص ١٨ الى ص ٦٢ : ما يأتي : الرواقية ومنطق الشرطيات، جورج بول والإتجاه الجبري في المنطق بيانو وتطوير البحث المنطقي، فريجه والاتجاه اللوجيسيتقي.وقد أعاد كل ما أورده هنا بنصه في كتابه فلسفة التحليل المعاصر من ص ٤٨-٨٧ دون أن يشير إلى ذلك علماً أن كلا الكتابين مطبوع سنة ١٩٨٥م.

(٣) علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة ص ٣٣.

والأحكام الكلية التي يصل إليها الإستقراء بعد تجارب محسوسة تحقق أيضاً بطرق عقلية تنطبق على النطاق المحسوس الذي تجرى فيه التجارب. ولكي نصل إلى أحكام كلية نكتفي بانتقاء نماذج نقيم عليها تجاربنا لكي نصل إلى القانون العام(١).

لكن هذا النقد للنظرية القديمة لا يلغيها، وإنما يضيق دائرتها فقط، وفي نفس الوقت يثريها، إذ تصبح التصورات مبنية على حقائق علمية أكثر من السابق.ومهما يكن من أمر، فإننا لا نلوم السنوسي على هذا، لأنه ليس مجال تخصصه.

مجال استخدام المنطق:

نلاحظ على السنوسي بأنه جعل علوم الشريعة من ضمن العلوم التي نستخدم فيها النمطق لأن العلوم كلها تصبح طوع اليد لمن أتقن المنطق(٢). وعلوم الشريعة جزء من العلوم. وقد رأينا كيف مزج بين المنطق وعلم الكلام في كتابة " المقدمات" وشرحه له، وهو في هذا متأثر بالغزالي الذي يعبر المنطق جزءاً من علم الكلام.

وهنا يطرح سؤال وجيه هو: هل الشريعة الإسلامية في حاجة إلى المنطق اليوناني ؟

ونجيب بأن هناك علوماً كثيرة لم تحتج إلى المنطق فقد صنف في الإسلام علوم النحو والعروض والفقه، وغيرها. ولم يكن أصحاب تلك العلوم يعرفون المنطق اليوناني(٣).فأحرى بعلوم الشريعة أن لا تعتمد عليه خاصة أن الكثير منها نقلي.

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٣.

(٢) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٧/ ب .

(٣) ابن تيمية ، نقض المنطق، ص ١٦٩ .

ومن علوم الشريعة علم العقيدة أو الكلام، وهذه ليست في حاجة إلى المنطق، وذلك لأن القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتواترة يغنيان عن المنطق عاماً في معرفة العقيدة " فالسلف الصالح رضي الله عنهم كان علمهم القرآن . وهديهم من محمدﷺ ، وكانوا مع ذلك أقوى الناس إيماناً وأشدهم يقيناً وأكثرهم إطمئنانا، وقد سلك المسلمون من بعدهم سبيلهم واتبعوهم بإحسان[(١)] ".

والقرآن الكريم لا يبين العقيدة على جهة الإخبار فقط، " بل في الأدلة المنتجة يقيناً، ففيه الحث على النظر، وتوجيه العقول إلى الكون، ودلالته على الخالق..... والمسلمون الأوائل وجدوا فيه الأدلة التي انتهت إلى التصديق الصحيح، وكذلك الكثير من علماء الأديان والحكماء الذين اعتنقوا الإسلام. لم يجدوا نقصاً في استدلال القرآن ، كما لم يجدوا في أدلته مدخلاً للاحتمال[(٢)] . " فالقرآن الكريم فيه من الأدلة ما يجعل الناس مقتنعين بعقيدته على مر العصور، بل ما تقدم التفكير الإنساني خطوة إلا واكتشف ما يبهره في القرآن الكريم وإعجازه العلمي شاهد على هذا. ومن هنا فإننا نخالف السنوسي في أن علوم الشريعة في حاجة إلى المنطق، ونوافقه في أن دراسته ضرورية، لأن هناك طائفة من غير المسلمين فتعصب لآرائها واتجاهاتها مستخدمة المنطق في البرهنة والمجادلة. تهاجم عقيدة المسلمين وتستهزئ بما عندهم من دين، فالمسلمون مضطرون لدراسة المنطق، وذلك كي يدرأوا حجج أولئك المبطلين ويبينوا زيف استدلالهم باستخدام المنطق كميزان، إذ يكفي أن يوضع الكلام الزائف في شكل قياس منطقي، وتتعرف الحدود في كل أجزائه، ويعرف العموم والخصوص في مقدماته ليظهر الصحيح من الفاسد[(٣)].

---

(١) محمد أبو زهرة، ابن تيمية ، حياته وعصره. دار الفكر العربي ، القاهرة، د.ت،ص ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥١.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٥٥.

ومهمة المنطق لا تقتصر على هذا فحسب، بل تتعداه إلى وضع القوانين العامة التي ينبغي أن يسير التفكير بمقتضاها[١]، ثم إنه يشحذ الذهن في ترتب الأدلة والحجاج لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البراهين[٢]. وهذا مفيد جداً في الجدل مع أهل الملل والنحل، وهذا في حد ذاته خادم للشريعة.

(١) توفيق الطويل، أسس الفلسفة، د. ط، دار النهضة العربية ، مصر، د. ت. ص ٤١٩، ٤٢٠.
(٢) ابن خلدون ، المقدمة، ص ٤٣٢.

الفصل الأول

المنطق واللغة أو علاقة الفكر باللغة

المبحث الأول: مبحث اللفظ من حيث دلالته على المعنى:

نظرية السنوسي المنطقية منحصرة في مبادئ التعريفات ومقاصدها، ومبادئ التصورات ومقاصدها لأن المدركات الذهنية كما قلنا تنحصر في التصورات والتصديقات، ولا يمكن نقل تلك المدركات إلى الآخرين الذين لا يملكون وسائل حسية أو أدلة مادية لإدراكها، كما لا يمكننا نحن معرفة مجهولات تصديقيه إلا بطريقين أولهما: التعريف بصور المفردات، وهذا الطريق يؤدي بالآخرين إلى معرفة التصورات الواقعة في أذهاننا، والطريق الموصل إلى تلك التصورات يسمى معرفاً أو قولاً شارحاً أي للمفرد المطلوب حصول صورته في الذهن، أو تمييزه عن غيره، ولهذا المعرف ضوابط سنعرفها من بعد .

وثانيهما طريق إقامة الأدلة النظرية للوصول إلى معرفة معلوم من المعلومات التصديقية أو لإقناع الغير بذلك المعلوم .

وهذا الطريق يوصل إلى التصديقات، والطريق الموصل إلى مطلوب تصديقي يسمى حجة، أو دليلاً ولهذا الطريق ضوابط[1] سنعرفها من بعد كذلك.

ونتيجة لما سبق، فإن السنوسي كان يجب عليه أن يبدأ بحثه بمبادئ التصورات، ولكن ذلك يكون مستحيلاً، إذ لا نستطيع التعبير عن التصورات

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ط ٢، دار القلم دمشق، بيروت ، ١٩٨١،ص ٢١.

والتصديقات. أو لا نستطيع التوصل إلى المعاني إلا بمعرفة أحوال الألفاظ والألفاظ قد يقع فيها التفسير والخلط فلا يتم التفاهم بها فاحتاج المناطقة إلى بحث الألفاظ من جهة عامة من غير إختصاص بلغة من اللغات إتماماً للفهم ودركاً للمعنى[(١)].

وذلك لأن الصلة وثيقة بين اللفظ والمعنى واللفظ الذي يؤدي إلى ذلك المعنى، إذ لا يمكن الوصول إلى المعاني إلا بالألفاظ " ولذا ارتبط التفكير باللغة واحتاج منطق المعاني إلى شيء من دراسة الألفاظ[(٢)] ".

ونلاحظ بأن المنطق الأرسطي نشأ في جو البلاغة والحوار اليونانيين، وهو يشتمل على مباحث لفظية ولغوية متفرقة، فنظرية المقولات تعتبر إلى حد ما تصنيفا لطائفة من الألفاظ، وقامت على التفرقة بين المترادف، والمشترك، وكتاب العبارة يشرح أجزاء الجملة ويبين كيفية تكوينها، ثم أتى تلاميذ أرسطو، فبحثوا الألفاظ على أنها وسيلة لا غاية.

لكن الرواقيين إعتبروا المنطق جدلاً كله ، فأصبحت دراسة الألفاظ من أهدافه الأساسية كما يقول إبراهيم مدكور[(٣)].

وهذا ما جعل تلاميذ أرسطو يخالفون الرواقيين، فاعتبروا المباحث اللغوية تمهيداً للمنطق وهي وسيلة، لا غاية، وقد تبعهم في ذلك ابن سينا الذي يرى بأن " النظر في الألفاظ أمر تدعو إليه الضرورة، وليس للمنطق شغل أول بالألفاظ لا من جهة المخاطبة والمحاورة، ولو أمكن أن يتعلم المنطق بفكرة ساذجة إنما تلحظ فيها المعاني وحدها، لكان ذلك كافياً ، ولو أمكن أن يطلع المحاور فيه على ما في نفسه

---

(١) محمد رضا المظفر، المنطق ص ٣١.

(٢) ابن سينا، الشفاء المنطق ، المدخل ، تصدير إبراهيم مدكور، ص ٦٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٠.

بحيلة أخرى لكان يغني عن اللفظ البتة"[1] ولكن نتيجة لتعذر هذا " فاضطرت صناعة النطق إلى أن يصير بعض أجزائها نظراً في أحوال الألفاظ"[2] والسنوسي يرى الرأي نفسه تقريباً " مبادئ التعريفات وإن كانت هي الكليات الخمس لما كانت لها ألفاظ تدل عليها وبها يتصرف في التعريفات، احتيج أولاً إلى معرفة الدلالة وأقسامها"[3] فالدلالة وسيلة لا غاية، وهي خارجة عن علم المنطق، لكنها ضرورية له، ولهذا يبدأ السنوسي ببيان الدلالة وأنواعها بسبب الإرتباط الجوهري بين اللفظ ودلالته[4] وهو ما نبينه الآن .

---

(١) ابن سينا ، الشفاء المنطق ، المدخل، ص ٢٢ – ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣.

(٣) السنوسي ، شرحه لمختصره في المنطق ، ورقة ٢٢٨/ ب.

(٤) مهدي فضل الله، مدخل إلى علم المنطق (المنطق التقليدي) ط٢ دار الطليعة، بيروت ١٩٧٩،ص٤٠.

مفهوم الدلالة وآراء المفكرين فيها، وموقف السنوسي من تلك الآراء :

الدلالة في نظر السنوسي هي " فهم أمر من أمر[١] " وقد ناقش الذين يرون غير ذلك، وقسم موقف المناطقة منها إلى أقدمين وهو يتبنى موقفهم، ومتأخرين يرون أن الدلالة هي الحيثية، أي كون أمر بحيث يصح أن يفهم منه أمر، سواء فهم منه ذلك الأمر أو لم يفهم[٢] " و المتأخرون اعترضوا على موقف السنوسي بأن تفسيره لها، هو تفسير لوصف أمر بما هو وصف لغيره، أي أن الدلالة وصف للأمر الدال والفهم الذي فسرت به وصف لغيره[٣] كما اعترضوا كذلك بأن الدلالة وصف اللفظ، والفهم وصف السامع متغايران ضرورة[٤] كما أن الدال يوصف بالدلالة قبل الفهم وبعده، وذلك يقتضي تقدم الدلالة على الفهم.

والسنوسي يبرر موقفه بحكمة، فيرد عليهم قائلاً ﴿ فإن قلت تفسيركم الدلالة بالفهم لا يصح لأن الدلالة وصف اللفظ والفهم وصف السامع متغايران ضرورة قلت الإعتراض بما ذكرت مشهور بين المناظرين ، الدلالة بالفهم شائع بين المتقدمين، وجواب الإعتراض ، أن الفهم الذي فسرت به دلالة اللفظ فهم مخصوص، وهو فهم السامع من ذلك اللفظ لا مطلق فهم السامع[٥] ".

وهو يعتبر الذين يفسرون الدلالة بالحيثية مخطئين، وخطؤهم ناشئ من تفصيل المركب ذلك أن الفهم الذي فسرت به الدلالة فهم مقيد بـ (من) الذي هو الأمر الدال بمعنى أن الدلالة هي كون أمر يفهم منه أمر و الذي فهم منه أمر

---

(١) السنوسي مختصره في علم المنطق مخ ثانوية ابن زرجب ، تلمسان الجزائر ورقة ٥ / أ

(٢) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٩٨ / ب .

(٣) المصدر نفسه ورقة ٢٢٨/ ب .

(٤) شرح اياغوجي البقاعي مخ المكتبة الوطنية ، الجزائر، رقم ١٣٨٢، ورقة ٥ / أ .

(٥) المصدر نفسه ورقة ٢٢٨/ ب .

هو الأمر الدال لا غيره، والذي اتصف به غيره هو الفهم لأمر أي كونه فاهماً له لا الفهم منه.

أما الإعتراض الأخير فيرد على أصحابه بأن وصف الدال بالدلالة قبل الفهم إنما هو بطريق المجاز لا بطريق الحقيقة[١] .

ونأخذ على السنوسي أن كلامه في تبني رأي الأقدمين وانتقاد المتأخرين فيه نظر، فبعد أن انتقد المتأخرين الذين يفسرون الدلالة بالحيثية فسر الدلالة بأنها كون أمر يفهم منه أمرفأراد بقوله ((يفهم)) أنه صالح لأن يفهم منه، كما هو الظاهر من التعبير بالمضارع، فهذه هي الحيثية التي فر منها، وإن أراد كونه مفهوماً منه ذلك بالفعل، فليس هذا هو الدلالة أيضاً على التفسير المذكور.إذ هي الفهم نفسه لا حالة زائدة عليه[٢] ، ومن هنا فإن آخر كلامه الذي يعتبر فيه أن اللفظ لا يوصف بالدلالة قبل الفهم عند المفسرين إلا مجازاً، يعارض وله الذي يكون مضمونه هو الحيثية ، ذلك أن قوله ((بطريق المجاز)) فيه نظر، لأن المعترضين للحيثية، إنما يجعلون اللفظ دالاً قبل الفهم وبعده . حقيقة بدليل قولهم سواء فهم أو لم يفهم، وإلا بطلت المساواة ، ومن هنا فإما أن يسلم مع الأولين بأن الدلالة حقيقية قبل الفهم وبعده، أو يسلم مع المتأخرين بالحيثية[٣]. والغريب أن السنوسي يثني بعد ذلك على قول ابن الحبان[٤] الذي يرى أن الدلالة هي الحيثية، وذلك في معرض

---

(١) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٩/ أ ب

(٢) الحسن بن مسعود اليوسي، نفائس الدرر في حواشي المختصر مخ، المكتبة الوطنية الجزائر، رقم ١٣٨٢، ورقة ٨٠/أ .

(٣) المصدر نفسه ورقة ٨٠/ أ.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن يحي بن عمر بن الحباب التونسي، من أبرز شيوخ ابن عرفة في العلوم العقلية، متوفى سنة ٧١٤هـ/ ١٣٤٠م) أو سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م (سعد غراب رسالتان ، رسالتانه في المنطق ص ١٢٦)

حديثة عن دلالة الإلتزام فيقول " وأما قول ابن الحباب فهو مبني على أن الدلالة الحيثية..... وهذا البناء من الشيخ – رحمه الله – حسن واضح[(١)] ".

ويمكن أن نخرج من هذا بأن نعرف الدلالة تعريفاً اتفق عليه كثير من المفكرين وهو أن الدلالة "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، فالشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول[(٢)] "، ويمكن توضيحها بالمثال الآتي إذا سمعت طارقاً يطرق بابك انطبع في ذهنك وجود شخص على بابك يستأذن، فالطرقة دلت على وجود شخص يستأذن فهي دال ووجود الشخص المستأذن مدلول، والصفة التي حصلت للطرقة دلالة، ولنقس عليها باقي الأشياء، فيتضح معنى دلالة بأنها " كون الشيء بحالة، إذا علمت بوجوده انتقل ذهنك إلى وجود شيء آخر[(٣)] ".

أقسام الدلالة :

لا ينتقل الذهن من شيء لآخر إلا بسبب، والسبب هو رسوخ العلاقة بين الشيئين في الذهن. فدلالة شيء على آخر لا تكون إذن إلا لعلاقة بينهما تقتضي أن ينتقل منه إليه، وإلا دل على كل ما عداه فالعلاقة هي سبب الدلالة[(٤)]، وهذه العلاقة الذهنية لها سبب وهو العلم بالملازمة بين الشيئين خارج الذهن، ولاختلاف هذه الملازمة من كونها ذاتية أو طبيعية، أو وضعية، قسم المناطقة الدلالة إلى ثلاثة أقسام ، عقلية ، وطبيعية ووضعية[(٥)] .

---

(١) السنوسي شرحه لمختصرة في المنطق ورقة ٢٣٢/أ.
(٢) الجرجاني التعريفات ص ٥٥، شرح السفرة في المنطق، دار المشرق بيروت ١٩٨٣، ص ٢٨.
(٣) محمد رضا المظفر، المنطق، ص ٣٥ .
(٤) الصفوي ، شرح السفره في المنطق دار المشرق بيروت، ١٩٨٣،ص ١١٦.
(٥) محمد رضا المظفر المنطق ص ٣٥.

١- الدلالة العقلية هي التي يقتضيها العقل[١]. وهي أن يكون بين الدال والمدلول ملازمة ذاتية في وجودهما الخارجي كالأثر والمؤثر[٢] والصنع على الصانع.

٢- الدلالة الطبيعية أو الطبعية : وهي التي لا يكون فيها ارتباط عقلي بين اللازم والملزوم إلا أن النظام الذي وضعه الله في الطبيعة قد أوجد هذا الترابط، مثل دلالة كثرة الأمطار على الخصب، ودلالة قلتها على الجدب، ودلالة الكلام على حياة الإنسان الذي يصدر منه، واقتضاء طبع بعض الناس أن يقول (أ) عند الحس بالألم و (آه) عند التوجع، هذه الدلالات طبيعية لا يمنع العقل المجرد عن ملاحظة الواقع من تخلفها[٣].

ونلاحظ بأن الدلالتين السابقتين ليستا باختياريتين إلا أن الطبيعة يمكن تغيرها عكس العقلية[٤].

٣- الدلالة الوضعية: - وهو أن تكون الدلالة سببها الوضع، وهو تعيين أمر للدلالة بنفسه أي من غير قرينة إن كانت حقيقية ، وبقرينة إن كانت مجازية ، فالدلالة فيها اختيارية، تتغير بتغير الوضع، ويمكن أن نعبر عنها بكيفية أخرى فنقول: بأنها دلالة شيء ما، تواضع الناس في اصطلاحهم على أن يكون دالاً على معنى معين[٥]. كإشارات البرق، واللاسلكي، والرموز الحسابية والهندسية إلخ وهذا فإن هذه الدلالة اختيارية، وهي المعتبر في المنطق عند السنوسي وغيره، وتنقسم إلى قسمين دلالة غير اللفظ، و دلالة اللفظ.

---

(١) الرازي شرح الغره ص ٢٨ .
(٢) محمد رضا المظفر ، المنطق ص ٢٨.
(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ضوابط المعرفة ،ص ٢٣.
(٤) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٢٨ / أ.
(٥) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ضوابط المعرفة ص ٢٤.

١- دلالة غير اللفظ: وهي " إذا كان الدال الموضوع غير لفظ[١] " كالإشارات والنقوش وغيرها من رموز العلم، وكإشارات المرور... إلخ وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

أ – وضعية مثل دلالة الإشارة المخصوصة على معنى نعم أو لا .

ب – عقلية مثل دلالة التغير على الحدوث .

ج – طبيعة مثل دلالة الحمرة على الخجل.

هذه الأقسام الثلاثة لدلالة غير اللفظ خاصة ببعض الأمور دون البعض الآخر[٢].

٢- دلالة اللفظ : وهي إذا كان الدال الموضوع لفظاً، وتنقسم أيضاً إلى ثلاثة أقسام لدلالة غير اللفظ وهي : –

أ- وضعية " وهي كون اللفظ بحيث متى أطلق فهم منه معناه للعلم بوضعه[٣] مثل دلالة الرجل على الذكر، والمرأة على الأنثى، فهي إذن دلالة اللفظ على المعنى بواسطة الوضع اللغوي[٤].

ب- عقلية مثل دلالة اللفظ على جرم يقوم به لاستحالة قيام اللفظ بنفسه لأنه عرض والعرض لا يقوم إلا بجرم. وهذه الدلالة العقلية عامة لجميع الألفاظ وجميع الأصوات وإن لم تكن ألفاظاً، وهذا ما يميزها عن الدلالتين الوضعية والطبيعية للفظ، فإنهما خاصتان ببعض الألفاظ دون غيرها.

---

(١) محمد رضا المظفر النطق ، ص ٣٧.

(٢) السنوسي، شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٢٩/أ.

(٣) الرازي ، تحرير القواعد المنطقية، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ص ٢٩ .

(٤) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة ، ص ٢٤.

ج- طبعية وهي مثل دلالة الصراخ على المصائب أو الوجع، وذلك إذا كان يتركب من حروف أما إذا كان عارياً عن الحروف والتقطع فلا يعتبر لفظا[١].

الدلالة المعتبرة في المنطق (الدلالة اللفظية الوضعية)

نستنتج مما سبق أن الدلالة ستة أقسام، بحيث تنقسم إلى دلالة غير اللفظ، ودلالة اللفظ وكل منهما تنقسم إلى ثلاثة أقسام وضعية وعقلية وطبيعية، لكن المعتبر منها في علم المنطق قسم واحد فقط، وهو دلالة اللفظ الوضعية، وقد اعتبرت دون غيرها لانضباطها وعموم فائدتها في العقليات والنقليات والطبيعيات، والتعلم والتعليم وغير ذلك[٢].

أقسام الدلالة اللفظية الوضعية

سميت هذه الدلالة وضعية لاستناد جميعها إلى الوضع، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، دلالة مطابقة، وتضمن ، والتزام وقد انحصرت هذه الدلالة في هذه الأقسام الثلاث بالاستقراء، لا بالحصر العقلي الدائر بين النفي والإثبات حيث أن دلالة اللفظ إذا لم تكن مستندة إلى الوضع ولا إلى الطبع لا يلزم أن تكون مستندة إلى العقل، لكن لم يوجد بالإستقراء إلا هذه الأقسام الثلاثة[٣]، وهي دلالة المطابقة والتضمن والالتزام، وقبل توضيح هذه الدلالات يجب أن نبين بأن هذا التقسيم للدلالة لم يعرفه أرسطو ، ولا الشراح اليونان بهذه الكيفية غير أن الرواقيين أشاروا إلى فكرتي الدلالة والمدلول، وهذا يجعلنا نرجح أن مناطقة المسلمين وجدوا فكرتي

---

(١) الأمثلة التي أوردناها وهي التي أوردها السنوسي.

(٢) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٩/ ب .

(٣) الجرجاني حاشيته على تحرير القواعد المنطقية ، دار إحياء الكتب العربية مصر ص ٢٩.

الدلالة والمدلول عند الرواقيين ، وتحت تأثيرات لغوية ابتكروا هذه الأنواع للدلالة (المطابقة، والتضمن والالتزام) فهي مع أهميتها إنتاج إسلامي محض[١]، غير أن علاقة التلازم تحدث عنها كل من أوديم (٣٠٠ق.م) وثاوفرسطس (٢٨٧ق.م) متأثران بالمنطق الرواقي الذي يقوم على أساساً على علاقة التلازم[٢] ، لكن مع هذا فإن الذي أثراها وجعلها ذات أهمية هم المسلمون حيث استخدموها في البرهنة على وجود الله عز وجل، ولنبدأ بتوضيح كل واحدة:-

١- دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على المعنى الذي وضع له كدلالة لفظ الأربعة على ضعف اثنين، وهي تتميز عن الأخيرتين باستنادها إلى الوضع بلا واسطة، فالمعنى المفهوم فيها من اللفظ هو عين المعنى الذي وضع له اللفظ، سواء بالحقيقة أو المجاز، لذا فهي تدل على تمام المعنى الذي وضع له اللفظ وتطابقه تمام المطابقة[٣] كدلالة لفظ الإنسان على تمام معناه وهو الحيوان الناطق[٤] ولذا سميت مطابقة لمطابقة الفهم فيها للوضع، أو تطابق اللفظ والمعنى وهذه الدلالة وضعية صرفة.

٢- دلالة التضمن : وهي دلالة اللفظ على جزء مسماه إن كان مركباً كدلالة الأربعة على اثنين نصفها واحد ربعها أو ثلاثة ثلاثة أرباعها[٥] وهي دلالة اللفظ على جزء المعنى الذي وضع له اللفظ الحقيقي أو المجازي[٦] كدلالة لفظ

---

(١) علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص ٤١ .

(٢) ابن سينا، الشفاء المنطق العبار، تصدير إبراهيم مدكور تحقيق محمود الخضيري دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٧٠ص ك.

(٣) السنوسي، شرحه لمختصرة المنطق ورقة ٢٢٩/أ.

(٤) محمد رضا المظفر ، المنطق ص ٣٧ .

(٥) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٩ /أ .

(٦) التهانوي كشاف اصطلاحات الفنون، شركة خياط للكتب والنشر ، بيروت، ط ٢ ص ٤٩٠.

الإنسان على الحيوان وحده أو على الناطق وحده و كدلالة البيت على الجدار أو السقف[١] وسميت تضمناً لأن جزء المعنى فهم في ضمن تمام المعنى، والمقصود هو ذلك الجزء الذي فهم لإتمام المعنى لكن اللفظ دل على ذلك الجزء وعلى غيره فسميت هذه الدلالة تضمناً[٢].

٣- دلالة الالتزام وهي " دلالة اللفظ على خارج مسماه لازم له لزوماً دهنياً بينا[٣] " كدلالة الدواة على القلم، فلو طلب منك أحد إحضار الدواة وأحضرتها دون القلم فإنه يحتج عليك بأن طلب الدواة كاف في الدلالة على طلب القلم[٤]، ونلاحظ بأن حضور اللفظ بالبال لا أثر له مباشرة في فهم اللازم، وإنما الذي يؤثر هو فهم الملزوم الذي وضع له اللفظ.

وميزة هاتين الدلالتين عن دلالة المطابقة أن الوضع ليس سبباً تاماً لهما بل هو جزء سبب لأنه يوجب عند حضور اللفظ في الذهن فهم معناه المطابقي، ، وإذا حضر معناه المطابقي وكان مركباً حضر في الذهن جزء ذلك المركب من حيث أن فهم المركب موقوف على فهم جزئه.

ونلاحظ بأن السبب التام في فهم الجزء بالنسبة لدلالة التضمن هو فهم الكل حتى ولو لم يوضع للكل لفظ، وسواء ذكر ذلك اللفظ والموضوع أم لا، ولكن لما كان حضور اللفظ في الذهن سببا في فهم معناه، وفهم معناه سبباً في فهم جزئه، كان حضور اللفظ بالبال بالنسبة إلى فهم الجو سبب السبب، وكذا دلالة الالتزام، فإن الذي يؤدي إلى فهم اللازم هو فهم الملزوم الذي وضع له اللفظ. ونتيجة

(١) عمر بن سهلان الفاوي ، البصائر النصيرية ، ص ٧.

(٢) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة ، ص ٢٥.

(٣) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٩/ ب .

(٤) محمد رضا المظفر، المنطق، ص ٣٨ .

لاحتياج هاتين الدلالتين إلى مقدمة زائدة على المقدمة الوضعية اختلف فيهما على ثلاثة أقوال :-

١- هما وضعيتان نظراً للمقدمة الأولى الوضعية.

٢- هما عقليتان نظراً للمقدمة الثانية العقلية.

٣- التضمنية وضعية لدخول الجزء فيما وضع له اللفظ، والالتزامية عقلية لخروج اللازم كما وضع له اللفظ(١).

والسنوسي لا يرجح أي رأي، ونحن نميل إلى أنهما وضعيتان وعقليتان معاً، وذلك لما تتركبان منه، عكس دلالة المطابقة التي هي وضعية صرفه(٢)

العلاقة بين الدلالات الثلاث:

السنوسي قيد دلالة التضمن بكون المسمى مركباً، ودلالة الالتزام بكون اللزوم ذهنياً بينا لتفهم الصلة بين هاتين الدلالتين ودلالة المطابقة، والصلة هي العموم والخصوص بإطلاق، بحيث كلما وجدت إحداهما وجدت دلالة المطابقة، ولا يشترط العكس لا مكان أن يوضع اللفظ لمعنى بسيط لا لازم له بين.

أما العلاقة بين دلالتي التضمن والالتزام فهي العموم والخصوص من وجه ، فإن كان المسمى مركباً وله لازم ذهني بين اجتمعا ، وإن كان مركباً ولا لازم له بين انفردت دلالة التضمن، وإن كان بسيطاً لكن له لازم بين انفردت دلالة الالتزام(٣).

---

(١) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٢٩/ب.

(٢) نصير الدين الطوسي، شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا، ط ٢ دار المعارف، مصر ، القسم ١ صفحة ١٣٩.

(٣) السنوسي شرحه لمختصره ورقة ٢٣٠/ب، ٢٣١/ أ .

ونلاحظ بأن تقييد اللزوم بالبين طعن فيه، لأن البين عند شخص قد لا يكون بينا عند آخر[1] لكن هذا الطعن مردود لأن هناك أموراً واضحة بينةً بذاتها مفروضة على عقل كل إنسان، وكون الدلالة الإلتزامية هنا مشروطة بكون اللزوم ذهنياً وبينا في الآن ذاته يجعل ذلك الطعن مردوداً.

اللزوم وأنواعــــه:

بعد أن بين السنوسي العلاقة بين الدلالات الثلاث المطابقة والتضمن والإلتزام، رأينا أهمية اللزوم في تحديد تلك العلاقة، وهذا ما جعل السنوسي يفرد بحثاً خاصاً باللزوم.

وهو يقسمه إلى قسمين بين، وهو ما يلزم فيه العلم باللزوم من تصور اللازم والملزوم معاً وغين بين ، وهو ما ليس كذلك.

والبين قسمان ذهني وهو الذي يلزم فيه العلم باللازم من تصور ملزومة مثل الشجاعة للأسد وغير ذهني، وهو الذي يجب فيه تصور الملزوم واللازم معاً مثل مغايرة الإنسان للفرس، فإنها أمر لازم للإنسان، ولكنها لا يلزم من تصور الإنسان مغايرته للفرس مباشرة لأنه يمكننا تصور الإنسان دون خطور الفرس بالبال إطلاقا فكيف نتصور مغايرته .؟ لكن لو خطر ببالنا مع تصورنا للإنسان هل هو مغاير للفرس أم لا فإننا نجزم بلزوم المغايرة دون احتياج إلى واسطة .

واللزوم الذهني ينقسم إلى قسمين :-

لزوم في الذهن والخارج معاً، كلزوم الزوجية للأربعة ، ويسمى مطلقاً لعدم تقييد لزومه بذهن أو خارج ولزوم في الذهن فقط، كالزوم بعض الأضداد

---

(١) نصير الدين الطوسي، شرح الإشارات والتنبيهات، القسم ١، ص ١٤٠.

لأضدادها في الذهن مع منافاتها أياها في الخارج كلزوم البصر والعمى، بحث مهما تصورت العمى لم تتصور معه إلا سلب البصر، ومثل له بما إذا رأيت شخصاً في سن الشباب مثلاً لابساً لثوب معين وله صفات عارضة زائلة، ثم غاب عنك سنين طويلة بحيث يبلى أن كان ميتاً أو يهرم إن كان حياً، فإنك بعد ذلك كله متى تصورته لم تتصوره إلا على تلك الحالة القديمة التي رأيته عليها، فتتصور شبيبته والثياب التي كانت عليه فصارت تلك الصفة وتلك الثياب لازمة لذلك الشخص في ذهنك. مع أن شيئاً منها غير لازم له في الخارج بل فارقه وتجرد عنه[١].

ويعد هذا يبين السنوسي أنه يفسر اللزوم البين بالذهني، وهو ما يلزم فيه العلم باللازم من تصور الملزوم[٢]، فالبين هو إيضاح لمعنى الذهني ليس أكثر، أما التقسيمات السابقة وهي تقسيم البين إلى ذهني، وغير ذهني،و الذهني إلى لازم في الذهن والخارج، وإلى لازم في الذهن فقط فالغرض منه الإيضاح وكشف المعنى[٣]، وهذا التقسيم لم أجده عند غيره وأعتقد أنه جديد من حيث توضيحه للمعنى أكثر من غيره.

علاقة اللزوم الذهني بدلالة الالتزام:

يبين السنوسي أن المناطقة اختلفوا حول اللزوم الذهني، هل هو شرط في دلالة الالتزام أو سبب؟ هذا الإختلاف ناتج عن اختلافهم في تفسير الدلالة، فمن جعلها فهم المعنى من اللفظ كالخونجي والأثير (٦٦٣١هـ / ١٢٦٤م) والأقدمين وأكثر المناطقة، جعل اللزوم الذهني شرطاً في دلالة الالتزام، لأن معناها عندهم فهم اللازم الذهني من اللفظ الموضوع لملزومه.

---

(١) السنوسي سرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٣١/ أ ب .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٣١/ب.

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٣١/ب.

أما ابن الحباب (ت بين ٧٤٩،٧٤١هـ / ١٣٤٨،١٣٤٠م)، فإنه يعتبر اللزوم الذهني سبباً لا شرطاً لأن معنى الدلالة عنده الحيثية أي تهيئة اللفظ الموضوع لمعنى لأن يدل عند سماع ذكره.

والسنوسي يعجب برأي ابن الحباب ويعتبره حسناً[١] لكنه يفضل الحياد بحث لا يتبناه كما لا يتبنى الرأي الذي قبله، وهذا مخالف لما اعتاد عليه السنوسي من تقرير موقفه والخروج من الإختلافات بتبني إحداهما أو الآتيان بفكرة جديدة .

لكن مهما يكن من أمر فان الدلالة المعتبرة هي التي تقوم على اللزوم البين كما سنعرف.

موقف المفكرين من دلالة الإلتزام وأهميتها واعتبار السنوسي لها:

رغم تأثر السنوسي بالغزالي إلا أنه خالفه في كثير من القضايا، ومنها الأخذ بدلالة الالتزام التي رفضها الغزالي لأنها في نظره لا تنضبط ولا تنحصر في حد، بل تؤدي إلى التسلل إلى ما لا نهاية "وإياك أن تستعمل في نظر العقل من الألفاظ ما يدل بطريق الإلتزام لا تنحصر في حد إذ الحائط يلزم السقف،والأس يلزم الحائط، والأرض تلزم الأس ويتداعى هذا إلى غير نهاية[٢]".

وقد رفض هذه الدلالة مفكرون آخرون غير الغزالي كالتهانوي(المتوفى بعد سنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م) الذي يرى أن هذه الدلالة مهجورة في العلوم، ويجب الإعتماد فقط على دلالتي المطابقة والتضمن[٣] وكذلك الساوى الذي يرى بأن المستعمل في العلوم دلالة المطابقة والتضمن لا دلالة الالتزام لأنها غير منحصرة "إذ

(١) المصدر نفسه ورقة ٣٣٣/أ.
(٢) الغزالي ، محك النظر في المنطق ص ١٦.
(٣) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون ط ٢ ص ٤٩١.

اللوازم لها لوازم وهكذا إلى غير نهاية[(١)] " وهو كما يظهر متأثر بالغزالي والسنوسي يخالف هؤلاء جميعاً ويأخذ بها لأهميتها ، لأن منطقه كما قلنا من قبل منطق ميتافيزيقي من أهدافه البرهنة على وجود الله عز وجل بالأدلة العقلية.

وإذا كان منطق الغزالي ميتافيزيقيا كذلك فإن الغزالي غير رأيه في الأخير كما بينا من قبل وأصبحت ثقته بالذوق أكبر من ثقته بالمنطق ومن هنا فإن السنوسي خالفه وركز على هذه الدلالة لأنها من ضمن البراهين العقلية التي تستخدم لإثبات وجود الله عز وجل .

ومجال استخدامها في الشريعة يكون في القضايا التي لم يتعرض لها الخبر المتواتر اليقين بأي نص واضح صريح[(٢)] فنجد أنفسنا مضطرين للدليل العقلي وحده، وهو يتحقق بمسلكين أحدهما دلالة الإلتزام وثانيهما القياس، ومن هنا ندرك ما لدلالة الالتزم من أعمية.

ولتوضيح كيفية الاستدلال بها نبين بأنه لكي نثبت تلازما بين شيئين لا بد أن يطرد ترابط بينهما بحيث أنا تأملت أحدهما تصورت الآخر[(٣)] ولكن بشرط أن يؤكد ذلك الاستقراء التام، بحيث تتبع كل الحالات والظروف المختلفة لوجودها، فإذا وجدناهما متلازمين أبدا نحكم بوجود علاقة التلازم بينهما كدلالة المآذن في البلدة على إسلام أهلها، فالدال هنا ليس علة للمعلول حتى نقول أن دلالته عليه من قبيل دلالة العلة على المعلول، لأن المآذن ليست علة لإسلام أهل البلدة، كما أننا لا نبصر المدلول مع الدال حتى نقول إن الدليل هو الرؤية والمشاهدة، وإنما الدال هنا شيء خفي عن المشاهدة والإحساس، وهنا نتسأل كيف دلت هذه

(١) عمر بن سهلان الساوي،البصائر النصير ، ص ٧.

(٢) محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكبرى، ط ٥ دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٧هـ ص٤٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣.

الأشياء على مدلولاتها ، وكيف نؤمن بها دون أن نراها؟ والحقيقة أن طريق الدلالة عرفت بملازمتها الدائمة لمزوماتها ، وتكرر ذلك دون تخلف، وتم على ذلك الإستقراء، فتكونت من هذه المقارنة الدائمة رابطة دلالة سارية بينهما[(١)] " والاستفادة من هذا البرهان تتم بتأمل ظاهرة ما نشاهدها أمامنا، فإذا أوجدناها عن طريق الإستقراء تستلزم حقيقة معينة اقتنعنا عقلياً بوجود تلك الحقيقة وآمنا بها حتى ولو لم نرها.

ونستفيد منها كذلك اذا طرح أحد أمامنا دعوى يزعمها، فإننا قد نستطيع بواسطة دلالة الإلتزام أن نعلم صدق تلك الدعوى أو بطلانها، وذلك بأن نبحث عن مستلزمات تلك الدعوى، فإن رأينا تلك المستلزمات كان هذا دليلاً على صدق الدعوى وإن فقدت أو كان الموجود نقيضها كان هذا دليلاً على كذبها، فمثلاً الذي يدعي أن منبع نشأة الفكر والعقل في الإنسان إنما هو شعوره بالحاجة إلى الغذاء، لا نصدق دعواه إذا تأملنا في سائر الحيوانات التي تشترك مع الإنسان في الشعور بالحاجة إلى الغذاء، لكن لم يتكون لديها شيء من التفكير والعقل، كما أن الذي يشرف بنا على قرية مثلاً ويقول لنا أن جميع أهلها مسلمون لا يمكن أن نصدق كلامه إذا تأملنا فلم نجد فوق بيوتها إلا صلبان الكنائس، رغم إننا لم نجد أحداً من أهلها ولم نقف على اعتقاداتهم، وما يدينون به عن طريق التجربة والمشاهدة[(٢)] غير أنه ليس كل تلازم يقبل ويكون دليلاً يقينياً، ذلك أن اللزوم ينقسم إلى قسمين كما بينا من قبل لزوم بين وغير بين .فغير البين هو الذي يلازم في الخارج، فقط أي لا يحكم العقل به إلا بعد أن يشاهد الواقع، وتتكرر فيه مشاهدة اللزوم، دون أن يكون هذا اللزوم مقتضي عقلاً[(٣)]، مثل السواد للغراب، وهذا لا يورث يقيناً لأنه قد يحتاج إلى برهان آخر.

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٤. (٢) المصدر نفسه ص٤٥.

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، ص ٢٨.

وهذا ما جعل السنوسي يرفضه[١] .

ويبدو أن هذا اللزوم غير البين هو الذي يقصده الغزالي عندما رفض دلالة الإلتزام، حيث أن الإستدلال بالسقف على الحائط لا ينضبط، ومن هنا فإن السنوسي وغيره من المناقطة الذين يقبلون هذه الدلالة يشترطون أن يكون اللزوم ذهيناً بيناً وهو[٢] "أن يكون المسمى كلما فهم من اللفظ فهم ذهناً لازمة"[٣] وهو ينقسم إلى قسمين أيضاً:-

أ- لزوم ذهني (بين) بالمعنى الأعم "وهو أن يتوقف إدراك اللزوم بين الشيئين على تصور كل منهما والنظر فيه ملياً، كدلالة الشيء الممكن على أنه حادث"[٤] ففي هذه اللزوم لا بد م تصور كل من الممكن والحادث ثم الصلة بينهما، لكننا مع هذا لا نحتاج إلى برهان آخر مثلي هو الحال في اللزوم غير الذهني، ولذلك فإن الإستدلال بهذه الدلالة أضعف من الآتي ولكنه مقبول.

ب- لزوم ذهني بالمعنى الأخص، وهو الذي أكد عليه السنوسي، وهو الذي يلزم فيه من تصور الملزوم العلم بلازمة[٥]" فيكون هنا تصور الملزوم وحده كافياً في تصور اللزوم والجزم به مثل الشجاعة للأسد والزوجية للأربعة، و كدلالة اللفظ المنبعث في الظلام على وجود كائن حي، فقوة اللزوم التي بين هذه الأشياء تجعل العقل يدركها مباشرة، دون إطالة تفكير في العلاقات بينها ولذلك

---

(١) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٣٠/ ب.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢٣٠/ب، الكاتبي، الرسالة الشمسية، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ص ٣٠، الرازي، تحرير القواعد المنطقية، ص ٣١.
(٣) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٣١/أ.
(٤) محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية ت، ص ٤٥.
(٥) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق، ورقة٢٣٠/ب.

كان هذا القسم أقوى من سابقه (الذهني بالمعنى الأعم) وهـو معتمـد كـثيراً في المنطق. وبعد هذا يمكن أن نلخص الدلالات وأنواعها كما يأتي .

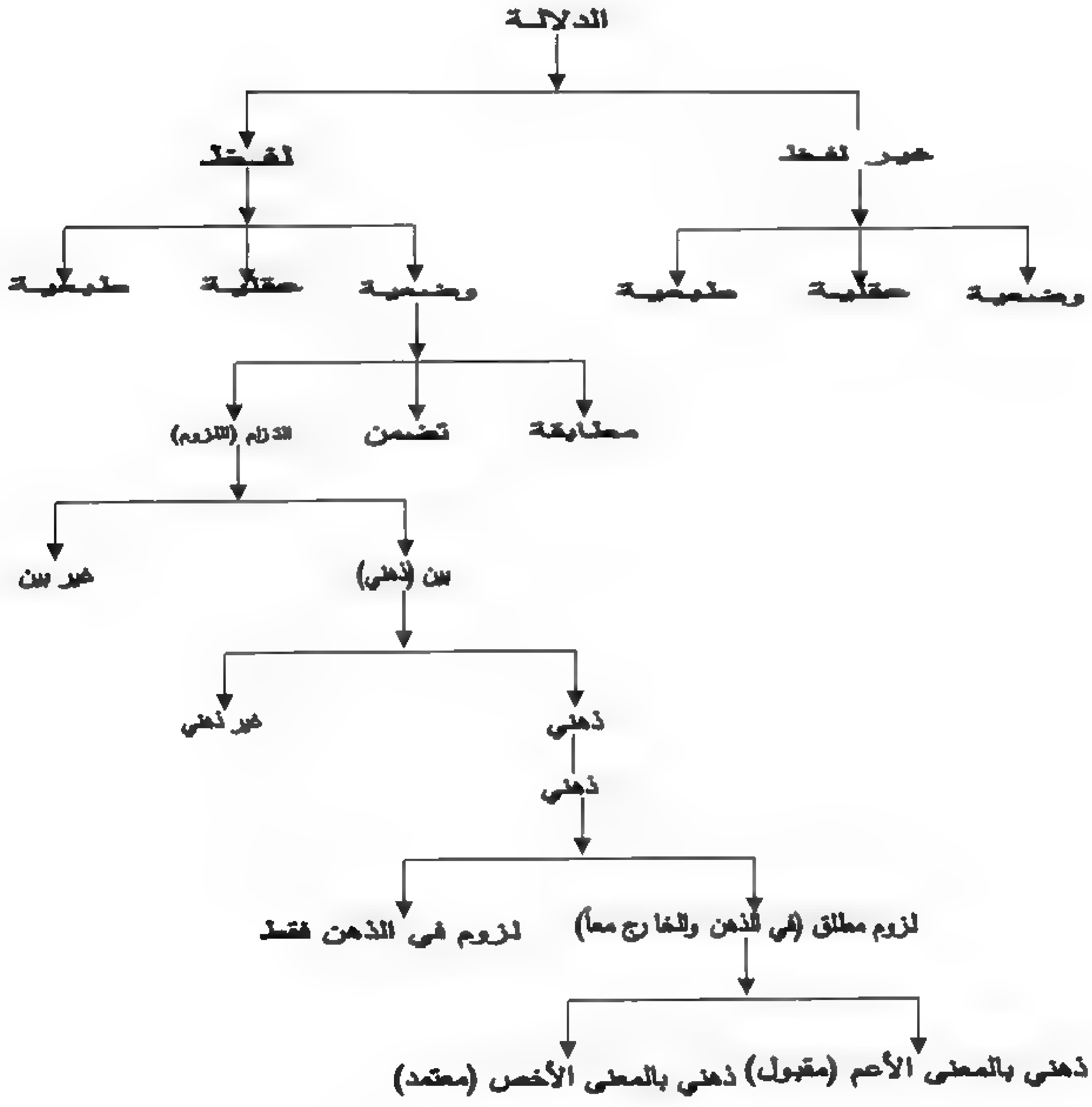

المبحث الثاني: مبحث اللفظ من حيث ذاته :

انقسام اللفظ إلى مركب ومفرد:

بعد تبيين السنوسي للدلالة وأنواعها والمهم منها، بدأ في تقسيم اللفظ الدال إلى قسمين مفرد ومركب. وقد قدم المركب، وهو ما دل جزوءه على جزء معناه دلالة مقصود، مثل زيد قائم.

أما المقصود فهو ما لا يدل جزؤه على جزء معناه دلالة مقصودة مثل زيد، والسنوسي هنا متأثر بابن سينا الذي أورد نفس التعرفين تقريباً، فابن سينا يرى " أن اللفظ إما مفرد وإما مركب والمركب هو الذي قد يوجد له جزء يدل على معنى، هو جزء من المعنى المقصود بالجملة دلالة بالذات.... والمفرد هو الذي لا يدل جزء منه على جزء من المعنى الكل المقصود به دلالة بالذات[١]".

لكن السنوسي يرى أن هذا غير واف بالمقصود ، لأنه قد يعترض بالأعلام الإضافية ، والأعلام اللقبية والكنى على طرد حد المركب، بحيث يقصد واضعها مع العلمية دلالة أجزائها على معنى تركيبي وجد في مسماها كأن يسمي ابنه عبد الله لكونه عبد للمولى تبارك وتعالى ... أو شمس الدين، أو حجة الإسلام لكونه من أئمة المسلمين المهتدى بهم، ولهذا يقترح السنوسي أن يضاف في حد المركب بعد قولهم دلالة مقصودة ((خالصة)) [٢].

---

(١) ابن سينا، الشفاء، المنطق، المدخل، ٥٤، ٥٥ .

(٢) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٣٢/أ .

وهذه الزيادة المقترحة مهمة لأنها تؤدي إلى قسم خامس في المفرد، وهو ما دل جزوءه على جزء معناه دلالة مقصود غير خالصة، وإنما مضافة إلى العلمية كعبد الله مثلاً.

بعد الحديث عن المركب ينتقل السنوسي إلى الحديث عن المفرد، ويرى أنه ينقسم إلى أربعة أقسام، على رأي المناطقة وهي :-

١. اللفظ الذي لا جزء له أصلاً كباء الجر ولامه.

٢. ماله جزء لكن لا دلالة له أصلاً كزيد .

٣. ماله جزء لكن له دلالة في غير معنى ذلك اللفظ كأبكم وإنسان وبعلبك، فإن أحد أجزاء أبكم مثلاً (ء أ ب) يدل على ذات متصفة بالأبوة، وثاني أجزائه (كم) يدل على سؤال عن عدد أو على أخبار بكثرة، لكن لا واحد من هذين المدلولين بجزء من معنى أبكم .

٤. ماله جزء له دلالة في ذلك المعنى بغير قصد، كحيوان ناطق، فمجموعة علم على شخص معين، ويضيف السنوسي قسماً خامساً وهو :-

٥. ما دل جزؤه على جزء معناه دلالة مقصودة ليست خالصة، بل مضافة إلى العلمية كحجة الإسلام علماً على أبي حامد الغزالي[١].

ونلاحظ أن السنوسي قدم تعريف المركب على تعريف المفرد مع أن المفرد جزء المركب، وكان يجب أن يبدأ به كما فعل ابن سينا[٢]

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٣٣/ أ ب.

(٢) ابن سينا ، عيون الحكمة ، تحقيق عبد الرحمن البدوي، دار القلم بيروت ١٩٨٠، ص ١ ابن سينا النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٣٨، ص ٥ ابن سينا الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف ، مصر القسم ١، ص ١٤٣ .

والساوي[١] والخونجي[٢]- وغيرهم لكنه بدأ بتعريف المركب لأنه يعرف بالإيجاب، أما المفرد فيعرف بسلبه، ولا يعقل سلب أمر إلا بعد تعقله. وقد رد على المخالفين له بقوله "فإن قيل المفرد جزء المركب، وفهم الجزء سابق على فهم المركب منه فلو انعكس الأمر لزم الدور، فالجواب أن المفرد جزء المركب من حيث ذاته لا من حيث كونه مفرداً، فيلزم أن يسبق على تعقل المركب تعقل ذات كل جزء من أجزائه عارية عن وصف الأفراد، و أما ما تعقله. - أي المفرد- من حيث اتصافه بالإفراد فالأمر بالعكس، إنما يتعقل هذا المعنى فيه بعد تعقل معنى المركب[٣]" وتقديم المركب على المفرد هو ما فعله ابن عرفه لكن دون برهنة على ذلك[٤].

بعد هذا يبين السنوسي أن من أهل المنطق ومنهم ابن عرفة من يقسم اللفظ إلى مركب ومؤلف، ومفرد، والقسمة في نظره ثنائية، مركب، ومفرد، والمركب والمؤلف والقول إن هي إلا مترادفات كما نص على ذلك ابن سينا[٥].

تقسيم المفرد إلى مشترك ومنفرد:

والمفرد ينقسم إلى قسمين :-

١- مشترك : وهو اللفظ الذي تعدد مسماه بأن كان له معنيان فأكثر سمي به كل واحد منهما كالعين، فإنها وضعت لمعان متعدد، كالعين الباصرة، والعين الجارية، وعين الذهب إلخ.

---

(١) عمر بن سهلان الساوي، البصائر النصيرية، ص ٧ .

(٢) أفضل الدين الخونجي ، الجمل في المنطق، تحقيق سعد غراب ، المطبعة العصرية ، تونس ص ٢٩ .

(٣) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٣٣/ ب.

(٤) ابن عرفة، المختصر في المنطق، تحقيق سعد غراب المطبعة العصرية، تونس ، ص ٦٣.

(٥) ابن سينا، النجاة، ص ٥ .

٢- منفرد: وهو اللفظ الذي اتحد مسماه بأن لم يوضع إلا لمعنى واحد كلفظ إنسان ورجل، فالإنسان وضع لمعنى واحد، وهو معنى الحيوان الناطق، والرجل وضع لمعنى الذكر من العقلاء . والسنوسي يزيل التباساً هو أن لفظ إنسان ولفظ رجل تعدد ما يطلقان عليه من الأفراد كزيد وعمرو كما تعدد ما تطلق عليه العين، فلماذا لا يعتبران مشتركين كالعين؟. والجواب أن لفظي إنسان ورجل لم يتعدد مسماهما، بل تعدد إفراد مسماهما، وقد وضعا لمعنى واحد، إلا إنه لما كان كلياً يوجد في أفراد كثيرة أطلق هذان اللفظان(إنسان ورجل) على تلك الأفراد من حيث وجد في كل واحد منها المعنى الكلى الذي وضعا له، لا من حيث أن تلك الأفراد وضعا لخصوص كل واحد منها.

أما لفظ عين فإنه يطلق على معان متعددة، كالعين الجارية والباصرة وغيرهما، لا لأنه وضع لمعنى واحد هو قدر مشترك بينهما كما في لفظ إنسان ورجل، بل يطلق على العين الجارية والباصرة وغيرهما لوضعه لكل واحد من تلك الأشياء بخصوصه. وقد يتعرض بأن لفظ أسد تعدد وضعه، إذ هو موضوع للحيوان المفترس وللرجل الشجاع، وليس موضوعاً للقدر المشترك بينهما، ومع هذا فلا يسمى مشتركاً مما يؤدي إلى فساد التعريف السابق للمشترك والمنفرد.

ويجيب السنوسي بأن هؤلاء المعترضين يخلطون بين مسمى اللفظ ومعناه، فمسمى اللفظ ما وضع له اللفظ وضعاً حقيقياً لا يحتاج إلى قرينة، أما معناه فما يعنيه المتكلم باللفظ، سواء كان حقيقياً بأن كان مسمى له، أو مجازياً بأن لم يكن مسمى له ولكن بينه وبين مسماه علاقة ، كالأسد للإنسان أو غلطاً إذا لم توجد علاقة بينهما(١) .

---

(١) السنوسي ، شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٣٣/ ب ،٢٣٤/أ .

تقسيم المفرد إلى كلي وجزئي وانقسام كل منهما:

بعد أن قسم السنوسي المفرد إلى مشترك ومنفرد، وقسمه هنا باعتبار تشخص مسماه وعدم تشخصه إلى قسمين كلي، وجزئي .

أ- الكلي وأقسامه: -

الكلي: " هو اللفظ المفرد الذي لا يمنع تصور مسماه من صدقه على أفراد كثيرة أي لا يمنع تعقله من حمل مواطأة لا حمل اشتقاق على أفراد كثيرة لعدم التشخص في ذلك المدلول مثل إنسان وحيوان(١)".وكان كل من هذين اللفظين كلياً لأنه لا اختصاص له بذات معينة، فإنسان مثلاً وضع لمطلق حقيقة الحيوان الناطق، ولذلك يصدق على أفراد كثيرة بحمله عليها كحمل مواطأة، أي بنفسه من غير احتياج إلى اشتقاق منه أو إضافة، فنقول زيد إنسان وعمرو إنسان..... إلخ، والسنوسي يقيد تعريف الكلي ((حمل المواطأة) احترازاً من بعض الألفاظ التي لا تمنع حقيقتها من وجودها في أشخاص كثيرة، ومع ذلك لا يصح أن تحمل تلك الألفاظ بنفسها على الأفراد، مثل كلمة العلم والبياض، فمع أن حقيقة العلم لا تمنع وجوده في أشخاص كثر،كمالك الشافعي إلا أنه لا يحمل عليها إلا بالاشتقاق منه أو الإضافة، فلا نقول الشافعي علم وإنما نقول الشافعي عالم، أو الشافعي ذو علم، وذلك لأن العلم ليس كلياً بالنسبة إلى الأشخاص المتصفين به حيث لا يحمل عليها إلا بالاشتقاق أو الإضافة.

وإنما هو كلي بالنسبة إلى العلوم كعلم الفقه أو النحو.... إلخ، لأنه يحمل على كل واحدة منها حمل مواطأة، فنقول علم، والنحو علم ... إلخ(٢).

---

(١) السنوسي، شرحه لمختصره في المنطق ورقة ٢٤٣/أ.

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٣٤/أ .

ومن هنا فإنه لما كان الحمل مشتركاً بين حمل المواطأة والإشتقاق بدل المناطقة في حكم الكلي كلمة "حمل"، وكلمة " صدق" لأنها خاصة بحمل المواطأة، فأصبح يعرف بأنه :- "هو الذي لا يمنع مدلوله بمجرد تعقله من صدقه على كثيرين[1]".

و السنوسي يخالف الخونجي هنا في تعريفه للكلي رغم تأثره به ، لأن الخونجي يعرفه بأنه ما " لم يمنع نفس تصور معناه من صدقه على كثيرين[2]" وهو تعريف خاطئ في قوله " نفس تصور معناه، لأنه يؤدي إلى أن يصبح للمعنى ، لأن المفهوم هو المعنى كما يقول الرازي[3]". والمناطقة لم يشترطوا فيما يصدق عليه الكلي وجوداً ولا امكاناً، ولا كثرة ولا قلة، وهذا ما يجعله ينقسم إلى ستة أقسام بحسب التقسيم العقلي وهي :-

١- أن لا يوجد من أفراده شيء وهو قسمان: -

أ- ما يمكن وجوده كبحر من زئبق.

ب- ما لا يمكن وجوده كالجمع بين الضدين.

٢- أن يوجد من أفراده واحد فقط، وهما قسمان كذلك :-

أ- ما يمكن فيه التعدد كالشمس.

ب- ما لا يمكن فيه التعداد أصلاً كالآله .

٣- أن يوجد من أفراده كثير، وهو قسمان أيضاً:-

أ- ما تناهت أفراده كالإنسان، والحيوان.

---

(١) المصدر نفسه ، ورقة ٢٣٤/ب.

(٢) الخونجي، الجمل، ص ٣٠.

(٣) الرازي تحرير القواعد المنطقية، ص ٤٥ .

ب- ما لم تتناهى كالزمان والحركة عند الفلاسفة، وهذا الأخير باطل بالإجماع عند أهل الحق في نظر السنوسي، ومن اعتقده كان كافراً[١]،لكن المانع من صحته ليس مجرد تعقل مدلول الزمان والحركة ونحوهما بل صحة البراهين القطعية التي دلت على استحالة حوادث لا أول لها[٢] وهو متأثر هنا بما أورده الغزالي في التهافت[٣].

وقد مثل بعض المناطقة لما لا يتناهى بـ (علم الله تعالى) ولفظ (العدد) فإنهما غير متناهيين، وهما موجودان في الواقع[٤].

والسنوسي يبين أن بعض أقسام الكلي لا يتصور فيه الوجود أو التعدد على مذهب أهل الحق، لكن المانع ليس هو تعقل مدلول الكلي وإنما برهان آخر، ومع ذلك فإننا نسميه كلياً لأن الكلي لا يمتنع إطلاقه إلا على ما كان مجرد. تعقل مدلولة هو المانع من التعدد كزيد وعمرو والكلي الذي لا يتصور فيه التعدد أو لا يوجد من أفراده إلا واحد فقط، الشمس والآله كما مر ولنبين هذه القضية بجلاء. فالشمس كلي لم يوجد من أفرادها إلا واحد فقط ، مع إمكان أن يكثر الله من أفرادها كما كثر في أفراد النجوم.

أما الإله الخالق والرزاق ... إلخ، فلا يمكن التعدد فيه أصلاً، وهي ألفاظ كلية لا يمنع مجرد تعقل مدلولها من التعدد، إلا أنه قام البرهان القطعي عقلاً ونقلاً على استحالة وجود مدلالوتها لغير الله عز وجل ، فالله هو المنفرد بمعانيها وحده، وهذه الوحدة الواجبة ، عقلاً ونقلاً لهذه المعاني لا تقدح في إطلاق الكلي عليها،

---

(١) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٣٥/ ب.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢٣٥/ ب .

(٣) الغزالي تهافت الفلاسفة، ص ٨١ وما بعدها.

(٤) عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة، ص ٣٣.

لأن الوحدة لم تعرف من جهة مجرد تعقلها، وإنما عرفت من برهان آخر.و يستدل السنوسي على هذا بأن جاهلية العرب والمبتدعة تعقلت هذه المعاني، ولم يمنعهم تعقلها من اعتقاد الشركة والتعدد فيها حين ضلوا عن برهان استحالة الشركة والتعدد[1].

والسنوسي في هذا متأثر بالغزالي الذي أورد نفس الأفكار ".....فإن قلت) وكيف يستقيم هذا وقولك الآلة والشمس والأرض لا يدل إلا على شيء واحد مفرد مع دخول ألاف واللام ،(فاعلم) أن هذا غلط فإن امتناع الشركة هاهنا ليس لنفس مفهوم اللفظ، بل الذي وضع اللغة لو جوز في الآلة عدداً لكان هذا اللفظ عاماً في الإلهة كلها، فإن امتناع الشمول لم يكن لوضع اللفظ بل لاستحالة وجود إله ثان، فلم يكن امتناع الشركة لمفهوم اللفظ.

والمانع في الشمس، أن الشمس في الوجود واحدة، فلو فرضنا عوالم، في كل واحد شمس وأرض كان قولنا، الشمس والأرض شاملاً للكل"[2][3] وفي هذه القضية ندرك كيف وظف السنوسي المنطق لخدمة علم الكلام متأثراً بالغزالي، وهكذا فالذي يقدح في أطلاق الكلي أن يكون مجرد تعقل المدلول وحده مانعاً من التعدد كما في زيد وعمرو، أما إن كان المنفع غيره فلا.بعد هذا يقسم السنوسي الكلي إلى قسمين متواطئ ومشكك:

---

(١) السنوسي ، شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٣٤/ب.

(٢) الغزالي، المستصفي في علم الأصول ج ١ ص ٢٠.

(٣) يقول الشيخ محمد عبده كان القدامى يعتقدون أنه لا شمس إلا شمسنا، لكن أظهر الاكتشاف شموساً كشمسنا تضي في عوالم كعالمنا، و أقمارا كقمرنا تدور حول أجرام كأرضنا، تنير ليلها كما ينير البدر ليلنا فالشمس والقمر كليان، يشترك في كل منهما جزيئات موجودة خارجاً كالانسان والحيوان محمد عبده تعليق على هامش البصائر النصيرية ، ص ١٧.

فالمتواطئ هو الذي استوى في أفراده ولم يتفاوت فيها بقوة أو ضعف كالإنسان والحيوان، فإن ما يقع من اختلاف بين أفرادها إنما هو في أمر خارج عن حقيقتها.

أما المشكك فهو الذي اختلف في أفراده بالقوة والضعف، كالبياض والسواد ونحوهما فإن سواد الغراب مثلاً أقوى من سواد الثوب[(١)].

والسنوسي هنا يختلف مع المناطقة الآخرين كالغزالي الذي يضيف إلى المتواطئ والمشكك.

المترادفة وهي الأسامي المختلفة لمسمى واحد كالليث والأسد، ثم المتباينة وهي الأسامي المختلفة للمسميات المختلفة لمسمياتها كالأسد والثور إلى آخره، ثم المشتركة وهي اللفظ الواحد المطلق على مسميات مختلفة كلفظ العين، للذهب، والشمس، وعين الماء ..... إلخ أما المشككة عند السنوسي فإن الغزالي يسميها بالمتفقة، وهي المترددة بين المشتركة والمتواطئة، كالوجود للجوهر والعرض، فإنه ليس كلفظ العين التي لا تشترك مسمياتها في أمر لأن الحيوانية ثابتة للإنسان والفرس دون اختلاف[(٢)].

العلاقة بين الكليين : بعد أن بين السنوسي الفرق بين الجزئي الحقيقي والإضافي أورد فائدة بين فيها العلاقة بين أي معقولين(كليين) وهي تنحصر في إحدى نسب أربع: -

هي التباين، المساواة،العموم والخصوص المطلق، العموم والخصوص من وجه، ويبرهن على انحصار العلاقة في هذه النسب الأربع أن المعقولين (الكليين)

---

(١) السنوسي شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٣٥/ ب .

(٢) الغزالي،مقاصد الفلاسفة، ص ٤٢، ٤٣.

إما أن لا يفترقا البتة، كالإنسان والناطق، فهما المتساويان ، وإما أن لا يجتمعا البتة بحيث كلما وجد أحدهما في ذات انتفى عنها الآخر، كالإنسان والحجر، فهما المتباينان .

و أما أن يجتمعا تارة ويفترقان أخرى، وهنا إما أن يقترف من الطرفين معاً أي يفارق كل منهما الآخر، كالإنسان والأسود، فهما اللذان بينهما عموم وخصوص من وجه.

وإما أن يفترقا من أحد الطرفين فقط، أي يوجد أحدهما دون الآخر ولا يوجد الآخر دونه وهذان بينهما عموم وخصوص مطلق، فالذي يفارق صاحبه إعم مطلقاً لأنه يوجد معه ومع غيره والذي لا يفارق صاحبه أخص مطلقاً لأنه لا يوجد إلا مع صاحبه الحيوان والإنسان.

بعد ذلك يبين السنوسي أن المتساويين نقيضهما متساويان أبداً، والمتباينان نقيضاهما إما متباينان كالإنسان ولا ناطق، أو العموم، والخصوص وجه، كالإنسان ولا حيوان وكذلك اللذين بينهما عموم وخصوص من وجه فإن نقيضهما إما متباينان كحيوان ولا إإنسان أو بينهما عموم وخصوص من وجه كالإنسان والأسود.

أما اللذان بينهما عموم مطلق، فإن نقيضهما يكون بينهما عموم مطلق على التعاكس، أي نقيض الأعم أخص مطلقاً ونقيض الأخص أعم مطلقاً[1] .

(١) السنوسي ، شرحه لمختصره في المنطق، ورقة ٢٣٦/ أب .

ونلاحظ بأن السنوسي في هذا متأثر بالكاتبي، إذ ما أورده هنا ورد عند الكاتبي بنصه وأمثلته تقريباً[١].

ب- الجزئي واقسامه:

الجزئي يقابل الكلي، وهو الذي يمنع مجرد تصور مدلوله من صدقه على كثيرين كزيد وعمرو، ونحوهما من الأعلام الموضوعة للمشخص الذي لا يقبل التضدد :- وهو قسمان جزئي حقيقي وجزئي إضافي .

١- الجزئي الحقيقي وينقسم إلى قسمين:-

أ - علم شخص وهو ما وضع لمتشخص في الخارج عن الذهن كزيد ونحوه.

ب- علم جنس وهو ما وضع لحقيقة باعتبار تشخصها في الذهن كأسامة .

ونلاحظ بأن الضمائر والموصلات وأسماء الإشارة ونحوها ليست جزئية لأنها في أصل وضعها كلية، وإنما عرضت لها الجزئية عند الإستعمال بواسطة أمور صاحبتها[٢].

٢- الجزئي الإضافي: وهو ما أطلق على كل مفهوم مندرج تحت كلي، سواء كان في نفسه جزئياً حقيقياً أو كلياً، وبهذا الاعتبار، فإن الإنسان يصدق عليه أنه جزئي لأنه يندرج تحت كليات كثيرة، وهي الحيوان، ثم الجسم ثم الجوهر، ثم الوجود، ثم المعلوم ، ثم الممكن ...إلخ لكن لا يمكن أن نسميه جزئياً حقيقياً لأنه لا يمنع تصور معناه من صدقه على كثيرين، ولنوضح ذلك بهذا الرسم:

---

(١) الكاتبي، الرسالة الشمسية، ص ٦٣. ٦٥ .

(٢) السنوسي ، شرحه لمختصره في المنطق، ص ٢٣٦./أ.

جنس أعلى (جنس الأجناس)

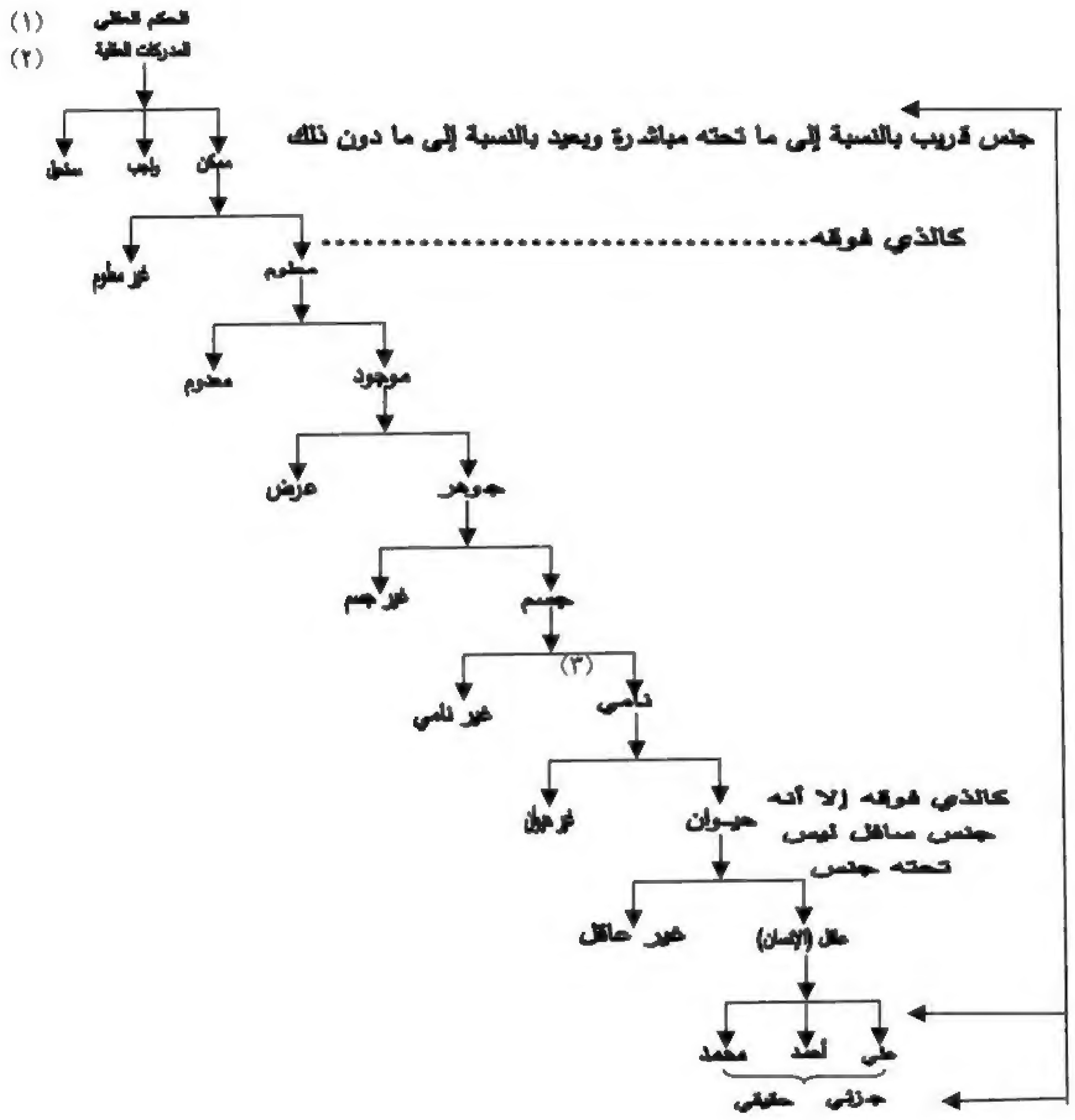

---

(١) السنوسي، شرح المقدمات، ورقة ١٩٧/أ.

(٢) النامي لم يورده السنوسي، وقد أضفناه من عندنا ليكون التسلسل منطقياً.

(٣) استعنا في هذا التصممصم بما أورده عبدالرحمن جبنكة، له شجرة الأنواع والأجناس وقد خالفناه في الغاية وبعض التقسيمات.